

شَرْحُ

كِتَابِ التَّوْحِيدِ

الَّذِي هُوَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ

لِلإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ

بِشَرْحِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ

سَعْدِ بْنِ شَايِمَ الْحُضَيْرِيِّ

حَفِظَهُ اللَّهُ




موقع الشيخ

http://saadshaim.com/

حساب الشيخ في تويتر

https://twitter.com/saadshaem

قناة الشيخ على التلقرام

https://t.me/droooos_arar

حساب الفيسبوك :

https://m.facebook.com/saadshaiim






المجلس الأول

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

أيها الأخوة الكرام: دَرْسُنا في هذه الليلة في ضمن دروس «أساس العلم»؛ السنة الحسنة التي سَنَّها الشيخ العلامة صالح بن عبدالله العصيمي -جزاه الله خيرًا-، ويُشرف عليها وينظمها «مركز الدعوة والإرشاد في عرعر» في «**كتاب التوحيد**».

ونسأل الله تعالى التوفيق والقبول والسداد، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا تحقيق التوحيد والختام عليه.

وسنضطر إلى اختصار التعليق لضيق الوقت، وكثيرٌ من مباحثه ومسائله واضحةٌ؛ لأنها أدلةٌ واضحةٌ؛ إلا أنه سيكون هناك بعض الأشياء الضرورية يكون عليها بعض التركيز، ونسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق.

القارئ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهذا **المجلس الأول** من التعليق على «**كِتَابِ التَّوحيد الَّذي هو حقُّ الله على العَبِيد**» للعلامة شيخ الإسلام **محمد بن عبد الوهاب** -رحمه الله تعالى رحمة واسعة-.

يقول المصنف -غفر الله له ولشيخنا وللمستمعين-:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

(كِتَابُ التَّوْحِيدِ)

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآيَاتِ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ:

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ؛ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾»[1].

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ:

كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟».

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ: أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

---

١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ٤٣١)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٩٣/ ١٠٠٦٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٠٧)، ورواه الترمذي: كتاب التفسير (٣٠٧٠) قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الآيَاتِ: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}، الآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ، {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، وقال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟

قَالَ: «لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ [٢].

الشرح:

«كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ من أعظم الكتب التي صُنِّفت في هذا الباب، ولم يُصَنَّف في بابه وموضوعه مثل هذا الكتاب؛ لأنه عَقَدَهُ –رحمه الله تعالى– في باب توحيد العبادة؛ توحيد الإلهية، وإن كان ذَكَر في آخره شيئًا بعض الأبواب من توحيد الأسماء والصفات والربوبية، إلا أن الأهم في هذا يَدُور على توحيد العبادة.

وسبب ذلك أن الحاجة في وقته –رحمه الله– في زمنه ومن قبل زمنه، وفي ما بعده، الحاجة أشد إلى هذا الباب لكثرة الجهل فيه من العامة والخاصة:

أما من العامة: فالعامة يغلب فيهم الجهل في أمور الشريعة، ويقلدون من يرونه في صورة أهل العلم.

وأما الخاصة، وهم أهل العلم: فكَثُرَ فيهم إهمالُ هذا الباب أو هذا النوع من التوحيد؛ لأنه دَخَل عليهم من علم الكلام أن التوحيد هو الإقرار بالخالق؛ المعروف بتوحيد الربوبية.

لأن التوحيد عندهم: هو معرفة أن الله خالقٌ ورازقٌ ومُدَبِّرُ الكون إلخ، وأما توحيد العبودية فأُهمل هذا الباب **لهذا السبب**.

ولسببٍ آخر: وهو لأنه في أفعال العباد –توحيد الإلهية والعبودية توحيد الله بأفعال العباد– أكثر المتكلمين يرون أن العبادة والعمل ليسا من الإيمان، فإذا أَخَلَّ به لم يقع في الشرك، ولم يقع في الكفر؛ فلذلك ما كانوا يولونه أهمية؛ لأنه من هذه القضية، أنهم يرون أن الأعمال ليست من الإيمان، فإذا وقع في التوحيد بشركٍ، أو دعا غير الله، أو غير ذلك؛ عَمَلٌ، فلا يُخل بالإيمان؛ لأن الإيمان عندهم هو التصديق المجرد، وهذه هي المشكلة.

---

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار (٢٨٥٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٣٠).

فلذلك أخل بهذا العامة والخاصة -إلا من رحم الله- من الطائفة المنصورة من أهل العلم ومن تبعهم؛ فلذلك أَلَّف هذا الكتاب –رحمه الله تعالى-.

واعتنى بجمع الأدلة في تحقيق أصل التوحيد، وتحقيق كمال التوحيد الواجب، وتحقيق كمال التوحيد المستحب؛ لأن التوحيد مثل الإيمان له: أصلٌ، وله كمالٌ واجبٌ، وله كمالٌ مستحبٌ.

والتوحيد والإيمان له أصلٌ وله شُعبٌ كما قال النبي ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة**» [(٣)].

والتوحيد هو الإيمان وهو الإسلام، إيمانٌ: تصديقٌ بلا توحيد لا حقيقة له؛ لا ينفع، وإسلامٌ بلا توحيد لا ينفع، لن يكون إسلامًا، استسلام كما يستسلم المنافقون لن يكون توحيدًا.

فإذن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جمع في هذا الكتاب بيان التوحيد، وبيان كمال التوحيد الواجب، وبيان كمال التوحيد المستحب، وبيان ضد التوحيد وهو الشرك الذي يَنقض أصل التوحيد، وبيان ما يُنقص التوحيد كماله الواجب، وما يُنقص كماله المستحب؛ ولذلك ترجم **بكتاب التوحيد** الباب الأول، ثم: **فضل التوحيد**، ثم: **في تحقيق التوحيد**، ثم: **في الدعوة إليه**، ثم **في تفسيره**، وهكذا.

وألحقه بمتمماته وهي **حماية جناب التوحيد، وحماية حمى التوحيد**.

فهذا الكتاب من أعظم الكتب؛ ولذلك من ضَبطه وفَهِمه وعَمِل بما فيه؛ حقق التوحيد –بإذن الله تعالى-.

والتوحيد أصله كلمة التوحيد: مصدر للفعل وَحَّد يُوحد توحيدا، وهو التفريد، إفراد الله.

والتوحيد نظر العلماء في الأدلة في الكتاب والسنة ووجدوا أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. قسمٌ يتعلق بالله –عز وجل-، وهو توحيد أفعاله –عز وجل- وصفاته، وتوحيد أفعاله: هو توحيد الربوبية.

٢. وتوحيد أسمائه وصفاته: ما يتعلق بإثبات الأسماء والصفات لله –عز جل، وتوحيد الأسماء والصفات، أيضًا من توحيد الربوبية لأنه يتعلق بالرب.

---

(٣) أخرجه البخاري : كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شُعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥).

٣. والنوع الثالث: وهو موضوع بالكتاب توحيد العبودية، توحيد العبادة، توحيد الإلهية والألوهية بمعنى واحدٍ؛ لأنه في التأله لله -عز وجل-؛ لأن (أَلَهَ) أصل الكلمة معناها (عَبَدَ) في لغة العرب، فلذلك الإله هو: المعبود، المألوه يعني المعبود.

فيقول المصنف: **(كِتَابُ التَّوْحِيْدِ).**

والتوحيد توحيد العبودية: هو أعظم ما جاءت الرسل.

وإِنْ كان الأول والثاني جاءت به الرسل، لكن الخصومة في توحيد العبودية؛ لأن الأمم لم ينكروا وجود الرب وخالقيته للخَلْق ومُلكه لهم، وكذلك مَنْ جَحَد أسماء الله وصفاته قليلٌ، وُجِدَ؛ ولذلك جاء في القرآن الرد على هؤلاء.

أما أكثر ما في القرآن ودعوة الرسل هو توحيد العبادة؛ لأن الخصومة فيه لأنه عبدوا غير الله -عز وجل-؛ ولذلك يقول الله -عز وجل- في بيان أنهم يقرون بالربوبية يقول: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس:٣١] سيقرون، فهم يقرون بهذا ويعرفونه.

فلذلك توحيد الإلهية هو الذي عاندوا فيه.

قال الله -عز وجل- عنهم أنهم قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥] تعجبوا، الإلهة المعبودة الكثيرة لا تكون إلا إلهًا واحدًا؛ كلها تُنْفَى؟!، فالذي خاصموا أنه قال لهم: «**أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تُفْلِحُوا**»[٤]، فَفَرُّوا وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥].

فالخصومة بين النبي -والرسل كلهم- وبَيْنَ أُمَمِهِم في هذا الجانب في هذا الباب.

ثم يقول المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالى: **وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى:** ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

في الحقيقة كتاب التوحيد هو الباب الأول؛ لأن أبواب التوحيد إذا حُسب الباب الأول منها سبعة وستون بابًا، وإذا جُعل [الباب] الأول على أنه المدخل ثم الأبواب بعده تكون ستةً وستين بابًا مع المدخل.

---

(٤) أخرجه أحمد (١٦٠٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح السيرة النبوية» (ص/ ١٤٣)

المهم يقول: (**كِتَابُ التَّوْحِيْدِ**) وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

«وَقَوْلِ» مكسورة على أنها معطوفة على كلمة التوحيد، يعني مجرورة بالإضافة «كلمة التوحيد» مجرورة بالإضافة وهذا معطوفًا عليها.

ويصح أن تقول «وقولُ الله تعالى» على الابتداء تكون الواو للابتداء وما بعده خبر لمبتدأ أي وهذا قولُ الله كذا.

المهم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ هذه الآية بيان الحكمة من خَلْقِ الخلق، وأن الله خلق الخلق من الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له.

والعبادة لا تكون عبادةً صحيحةً إلا بالتوحيد؛ لأن العبادة إن كانت بغير توحيد فهي عبادة شرك؛ كعبادة الأوثان؛ لأن العبادة في اللغة: التذلل، وقد تكون عبادةً بمعنى مجرد تذلل وخضوع وتعبد لكنها غير صحيحة ؛ عبادة الأوثان.

والعبادة متى تكون عبادة؟

إذا اشتملت على أركان العبادة وهي: المحبة والخوف والرجاء.

فكل عمل اشتمل على هذه الثلاثة محبةً وخوفًا ورجاءً؛ فهو تذلل وهو تعظيم وتذلل فهو عبادة، بغض النظر على صحته من عدمه فقد يكون تذلُّلًا وتعبدًا للأصنام، لذلك يسمون عابدين لها.

لكن متى تكون صحيحة؟

إذا كانت خالصةً لله صوابًا على شريعته وسنة رسول الله ﷺ.

بشرطين: الإخلاص والمتابعة.

الإخلاص: هو التوحيد.

المتابعة: اتباع الشريعة؛ بلا اتباع للشريعة لا قبول.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥] لو تعبد وأخلص لله بغير شريعته لا يقبلها الله؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[٥] ليس عليه شرعنا.

قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

والعبادة هي التوحيد كل عبادةٍ مطلوبةٍ في القرآن هي التوحيد، وكل عبادةٍ مُنكرةٍ في القرآن تجدها من الشرك، والعبادة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (**هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ: مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ**)[٦].

باطنة: ما يكون في القلب من الإخلاص وهو التصديق وما يكون فيه من الحب والبغض، حب الله ورسوله وبغض الشرك وأعداء الله إلخ؛ هذا عبادة لله باطنة.

والظاهرة: ما تسمعه وما تقوله وما يظهر من الأعمال؛ عبادة.

قال: وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾.

هذا أيضًا فيه أمران:

الأول: أن الله بعث في كل أمةٍ وجيلٍ وقرنٍ رسولًا يدعوهم؛ لم يتركهم هملًا، وليس القرن بالضرورة أن يكون مائة سنة؛ لأ؛ المقصود به الأمة الطائفة.

﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ ما هي دعوة الرسل الذين بُعثوا كلهم؟ كل أمةٍ بُعث فيها رسول كما قال –عز وجل-: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٤] كل الرسل دعوتهم: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾، أي: اعبدوا الله وحده؛ لأن لا تتحقق العبودية لله إلا باجتناب الطاغوت، والطاغوت كما قال ابن القيم: (**وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ**)[٧] هذا إجمالي؛

---

(٥) أخرجه البخاري : كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم : كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

(٦) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٤٩).

(٧) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/ ٤٠).

وإلا فتطلق على الأوثان طواغيت، وعلى الجن طواغيت، والسحرة طواغيت، والكهان طواغيت؛ لأنهم جزءٌ من هذا المعنى؛ إما يُسألون من دون الله، وإما يُصَدَّقون ويُدعون، وإما يَدعون إلى عبادة غير الله أو يَأمرون بالكفر والشرك فهم طواغيت في هذا.

﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

فتجد كلمة ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ فيها معنى كلمة لا إله إلا الله، ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ لا إله إلا الله، ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ فيها: لا إله،﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ هي معنى: إلا الله؛ أي : لا تعبدوا إلا الله.

قال: وَقَوْله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

هذه الآية فيها الأمر: ﴿وَقَضَىٰ﴾ هنا فيه القضاء الشرعي؛ لأن القضاء يأتي بمعنى القضاء الشرعي وبمعنى القضاء القدري؛ لأنه منه القضاء الشرعي والقدري، والناس تقول: القضاء والقدر القضاء القدري أي كن فيكون.

ومنه قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء:٤] هل هذا أمرٌ شرعيٌ من الله يأمرهم أن يفسدوا في الأرض؟

لا يأمر الله بالفساد، لكن ما هو؟

قضى إليهم قضاءً قدريًا وأخبرهم أنه سيكون منهم ذلك.

وهنا ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي أمر، فالقضاء الشرعي بمعنى الأمر الشرعي، والقضاء القدري بمعنى الأمر القدري.

مثل قول الله -عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة القدر].

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ بقَدَرِه، ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ من كل قضاءٍ قدريٍّ؛ لأن ليلة القدر سُميت بذلك؛ لنزول القَدَر فيها؛ القَدَر السنوي من اللوح المحفوظ.

﴿وَقَضَىٰ﴾ أي أمر ووصى.

ما الذي وصى به الله -عز وجل-؟

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ تجد أنها معنى لا إله إلا الله.

فما معنى ﴿تَعۡبُدُوٓاْ﴾؟

تتأله، أي لا تتألهوا، أو لا تألهوا إلا إياه، فالإلهية هي العبودية، والإِلَهَة هي العبادة، فإذن هذا ما أمر الله به –عز وجل-.

وَقَوْلِه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ أي: واعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا؛ لأنه فسرتها قوله بعدها: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ إذا كان لا يُشرك به شيئًا؛ يعبده وحده.

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ شيئًا هنا نكرة في سياق النهي ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ﴾ فتفيد العموم أي لا تشركوا به أي شيء مهما كان، لا من كبيرٍ ولا من صغيرٍ، وأي نوعٍ من الشرك أيضًا منفي لا أكبر ولا أصغر، وكله محرمٌ؛ وتحريمه تحريم شرك؛ لأن المحرمات تختلف: منها ما هو محرم كفر وشرك، ومنها ما هو كبير، ومنها ما دون ذلك.

ولذلك أردفه المصنف بقوله:

وَقَوْلِه: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ الآيَاتِ.

أي: هلموا، تعالوا أيها الناس اتل عليكم المحرمات، ثم قال: ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ يقول العلماء: كأن في الكلام حذفًا، يعني يدل السياق عليه تقديره: **وصاكم ألا تشركوا به شيئًا**.

وقد يكون بعدما قال: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي الذي حرم ربكم عليكم، أعاد النهي ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ للتأكيد.

وأيضًا: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ نفس الكلام السابق؛ نكرة في سياق النهي فتدل على العموم أي: أيَّ شيء.

وأردفه المصنف بأثر ابن مسعود وإن لم يعزه المصنف إلا أنه رواه الترمذي وحسنه وغيرهم أيضًا.

قال ابن مسعود: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ».

قال العلماء: ليس المقصود أن النبي ﷺ جعل وصيةً وختم عليها؛ إنما ك (التي)؛ كأنه يقول كأنها مختومة لماذا؟

أولًا: لأن النبي ﷺ وصى بالقرآن قال: (عليكم بكتاب الله) وهذه في كتاب الله.

ثانيًا: صح عند ابن أبي حاتم والحاكم عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ**؟» ثُمَّ تَلَا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١]، حَتَّى فَرَغَ مِنْ ثَلَاثِ آيَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «**وَمَنْ وَفَّى بِهِنَّ آجَرَهُ اللهُ، وَمَنِ انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا فَأَدْرَكَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا، كَانَتْ عُقُوبَةً، وَمَنْ أَخَّرَهُ إِلَى الْآخِرَةِ، كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ أَخَذَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**»[٨].

فكان يبايع على هذه الآيات ﷺ.

فإذن هذه الآيات هي وصية رسول الله ﷺ لأنه أوصى بكتاب الله، والأمر بالتوحيد أعظم ما في كتاب الله.

يقول: حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟**»

هذا فيه بيان أن التوحيد هو حق الله؛ ولذلك المصنف سمى كتابه: كتابُ التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

---

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٨٠٧٧)، والحاكم (٣٢٤٠)، وأصله في الصحيحين بلفظ: «**بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ. فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِلَى اللهِ: إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ**» أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان: حب الأنصار (١٨)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٧٠٩).

قال: **أتدري ما هو حق العباد وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.**

هذا حقٌ واجب حق العبودية، ونحن خلقنا الله لعبادته حق واجب.

ثم قال: **وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا.**

هذا حق تفضل، ليس حق واجب عليه إنما هو أوجبه على نفسه؛ هذا قول أهل السنة والجماعة، خلافًا للمعتزلة ؛ المعتزلة يقولون: لا؛ حق واجب، المعتزلة يتعاملون مع الله معاملة البائع والمشتري؛ دفع الثمن وهو العبادة يأخذ الْمُثَّمن وهو الحق الذي له لهم، هذا غير صحيح، هذا من ضلالتهم، لماذا يقولون هذا الكلام؟ لأنهم يعتقدون أن العبد يخلق أفعاله بنفسه، وأن الله لا يقدر على أفعال العباد، ولم يُقَدِّرها، فهم يقولون: نحن الذي صلينا بقدرتنا وقوتنا وحولنا، ونحن الذي صمنا وأطعنا! وهذا من جهلهم وضلالتهم.

والنبي ﷺ قال: «**اعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ**»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ**»(٩).

إذن ما هذا الحق الذي للعباد على الله إن أطاعوه؟

حق تفضل؛ أوجبه الله على نفسه، والله لا يخلف الميعاد، لكنه حقُ تفضلٌ، من الذي خلقك وقواك على العبادة وحببها إليك؟ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحجرات:٨] عليم بمن؟ يستحق ذلك، فهو تفضل من الله والله لا يخلف الميعاد.

ولذلك نحمد الله على هذا، لذلك تجد في تفاسير المعتزلة أو من تأثر بهم من حيث لا يشعر إذا فسر قول الله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] يقول: (ال) هذه لبيان الجنس أو للجنس فقط ويسكت، ولا يقول أنها للاستغراق.

---

(٩) أخرجه البخاري : كتاب الإيمان ، باب الدين يسر (٣٩)، ومسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمته (٢٨١٦)، من حديث أبي هريرة .

أهل السنة يقولون: للاستغراق، أي كل المحامد لله.

والله محمود على كل شيء حتى أفعالنا التي نفعلها، الحمد لله أن وفقنا لها.

المعتزلة يقولون: لا؛ لبيان الجنس، تُبين جنس الشيء؛ قد يَخرج منه أشياء تُستثنى فيقولون: أفعال العباد يحمد عليها العبد ولا يحمد عليها الله، تصورت هذا الكلام؟ فمن هنا دسائسهم.

المهم هنا حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا ، هذه حق تفضل أوجبه الله على نفسه لأنه لا يخلف الميعاد –عز وجل-.

قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟

أي بهذه البشارة العظيمة.

قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**»، أخرجاه في الصحيحين.

يعني أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، لماذا؟ لأن كثيرًا من الناس لا يفقه يظن هذه بشارة، ويغفل عن حقوق لا إله إلا الله والعبودية، ويغفل عما يقع منه من الذنوب والتقصير فيُفَرط، «فقال: لا تبشرهم فيتكلوا» وهذه من باب مسألة سد الذرائع.

وفي رواية أنس: قال فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا [١٠]. أي خشية الإثم أن يموت وهو كتم ذلك فيخبر بها، ومثلها أحاديث عن بعض الصحابة أخبروا بها عند الموت حتى لا يضيع العلم، وهذا من فقه العالم؛ أنه لا يَبُثُّ كل علم للناس فقد يفهمونه خطأً أو لا يُنَزِّلُونه على منازلهم.

ولذلك قال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً**» [١١].

ليس كل حديث تحدثه.

الباب الذي بعده، أحد عنده سؤال عن هذا باختصار؛ فقط ما يدور حول فهم الباب.

الطالب:...

الشيخ: لا، هذه شروط ا العبادة.

---

(١٠) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم (١٢٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٣٢).

(١١) أخرجه مسلم في المقدمة (١/ ١٠) من قول ابن مسعود.

الطالب: ...

الشيخ: أركان العبادة الخوف والحب والرجاء. هذه أركان العبادة حتى تكون عبادة، بغض النظر أن تكون عبادة صحيحة أو باطلة؛ لأن المشركين كانوا يحبون الأصنام ويخافون ويرجون فسميت عبادة.

أما متى تكون صحيحة؟

إن كانت خالصةً لله وفق شرعه -عز وجل- وسنة رسوله.

بَابٌ فَضْلِ التّوحِيد، وما يُكفِّرُ من الذُّنُوب

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ». أَخْرَجَاهُ(١٢).

وَلَهُمَا فِي حَدِيْثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»(١٣).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « قَالَ مُوسَى ﷺ: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا؟ قَالَ: يَا مُوسَى؛ لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ - غَيْرِي - وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ(١٤).

وَلِلتِّرْمِذِيِّ - وَحَسَّنَهُ - عَنْ أَنَسٍ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً"(١٥).

الشرح:

يقول –رحمه الله تعالى-: **بَابٌ فَضْلِ التّوحِيد، وما يُكَفِّرُ من الذُّنُوب.**

---

(١٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله يا أهل ال: كتاب لا تغلوا في دينكم (٣٤٣٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٢٨).

(١٣) أخرجه البخاري : كتاب الصلاة ، باب المساجد في البيوت (٤٢٥)، ومسلم : كتاب المساجد ، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (٣٣).

(١٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٦٧٠، ١٠٩٨٠)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٨٣٤، ١١٤١)، وابن حبان (٦٢١٨ ابن بلبان)، والحاكم (١/ ٧١٠)، وفيه: درَّاج أبي السمح، عن أبي الهيثم، قال ابن حجر في «التقريب » (١٨٢٤): «صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف».

(١٥) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات ، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله، وقال: «حديث حسن» (٣٥٤٠)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٠).

فَضْلِ التَّوحِيدِ واضح.

وما يُكَفِّرُ من الذُّنُوبِ يقول أكثر الشراح أن «**ما**» هنا مصدرية، ويجوز أن تكون موصولة، إذن إن كانت مصدرية تأول هي وما دخلت عليه بمصدر فيكون: وتكفيره الذنوب، إذا تأولتها بمصدر فتقول: **باب فضل التوحيد وتكفيره الذنوب.**

فضل التوحيد فيكون فيه شيئان: فضله، وأنه يكفر الذنوب.

وإن كانت موصولة فتكون بمعنى: الذي، أي **باب فضل التوحيد والذي يكفر من الذنوب**، أي **وبيان الذي يكفر من الذنوب.**

والمصدرية أولى.

وأن فضل التوحيد عظيم وأنه يكفر الذنوب؛ لأنه أعظم الحسنات.

ثم استدل قال: **وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.**

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي بشركٍ لا أكبر ولا أصغر، أي وحدوا الله -عز وجل-؛ ﴿ءَامَنُوا۟﴾ وحدوا الله؛ لأن الله بين قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وذكروا في ما صح في المسند وغيره عن ابن مسعود: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:** ﴿ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣] **إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ**» بهذا اللفظ هو في المسند [١٦]، ورواه البخاري ومسلم أيضًا [١٧].

فهنا بين النبي ﷺ أن المقصود به الشرك الذي يَلْبس الإيمان؛ لأن الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ فكأنها قَدْحٌ في أصل الإيمان.

---

(١٦) أخرجه أحمد (٣٥٨٩).

(١٧) أخرجه البخاري : كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب ما جاء في المتأولين (٦٩٣٧)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب صدق الإيمان وإخلاصه (١٢٤).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ هذا عموم اللفظ.

والأمن إما أن يكون الأمن التام والهداية التامة ، وهذه تكون لأهل التوحيد والإيمان الخُلَّص الذين حققوا التوحيد.

وإما أن يكون أَمْنٌ بحسب إيمانهم وتوحيدهم، فهؤلاء يكون لهم الأمن والهداية بحسب ذلك؛ والناس يتفاوتون في إيمانهم وهدايتهم و توحيدهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨) عند هذا الحديث: **(وَلَيْسَ مُرَادُ النَّبِيِّ ﷺ بِقَوْلِهِ «إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ»)** الحصر.

(وَلَيْسَ مُرَادُ النَّبِيِّ ﷺ بِقَوْلِهِ «إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ» أَنَّ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ يَكُونُ لَهُ الْأَمْنُ التَّامُّ وَالِاهْتِدَاءُ التَّامُّ. فَإِنَّ أَحَادِيثَهُ الْكَثِيرَةَ مَعَ نُصُوصِ الْقُرْآنِ تُبَيِّنُ أَنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ مُعَرَّضُونَ لِلْخَوْفِ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ الْأَمْنُ التَّامُّ وَلَا الِاهْتِدَاءُ التَّامُّ الَّذِي يَكُونُونَ بِهِ مُهْتَدِينَ إلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ غَيْرِ عَذَابٍ يَحْصُلُ لَهُمْ).

أليس أصحاب المعاصي موعودون بالنار –نعوذ بالله من النار–؟

فإذن ليس الأمن التام يحصل لهم، فيقول: النبي لما قال ذلك لم يقصد أنه كل من سلم من الشرك الأكبر حتى ولو وقع في المعاصي يحصل على الأمن التام، لا.

فالأمن درجات، الأمن التام لأهل التوحيد التام والإيمان التام.

يقول –رحمه الله–: **(بَلْ مَعَهُمْ أَصْلُ الِاهْتِدَاءِ إلَى هَذَا الصِّرَاطِ وَمَعَهُمْ أَصْلُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ)**. حتى ولو عرضوا للعذاب يدخلون الجنة فيأمنون بعد ذلك.

يقول: **(وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ» إنْ أَرَادَ بِهِ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ فَمَقْصُودُهُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ** –يعني من أهل الشرك الأكبر– **فَهُوَ آمِنٌ مِمَّا وُعِدَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُوَ مُهْتَدٍ إلَى ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مُرَادُهُ جِنْسَ الشِّرْكِ؛ فَيُقَالُ: ظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ كَبُخْلِهِ – لِحُبِّ الْمَالِ – بِبَعْضِ الْوَاجِبِ هُوَ شِرْكٌ أَصْغَرُ، وَحُبُّهُ مَا يُبْغِضُهُ اللهُ حَتَّى يَكُونَ يُقَدِّمُ هَوَاهُ عَلَى مَحَبَّةِ اللهِ شِرْكٌ أَصْغَرُ وَنَحْوُ**

---

(١٨) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٨١).

ذَلِكَ. فَهَذَا صَاحِبُهُ قَدْ فَاتَهُ مِنْ الْأَمْنِ وَالِاهْتِدَاءِ بِحَسَبِهِ وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ يُدْخِلُونَ الذُّنُوبَ فِي هَذَا الظُّلْمِ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

على هذا: ظهرت مطابقة الآية هنا للترجمة التي ترجمها المصنف؛ لأن من مات على التوحيد فله الأمن من الخلود في النار، ومن مات على التوحيد التام فله الأمن من دخول النار، من مات على التوحيد وإن كان عنده ذنوب فهو له الأمن من الخلود في النار، قد يدخل النار؛ لأنه صح في الأحاديث أنه «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً»[(١٩)] كما في الصحيحين وغيرهما.

فإذن دخل النار، لكن هذا التوحيد الذي معه وسلامته من الشرك الأكبر أنجته من الخلود في النار، وقد يعفو الله عنه كما قال الله –عز وجل-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨] قد يغفر الله ويدخله الجنة –نسأل الله أن يعفو عنا وعن المسلمين-.

ثم أورد حديث عبادة بن الصامت.

أيها الأخوة: لابد أن يستقيم عندكم أصل: وهو أن التوحيد له شعب، كما أن الإيمان له شعب لأن التوحيد والإيمان شيءٌ واحدٌ؛ أما قال النبي ﷺ: «آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ» قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ»[(٢٠)]، فذكر لهم التوحيد من الإيمان فسر لهم الإيمان بالتوحيد وأعماله، فهذا شعب الإيمان، شعب التوحيد.

---

(١٩) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٩٣).

(٢٠) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب قول الله تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (٥٢٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ (١٧)، من حديث عبد الله بن عباس.

كذلك الشرك شعب –نعوذ بالله– شعبٌ كثيرة ، منها ما هو أكبر ومنها ما دون ذلك في الأصغر ومنها ما هو من شعب الكفر والشرك، وكل ما سماه الله ورسوله في القرآن كفرًا وشركًا من المعاصي التي دون الأكبر في من شعبة.

ولذلك لما فسر الله الإيمان قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات:٧] هنا الإيمان ومضاده، أول قسيم له ثلاثة أشياء:

١. الكفر مضاد للإيمان من كل وجهٍ،

٢. الفُسوق كبائر الذنوب،

٣. العِصيان صغائر الذنوب.

هذه شعب مجانبة للإيمان؛ ولذلك قال النبي ﷺ لأبي ذرٍ لَمَّا عَيَّر بلالًا بأمه وقال: يا ابن السوداء –يعني إنك ابن أَمَة–، فقال النبي ﷺ: «**أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» شُعبة من الجاهلية. فقال أبو ذرٍّ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» [٢١].

وقال ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**» [٢٢] هذه الذنوب:

منها ما هو شرك أصغر: الاستسقاء بالنجوم،

ما هو شرك أكبر: إن سألها،

وما هو من ذنوب: وهو الطعن في الأنساب والفخر بالأحساب، يتفاخرون فيما بينهم؛

فهي شعب.

سمى النبي ﷺ النفاق شعبًا فقال: «**مَنْ لَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ شُعَبِ النِّفَاقِ**»[٢٣]، سماه شعبة؛ التقصير في الواجب، مات عن الغزو الواجب ما هو الغزو المستحب.

---

(٢١) أخرجه البخاري : كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن السباب واللعن (٦٠٥٠)، ومسلم : كتاب الأيمان ، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس (١٦٦١).

(٢٢) أخرجه مسلم : كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة (٩٣٤).

(٢٣) أخرجه مسلم : كتاب الإمارة ، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو (١٩١٠) من حديث أبي هريرة.

وذكر النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(٢٤) والخصلة هي الشعبة.

فإذن هذا التوحيد إن كان تامًا خاليًا من شعب الشرك أو الكفر وهي درجات منها ما يُخرج من الملة وهو المضاد للتوحيد الكامل الذي يُضاد أصل التوحيد، ومنها ما هو دون ذلك، وهو أنواع:

- **منها ما يضاد كمال التوحيد الواجب: وهو الوقوع في المحرمات بدرجاتها.**
- **منها ما يسمى الشرك الأصغر أو الكفر الأصغر وهو أكبر الكبائر.**
- **ومنها ما دون ذلك إلى الفسوق والعصيان.**

فعلى هذا من أراد أن يتم إيمانه فليجرده توحيدًا وليجرده من شعب الشرك؛ ولذلك سيردفه المصنف -رَحِمَهُ اللهُ- في باب تحقيق التوحيد، كيف يحقق التوحيد؟.

قال: وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ... إلى آخر الحديث) .

«مَنْ شَهِدَ» الشهادة لا تكون إلا عن علم، هذه لغة العرب، إما علمٌ بالمشاهدة أو بالسماع، أو بالاستفاضة الخبر اليقيني عنده الذي بلغ درجة اليقين، أو نحو بلغه الظن الغالب؛ فيشهد به، المهم لا بد من علم.

قال -عز وجل-: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩] فاعلم أمره بالعلم.

ولذلك قال البخاري: فابدأ بالعلم قبل القول والعمل، وأورد هذه الآية،

وقال -عز وجل-: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦] شهد بالحق بلا إله إلا الله عن علم، وأحق الحق بالتوحيد حق الله.

وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، لا يكفي شهادة التوحيد.

---

(٢٤) أخرجه البخاري : كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق (٣٤)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق (٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو.

بالمناسبة هناك أمر ينبغي التنبه له هو أن التوحيد لا ينفع إلا بالبراءة من الشرك وترك الشرك والبراءة منه، بمعنى أن العبد لو عبد الله –عز وجل- وعبد غيره لا ينفعه ذلك؛ لأن هذا هو الشرك، أو عبد الله ولم يقع في الشرك لكن لم يَبْرأ منه ما ينفعه إلى آخره.

وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حقيقةً هذه تأكيد للشهادة **من شهد أن لا إله إلا الله**، أي تأكيدها قال: **وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**.

كلمة لا إله إلا الله أي لا معبود إلا الله، ولا شريك له في ذلك.

وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، عبدٌ لله عابد لله ورسوله وهو مربوب.

وَأَنَّ عِيْسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ هذا ردٌ على النصارى: ومنهم من قال: هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؛ عبدوه.

وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، كَلِمَتُهُ كلمة «كن».

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩] كما خلق آدم من تراب وقال له «كن» فكان، وقال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:٢٩] كذلك عيسى كلمة نُفخت، والروح نفخت الروح في جيب مريم وقال الله: كن فكان، قال هو روح ألقاها إلى مريم بواسطة الملك جبريل.

وَرُوحٌ مِنْهُ، أي روح مخلوقة من الأرواح.

ولذلك قال أبي بن كعب: إنها روحٌ من الأرواح التي خلقها الله، واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف:١٧٢]، فهي روحٌ مخلوقةٌ من الأرواح التي خلقها الله كروح آدم التي خلقها الله.

قوله –عز وجل-: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ هذه الإضافة إضافة تشريف، مثل: (بيت الله)، مثل (عبدي)، (روحي)، فهي ليست إضافة صفة، ولا يقول أن الله له روح –تعالى الله عمن يقولون ذلك- لا، يجهل بعض الناس ويظن هذا؛ الروح إضافة تشريف، إضافة مخلوق كما تقول: بيت الله، ناقة الله، ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ [الشمس:١٣] إضافة تشريف ليست إضافة صفة.

وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ.

هذا الموحد، المؤمن، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ، ما معنى أدخله الله على ما كان من العمل؟

من العلماء قال: أدخله الله الجنة بحسب العمل، فإن كان من المُحققين للتوحيد أدخله الله الجنة بلا عذابٍ لن يدخل النار، وإن كان من المقصرين فهو موعودٌ بالجنة؛ إما أن يعفو الله عنه فيدخلها بلا عذاب، وإما أن يُحاسَب ويُجازى ثم يدخل الجنة؛ على ما كان من العمل.

ومنهم من قال: أدخله الله الجنة تفضلًا على ما كان من العمل درجات يَكْسَبُها بعمله، يعني رِفْعَته في الدرجات عمله كان له دَوْرٌ في كسبها وإن كان الفضل كله لله.

المهم أن فيها بيان فضل التوحيد.

وليس المعنى أنه ما دام لم يشرك بالله أنه لن يلج النار؛ بهذا المعنى أبدًا، ليس هذا المعنى؛ لأنه صح في السنة مع ما في الكتاب من أنه يَخرج من النار قومٌ دخلوها ويُخرجون ويُهذبون منها، منهم الجهنميون، ما الذي أدخلهم في النار؟ الذنوب، وما الذي أخرجهم منها؟ التوحيد.

فهم مسلمون؛ لأن الكفار لا يخرجون من النار، قال –عز وجل-: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧] ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨] أما المؤمنون فتنفعهم شفاعة الشافعين.

قال النبي ﷺ: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» [(٢٥)].

وقال ﷺ: «شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الحَيَاة فيخرجون كَمَا تخرج الحبة فِي حميل السيل» [(٢٦)].

ما معهم إلا التوحيد، يخرجهم الله من النار.

---

(٢٥) أخرجه أبو داود : كتاب السنة ، باب في الشفاعة (٤٧٣٩)، والترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٥)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٥٩٨).

(٢٦) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٣٩)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣).

فهذه النصوص تبين أنه يدخل النار عصاة الموحدين، لكنهم منهم من يعفو الله عنه كما قال –عز وجل-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] ما دون الشرك يَغْفِر لمن يشاء.

ثم قال: أَخْرَجَاهُ.

يعني البخاري ومسلم.

وَلَهُمَا فِي حَدِيْثِ عِتْبَانَ.

عتبان بن مالك، وهذا الحديث فيه نوع طول لكن المصنف أورد الشاهد:

«فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ».

ما دام مخلصًا في توحيده فإن الله يحرمه على النار.

وهذا الحديث يفسر على ضوء الحديث السابق كيف أنه حرمه على النار والنبي أخبر أن ممن قالوا لا إله إلا الله يخرجون من النار إذا دخلوها؟

قال العلماء: نار الخلود؛ حَرَّم الله على النار خُلود المسلم فيها، وحرمه الله على النار أن يَخلد فيها؛ لأن النار ناران:

نار الكفار: فهم فيها خالدون لا تفنى أبدًا وأهلها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦].

والنار الثانية: نار عصاة الموحدين، من هذه الأمة أو من غيرهم من أهل التوحيد فإنهم يُخرجون منها فتبقى ليس فيها شيء؛ فتخمد.

فإذن حرم الله على النار، النار التي هي نار الكفار؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث في صحيح مسلم: «وأما النار التي هي النار فلا يلجونها»[٢٧]، المقصود نار الكفار.

فعلى هذا يدل على فضل التوحيد على أهله أنه لا يخلد مع أهل النار –نسأل الله العافية والسلامة-.

---

(٢٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

ثم قال: وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى ﷺ: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ.

هنا سأل دعاءً يذكر الله به يُكثر من الذكر به، أفضل الذكر يعني، ويدعو به يتوسل به؛ يُقَدِّمه وسيلةً للدعاء لأن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] توسل إلى الله بأسمائه.

قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

فهذا يدل على أنها أفضل الذكر، وأفضل ما يتوسل به، وأفضل ما ينجي العبد؛ ولذلك «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ مِنَ الدُّنْيَا: لا إِلَهَ إلا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ» [(٢٨)] ؛ لأنه مسلم مات على الإسلام، وكيف نفسره دخل الجنة؟

على ضوء هذه الأحاديث: بمعنى أنه داخل إليها، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يُصِيبُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ» [(٢٩)]، بمعنى أنه يُخرج بها من النار؛ لأنه موحد، وتقصيره إما أن يعفو الله عنه وإما أن يحاسب به ثم ينجو من النار -نعوذ بالله منها-.

قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا؟

أي أنه مشاع للجميع؛ وبهذا تعلمون أن الشيء إذا كان لا يَستغني عنه العباد يكونون مشاعًا لا يستطيع أحدٌ أن يحجبه عن الناس.

الهواء: يستغني الناس عن الهواء؟، هل أحد يمنع الهواء؟ هل هو بفلوس يُباع؟ ليس بينك وبينه واسطة؛ لأن لا يستغنى الناس عنه.

الماء: أرخص موجود وأعز مفقود؛ لأن الناس لا يستغنون عنه.

وهكذا انظر إلى أقوات الناس: القوت الذي لا يستغنون عنه، متوفر، والذي يستغنون عنه من الأشياء سعره أغلى ويقل حتى في البيوت، وهذه من رحمة الله بعباده؛ ولذلك في الآخرة ليس على

---

(٢٨) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى: لا إله إلا الله (٩١٦).

(٢٩) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٤٨٦، ٦٣٩٦)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ١٠٩)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦١)، وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط والصغير، ورجاله رجال الصحيح».

الناس تكاليف ولا أعمال ومع ذلك يُلهمون التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل كما يلهمون النفس لأنهم لا يستغنون عن ذلك.

وألذ ما في الجنة هذه العبودية والنظر إلى وجه الله، فلذلك سُهِّل عليهم مع أنها دار تفضلٍ وجزاءٍ لا دار تكليفٍ لكن جُعل لهم لحاجتهم إليه.

قَالَ: يَا مُوسَى؛ لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ - غَيْرِي - وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ.

يعني في كفة ميزان.

وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

يعني هل تتقالها أنها كلمات يسيرة مشاعة للناس كلهم يقولونها؟، لو كل السماوات وعامرهن من الملائكة غير الله لأن الله فوق السماء -وهذا يدل على العلو- والأرضين السبع ومن فيهن وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله لعظمها وثقلها.

قال: رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

صححاه، وهذا هو الأصح؛ لذلك وافقه الذهبي وابن حجر في «فتح الباري»، وهو حديثٌ صحيح، وبعض العلماء انتقد هذا وبعض أهل العلم وقال فيه: دراج، الصواب أنه حديث صحيح، إضافةً أن له شاهدًا من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وهو حديث البطاقة الذي «يُخْرَجُ لِلْعَبْدِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، جَمِيعُ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ذُنُوبٌ وَخَطَايَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَقِيَ لَكَ حَسَنَةٌ؟ قَالَ: لَا. قِيلَ: بَلَى. فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». فَيَقُولُ: وَمَا حَجْمُ هَذِهِ البِطَاقَةِ مُقَابِلَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟!» يَعْنِي كَأَنَّهُ تَصَاغَرَ هَذِهِ البِطَاقَةَ «فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ» [٣٠].

وله شاهد من وصية نوح، «إِنَّ نُوحًا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهِ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ؛ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا

---

(٣٠) أخرجه الترمذي : كتاب الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٢٦٣٩)، وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٣٠٠)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٦).

اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كن حلقة مبهمة لقصمتهن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[٣١].

هذا يدل على عظمها، على عظم هذه الكلمة والتوحيد، وأنها عظيمة عند الله وهي أفضل الذكر؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [٣٢].

فهو أفضل الدعاء وأفضل ما قاله النبيون، وهي دعاء لأنها وسيلة إلى الدعاء، سماها دعاءً من جهة أن الدعاء هو العبادة ويطلق على العبادة، فهي عبادة أفضل العبادات، وأفضل وسيلة الدعاء؛ ولذلك موسى سأل ربه شيئًا يتوسل به إليه يجعله في دعائه.

ثم قال: و لِلتِّرْمِذِيِّ - وَحَسَّنَهُ -.

أي رواه الترمذي وقال حديث حسن وهو كما قال.

عَنْ أَنَسٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً».

الله أكبر ، هذا يدل على فضل التوحيد أنه موعود بالمغفرة -إن شاء-.

كما قال -عز وجل-: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] أي ما دون الشرك ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ هذا يُفَسَّر على ضوء الآية، ليس كما يقول الجهلة أنه ما دام موحد يفعل ما يشاء فإنها مغفورة؛ لا؛ هذا وعدٌ، ويدل على فضل التوحيد، ولو لم تغفر له ما دام موحدًا لن يخلد في النار -نعوذ بالله من النار- .

نعم عندك سؤال في الموضوع.

الطالب: ...

الشيخ: لا ، لا هذا المقصود به الشرك الأكبر؛ أحسنت؛ لأن الشرك هو الذي يمنع المغفرة؛ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، أما الشرك الأصغر فهذا في المُوازنة، لأن العلماء اختلفوا فيه - سنتكلم عليه بعد قليل- العلماء اختلفوا فيه: هل هو من قبيل الذنوب والكبائر الذي يدخل في المشيئة

---

(٣١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، وأحمد (٦٥٨٣) ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٤).

(٣٢) أخرجه الترمذي : كتاب الدعوات ، باب في دعاء يوم عرفة (٣٥٨٥)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٥٩٨).

يُغفر، أو لا يُغفر وإنما لابد أن يحاسب به العبد؛ إما يُوازن مع الحسنات فيكون تقابله حسنات تمحوه فإن لم تكن له حسنات لابد أن يعذب به؟ على قولين للعلماء، -وسيأتينا إن شاء الله- الكلام فيه سنبين الأدلة.

بَابٌ: مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

وَقَالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾.

وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ؛ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ، قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ؛ أَنَّهُ قَالَ: «لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»، قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ؛ وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِم رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[٣٣].

الشرح:

هذا الحديث في الصحيحين .

يقول المصنف: **بَابٌ: مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.**

---

(٣٣) أخرجه البخاري : كتاب الطب ، باب من لم يرق (٥٧٥٢)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة (٢٢٠).

أي ولا عذاب؛ لأنه إذا لم يُحاسب لم يُعذب؛ لأن النبي ﷺ قال: «**من نوقش الحساب عذاب**»، فإذا لن يحاسب لم يعذب وبينه الحديث: «**يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»،

مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ .

التحقيق له هو: تخليصه من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع والمعاصي -كما ذكرنا قبل قليل- إن التوحيد هو إخلاص العبادة لله -عز وجل-، ولا يكون ذلك إلا بالإخلاص وبالعبادة، ويضاد الإخلاص الشرك أكبره وأصغره، ومن شُعب الشرك المعاصي، قلنا لكم إن شعب الشرك ليست أنها شركٌ أكبر، لا مثل ما أن ذكر النبي ﷺ شعب النفاق وليست أنها نفاق أكبر هذه لابد تعرفونها.

فتحقيق التوحيد هو تخليصه، تصفيته من شوائب الشرك الأصغر والأكبر، ومن البدع ومن المعاصي.

مثل ما قال -عز وجل-: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [الحجرات:٧] ثم ذكر مضاده فقال: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ [الحجرات:٧] فذكر ما يضاد الإيمان؛ لأن منها ما يضاد أصل الإيمان وهو الكفر، ومنه الشرك الأكبر والنفاق الأكبر، ومنها ما يضاد كمال الإيمان الواجب وكمال التوحيد الواجب وهو الفسوق والعصيان، لأن كل معصية تضاد كمال الإيمان الواجب، ما دون الشرك؛ تضاد كمال التوحيد الواجب.

والواجبات درجات منها: ما هو أركان ،ومنها ما دون ذلك.

كذلك المعاصي درجات منها: ما هي كبائر، ومنها ما هو دون ذلك.

والكبائر درجات منها: ما هو شرك أصغر؛ لأن الشرك الأصغر أكبر الكبائر، ويختلف الشرك الأصغر درجات وأنواع ما لم يبلغ إلى الشرك الأكبر.

فإذن تحقيق التوحيد بتخليصه من هذه الأمور.

وأكمل ما هنالك: أن يزداد في درجات الإيمان، بالإحسان؛ ولذلك المصنف أورد آيتين وحديثًا في بيان ذلك، فأورد أنموذجًا وهو:

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

انظر إلى صفات إبراهيم: الأُمَّة، الحنيف في التوحيد.

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ وهو العلم الواحد الفرد أو القدوة، أمة ما هي صفات هذا الأمة؟

إمام المتقين، إمام الموحدين.

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ القنوت دوام الطاعة والعبادة، ليس فقط أنه موحد، لا قنوت طاعة لله.

﴿حَنِيفًا ﴾ مائلًا عن الشرك.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ براءة من المشركين.

كما قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف:٢٧].

﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل:١٢١] شَكَر النعم؛ لاحظ التعبير هنا ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ أَنْعُم وإن كانت جمعًا فهي مضافة إلى الضمير، يدل على جميع نِعم الله شَكَرها إبراهيم، مقام عظيم جدًا، وابْتُلي البلاء المبين، البلاء العظيم وَصَبَر في مقاومة قومه وإلقاءه في النار: مقاومة النمرود، وابتلاءه بأبيه، أشد البلاء أن يعارضه أبوه، وهجرته لقومه وتَرَك بلده، وابتُلي بابنه بتغريبه عنه، ولما كَمُل وهو يحبه الحب الشديد أُمِر بذبحه؛ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا ﴾ [الصافات:١٠٣] شوف لاحظ التعبير ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ حتى وضع هذا الجبين، هذه الجبهة طرفها من هنا جبين؛ لها جبينان؛ تدلك على أنه وُضِع على الأرض؛ ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ استقبل به القبلة، فدعا الله –عز وجل-؛ فلذلك أُكْرِم بالخلة، أنه خليل الله، والخُلْة لم ينلها إلا محمد وإبراهيم -عليهما السلام-؛ لأنها أعظم المحبة؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] يحب جميع أوليائه يحبهم، لكن مرتبة الخلة بلغها محمد ﷺ وإبراهيم.

فهذا إمام الموحدين حَقَّق التوحيد، وهذا أكمل أنواع التحقيق.

بعده التحقيق بفعل الواجبات واجتناب المحرمات؛ المحرمات كلها كبائر وصغائر وشرك أكبر وأصغر، مَنِ اجتنب جميع المحرمات وفَعَل جميع الواجبات؛ حقق التوحيد الواجب، وإذا اجتنب

المكروهات وما هو خلاف الأولى أيضًا ترقى في الدرجات؛ لأن إبراهيم (شاكرًا لأنعمه) يعني جميع النعم شَكَرها، وهذا من أعظم المقام.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾.

هذه صفات ذَكَرَها الله في الذين حققوا التوحيد؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦١]

انظر صفات الذين حققوا التوحيد.

﴿مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ الخوف من الله.

و﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ كل آيات الله.

﴿بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ أي شرك.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ ما عملوا من عمل، أَعْطَوا من عملٍ لله، ولعباد الله من الحقوق، وهم ﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ خائفون أن لا تقبل منهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ أيضًا مسارعة في الخيرات.

ثم أورد حديث حُصين بن عبدالرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، المهم -أيها الأخوة- حديث حُصين بن عبدالرحمن الشاهد منه: حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب، لكن في قصة حصين لما قال لهم: سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟، البارحة يقول العلماء: البارحة تُقال الليلة التي مضت، برحت، وقبل انقضاها يُقال الليلة، يعني إذا طلع الفجر تقول: البارحة، أما الآن ما تقول البارحة لأننا ما زلنا فيها، تقول: الليلة.

قال: فَقُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ؛ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ.

خشى على النفس من الرياء، أو أن يُظَنَّ به خيرًا، فأراد أن يُهذب هذه النفس أن لا يقول شيئًا لم يكن فيه أو يُظن فيه.

قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟

الفقيه العالم هذا سعيد بن جبير قال: ماذا صنعت لما لدغت؟ ووراء السؤال ما وراءه؛ كأنه يريد أن يخبر بهذا.

قال: **ارْتَقَيْتُ.**

أي الرقية، رقى المكان، رَقَى ولا رَقِيَ؟ رَقَى، رَقِي بمعنى صَعَد، رَقِيَ السُّلم بمعنى صَعَد السلم وزنًا ومعنًى، رَقِيَ صَعَدَ وهكذا، رَقَى مثل دَعَا؛ لأن الرقية من الدعاء، رقى هذا الماضي والمضارع بالعكس، تقول: رَقَى يَرْقِي، وفي الصعود رَقِيَ يَرْقَى؛ عكسها.

لكن إذا أردت أن تزنها حتى ما تنساها التي بمعنى صَعِد مثل وزنها صَعِد رَقِيَ، والتي بمعنى الرقية التي هي ذِكرٌ ودعاءٌ بمعنى دعا وزنًا ومعنى، رقى دعا.

قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟

هذا العمل يحتاج إلى دليل.

قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ، قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟

الشعبي عامر بن شراحيل الشعبي.

قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قال: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ.

هذا الحديث هنا موقوف وصح مرفوعًا.

أَنَّهُ قَالَ: «لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ».

العين: صابت العين الحسد يقول: فلان مُعان مَحسود، إصابته نفس أو عين.

والحمى: السميات؛ لدغة العقرب، هذه تسمى حمي.

«**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**»، امتثل الحديث ورقى نفسه من لدغة العقرب.

قوله: «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**» قال: العلماء لا يعني ذلك أنه لا يجوز رقية ما سوى ذلك؛ لأن النبي ﷺ رقى من أشياء أخرى، وأَذِن بذلك ﷺ، لكن قالوا: إما أن يكون أول الأمر فحَدَّث بريدة بما سمع سابقًا، ثم جاء الإذن بالرقية، قال النبي ﷺ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا**»[٣٤] -ستأتينا هذه المسائل إن شاء الله تعالى-.

---

(٣٤) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك (٢٢٠٠).

هنا قال له سعيد بن جبير: قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ.

إذا كان معك دليل فالحمد لله، هذا محسن، ثم دله على ما هو أكمل، قال:

وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ»، فذكر الحديث.

الشاهد منه قال «وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ».

هؤلاء الذين حققوا التوحيد، هنا هؤلاء حققوا كمال التوحيد المستحب، من اجتنب الشرك –أيها الأخوة– واجتنب المعاصي حقق كمال التوحيد الواجب، يعني الذي يجب عليه أن يفعله، فهذا مُحقق للتوحيد؛ لأنه ليس عنده ما يُوجب دخول النار أو الحساب؛ الذنوب ممحوة بالتوبة والأعمال الصالحة فهو ليس عنده شيء، فهو محقق للتوحيد ومَوْعُودٌ بدخول الجنة بلا عذاب.

قال: فذكر حديثهم ثم ذكر: ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ.

الصحابة لما سمعوا هذا الآن فرحوا؛ من هؤلاء؟ كيف هذه الصفات أن نحققها؟ لأنه فقط أنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ فأصبحوا يبحثون مَنْ هم؟ فقال: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا ولم كذا إلى آخره، تناقشوا في هذا كما في بعض الروايات، فأخبرهم النبي ﷺ؛ وهذا حُسن تعليمه ﷺ أنه أعطاهم المشوق وسكت عنهم؛ حتى يبحثوا عنه، ويقبلوا؛ لأن المعلومة إذا جاءت جاهزة يصبح التلقي لها سهلًا خفيفًا، لكن إذا جاءته مشوقة وحُبِس منها شيء حتى يَطْلُبه ستكون أعظم.

قال: فَخَرَجَ عَلَيْهِم رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

«لَا يَسْتَرْقُونَ».

أي لا يطلبون الرقية، في رواية في صحيح مسلم: «لا يَرْقُون» لكنها ضعيفة، الصواب ما في الصحيحين «لا يسترقون» لأن الراقي محسن يفعل الإحسان وينفع الناس، فهو متعبد لله بالإحسان، فكيف من صفات الكُمَّل أنهم لا يحسنون ما تأتي هذه، ولذلك قال العلماء: هذه معلولة وهم فيها الراوي، بل الصواب: «لا يسترقون» لا يطلبون الرقية لأنفسهم، لا تلتفت أنفسهم إلى غير الله.

هل طلب الرقية محرم؟ لا.

هل هو مكروه؟ لا.

إذن ما هو؟ تَرْكُه توكلًا أفضل؛ لأنه معه الصبر، اصبر على الأذى واصبر على كذا، فهو من باب الأفضل، فمن صفات أهل تحقيق التوحيد أنهم يفعلون الأفضل ويتركون ما تَرْكُه أفضل، وهذا الذي يعبر عنه العلماء يقولون: خلاف الأولى.

«وَلَا يَكْتَوُونَ».

الكي إذا مرض يكتوي، إما يكوي نفسه أو يطلب من يكويه، هل الكي محرم؟

لا، إنما هو مكروهٌ بلا حاجة، ومباحٌ عند الحاجة؛ لأن النبي ﷺ كوى بعض أصحابه وأَذِن به.

لذلك يقول ابن القيم [٣٥]: (**فَقَدْ تَضَمَّنَتْ أَحَادِيثُ الْكَيِّ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ: أَحَدُهَا: فِعْلُهُ**). أن النبي ﷺ فعله، كوى أسعد بن زرارة.

(**وَالثَّانِي: عَدَمُ مَحَبَّتِهِ لَهُ**) وعدم محبته له قال النبي ﷺ: «وَأَكْرَهُ الْكَيَّ» [٣٦] كما في الحديث، وفي رواية: «وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ» [٣٧] لأنه نار.

(**وَالثَّالِثُ: الثَّنَاءُ عَلَى مَنْ تَرَكَهُ**) هنا هذا الحديث «وَلَا يَكْتَوُونَ».

(**وَالرَّابِعُ: النَّهْيُ عَنْهُ**) النهي عنه «وأنهى أمتي عن الكي»، هذا النهي نهي تنزيه يقول العلماء؛ للكراهة يناهم عن أن يلتفتوا إلى هذا، ولأنه تعذيب ولو صبر كان أفضل

فإذن ماذا يقول ابن القيم: (**وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهَا بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّ فِعْلَهُ يَدُلُّ عَلَى جِوَازِهِ، وَعَدَمُ مَحَبَّتِهِ لَهُ لَا يَدُلُّ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ. وَأَمَّا الثَّنَاءُ عَلَى تَارِكِهِ فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَرْكَهُ أَوْلَى وَأَفْضَلُ. وَأَمَّا النَّهْيُ عَنْهُ فَعَلَى سَبِيلِ الِاخْتِيَارِ وَالْكَرَاهَةِ أَوْ عَنِ النَّوْعِ الَّذِي لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، بَلْ يُفْعَلُ خَوْفًا مِنْ حُدُوثِ الدَّاءِ**).

ومع ذلك تركه من صفة المتوكلين ومن صفة المحققين للتوحيد للكمال المستحب، الدرجة العالية.

ولا يَتَطَيَّرُونَ.

ما حكم التطير؛ التشاؤم؟

---

(٣٥) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ٦٠).

(٣٦) أخرجه أحمد (١٧٣١٥) من حديث عقبة بن عامر، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٠٣٥).

(٣٧) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث (٥٦٨٠) من حديث ابن عباس.

محرم.

ومن صفاتهم أنهم يتركون المحرم، ويتركون المكروه، ويتركون المباح الذي تركه أولي؛ أنظر إلى الثلاث صفات.

فيدل على أن تحقيق التوحيد يدور على:

أن تترك المحرم، فهذا تحقيق التوحيد الواجب.

ترك ما زاد عليه للدرجات العالية؛ لتحقيق التوحيد المستحب الذي يدخل الجنة بلا حساب؛ مباشرة، وهذه أعظم المنازل، نسأل الله من فضله، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ووالدينا.

وجامع ذلك كله: وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.

الباب الذي بعده ونوقف والدروس التي بعده نحاول أن نختصر أكثر.

الطالب: الوقت ما في إشكال...

الشيخ: المنظم بحكم.

الطالب: لا يسترقون يا شيخ، يدخل فيه من يرقى نفسه؟

الشيخ: لا، لا يسترقون، السين هذه للطلب، أي يطلب الرقية، أما من يرقي نفسه أو يرقي غيره فهذا محسن؛ لأن النبي ﷺ كان يرقي نفسه كل ليلة، كل ليلة يجمع يديه ويقرأ المعوذات وينفث ثم يمسح، كل ليلة.

الطالب: ...

الشيخ: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي» [(٣٨)] صحيح هذا، نعم، نسأل الله من فضله.

---

(٣٨) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٧)، وابن ماجه: كتاب الزهد ، باب صفة أمة محمد ﷺ (٤٢٨٦) ، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

بَابٌ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾.

وَقَالَ الْخَلِيلُ ﷺ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾.

وَفِي الحَدِيثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، فَسُئِلَ عَنْهُ؟ فَقَالَ: «الرِّيَاءُ» [٣٩].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو للهِ نِدًّا؛ دَخَلَ النَّارَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [٤٠].

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» [٤١].

الشرح:

قال: **بَابٌ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ**.

بعدما ذكر التوحيد؛ فضله، وبيانه، وتحقيقه؛ الآن يذكر الخوف من الشرك؛ ضد التوحيد.

وأورد الأدلة:

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾.

يقول العلماء: أن هنا وما دخلت عليه تؤول بمصدر، فيصير الكلام، شرك، يعني: إن الله لا يغفر شركًا به، يصبح أن أي شرك، لا أكبر ولا أصغر فلا يغفر.

---

(٣٩) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩)، من حديث محمود بن لبيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٥٥).

(٤٠) أخرجه البخاري : كتاب تفسير القرآن ، باب قوله: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا} (٤٤٩٧)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل النار (٩٢)، من حديث عبد الله بن مسعود.

(٤١) أخرجه مسلم رواه مسلم: كتاب الإيمان، بَابُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا دَخَلَ النَّارَ (٩٣) من حديث جابر. وأخرجه البخاري : كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم، كراهية أن لا يفهموا (١٢٩)، من حديث أنس. وأخرجه مسلم : كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل النار (٩٣)، من حديث أبي ذر.

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

من عباده، نسأل الله أن يعفوا عنا وعن المسلمين.

وفي هذه الآية رد على المعتزلة والخوارج الذي يقولون: من ارتكب كبيرة، وبعضهم يقول: أي ذنب، وأشهر أقوالهم الكبائر، أنه خالد مخلد في النار، وهذه الآية يقول الله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ما دون الشرك ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ فهذه فيها رد عليهم.

وهم قالوا: هذه الآية في التائبين، يغفر الله ما دون ذلك لمن يشاء من التائبين.

وقد كذبوا؛ لأن التائبين يغفر الله لهم بالتوبة، والله وعد أنه يقبل التوبة، والتائبون فيهم قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤] حتى الشرك، إذا تاب منه، إذا وقع في الشرك وتاب، يقبل الله توبته بالإجماع، من الذين تابوا من الشرك في زمن النبي ﷺ؟

هؤلاء الصحابة الفضلاء، فإذا كانت الآية تعود على الشرك، فكيف أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء في التائبين، طيب: والشرك؟ يدخل في التوبة، هذه الآية في المصرين على الذنوب من المسلمين إذا ماتوا على ذلك؛ تحت المشيئة.

أما التائب: فذاك قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤] فالتائب يقبل الله توبته؛ التوبة النصوح يقبها الله، وهذا وعد الله، والله لا يخلف الميعاد.

فهنا وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

هذه الآية شديدة ومخيفة.

وهنا: هل يدخل فيها الشرك الأصغر؟

اختلف فيه العلماء؛ لأن بعضهم قال: الشرك الأصغر من كبائر الذنوب، فهو تحت المشيئة.

والمصنف وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم يقولون: لأ، الشرك الأصغر لا يغفر؛ بمعنى لا يعفى عنه، فالذنوب ثلاثة:

شرك أكبر، لا يعفى الله عن صاحبه ولا يدخل الجنة، ولا يخرج من النار إذا مات عليه.

شرك أصغر، لا يغفره الله، وصاحبه ليس بكافر، ولكنه يحاسب عليه ثم يخرج من النار؛ فهو من الكبائر التي لا يعفى عنها؛ إذن الكبائر نوعان:

كبائر تحت المشيئة، ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

وكبائر أخبر الله أنه لا يغفرها، وهي كبائر الشرك ما دون الأكبر.

من العلماء من قال: لا، بل إن الشرك الأصغر داخل في الذنوب، وما دام أن الله لا يغفر أن يشرك به أي الشرك الأكبر.

لكن الظاهر، ظاهر العموم؛ لا، لأن كلمة أن يشرك به، كما ذكرنا لكم: تؤول بمصدر فتكون ؛ لا يغفر شركًا فتفيد العموم؛ لأنها نكرة في سياق النفي؛ لا يغفر، فتعم جميع أنواع الشرك أكبره وأصغره، وهذا ما أختاره شيخ الإسلام ابن تيمية والمصنف، ولذلك المصنف أورد بعده حديث: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ».

ما هو صريح هذا؟

لماذا؟ أورده في هذا الباب؛ أنه لا يغفر.

وعلى كل فهي مسألة خلافية بين علماء أهل السنة.

ثم قال: وَقَالَ الْخَلِيلُ ﵇: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٣٦]

وهذا يدل أنه إذا كان إبراهيم كبير الموحدين يدعو الله أن ينجيه ويجنبه أن يكون في جانب وهي في جانب.

لذلك قال إبراهيم التيمي رحمه الله: **ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟**.

إذا كان الخليل إبراهيم يخاف من الشرك، فمن يأمن البلاء بعده؛ أن يأتي شخص ويقول أنه موحد ويعلم وكذا، نعوذ بالله، وكم مِمَّن غُرَّ فافتتن، وجَهِل فافْتُتن.

ولذلك أخبر النبي ﷺ أن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء؛ خفي، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ. فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَزْنٍ، وَقَيْسُ بْنُ

المُضَارِبِ فَقَالَا: وَاللهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عُمَرَ مَأْذُونٌ لَنَا أَوْ غَيْرُ مَأْذُونٍ. قَالَ: بَلْ أَخْرُجُ مِمَّا قُلْتُ، خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ» . فَقَالَ لَهُ: مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «قُولُوا: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ» [٤٢].

فإذن العبد يحرص على أن يدعو الله أن ينجيه من الشرك وأن يعيذه منه وأن يجنبه إياه، وأن يحسن حتى يعفو الله عنه.

فالشرك على القول الثاني الذي مشى عليه المصنف أن الشرك الأصغر لا يغفر، ماذا قالوا؟ يكون بالموازنة، يوم القيامة ينظر في سيئة الشرك الأصغر الذي مات عليه.

مثل: يحلف بغير الله، لأن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» [٤٣]،

مثل قول: «ما شاء الله شئت» التسوية مع الله بالألفاظ،

مثل: يسير الرياء كما قال النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: «الرياء» . والرياء المقصود به هنا يسير الرياء، لأن الرياء الكبير الذي يعمل لغير الله هذا شرك أكبر، تعبد لغير الله، ويسير الرياء هو أن يعمل العمل لله ويزينه لنظر الناس، كما فسره النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ

---

(٤٢) أخرجه أحمد (١٩٦٠٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥)، وانظر صحيح الجامع (٣٧٣٠).
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٥٨) رقم (٢٢٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} قَالَ: الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلانَةُ، وَحَيَاتِي. وَيَقُولُ: لَوْلا كَلْبُهُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَى اللُّصُوصُ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلا اللهُ وَفُلَانٌ. لا تَجْعَلْ فِيهَا فلان، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ، وسنده حسن، وروي عن ابن عباس مرفوعًا انظر الضعيفة (٣٧٥٥).

(٤٣) أخرجه أبو داود : كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء (٣٢٥١)، والترمذي : كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٥٣٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٤٢).

صَلَاتَهَ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ» [٤٤]؛ فهو يصلي لله، لكنه زين صلاته لنظر الرجل؛ فهذا يسير، هذا شرك أصغر نعوذ بالله.

قال العلماء: على هذا لا يغفر لكنه بالموازنة، يجعل في الميزان سيئة هذا الشرك وما يقابلها من الحسنات، فإن كثرت الحسنات؛ إن الحسنات يذهبن السيئات، نجا، وإن غلبت السيئة على تلك الحسنات عُذِّب عذاب عصاة المسلمين، لأنه مسلم، لم يكفر، فنسأل الله العفو والعافية.

وَفِي الحَدِيثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، فَسُئِلَ عَنْهُ؟ فَقَالَ: الرِّيَاءُ».

فهذا يدل على أنه كما قال الشيخ، يخاف منه؛ النبي ﷺ يخافه على أصحابه.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو للهِ نِدًّا؛ دَخَلَ النَّارَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

هذا يدل على أنه يخشى منه، يدخل النار؛ أخبر النبي ﷺ أنه يدخل النار، الشرك الأكبر؛ دعاء غير الله شرك أكبر.

يَدْعُو للهِ نِدًّا.

الند المثيل، الكلام: يدعو مثيلًا لله؛ بأي شيء؟ هل هو يماثل الله في أنه خالق كالله؛ هل هناك خالق غير الله؟ هل هو مثل صفات الله؟ هل يستحق شيئًا؟

ليس هكذا؛ ندًا لله؛ أي نظيرًا في العبادة، يدعوه كما يدعو الله، وهذا يدل على أن الدعاء عبادة.

قال: وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»

الله أكبر؛ فضل التوحيد.

«وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

وهذه أيضًا كلمة « يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» نكرة في سياق الشرط، قال العلماء: يدل على العموم، أي شرك؛ حتى الأصغر، فصاحب الشرك الذي يلقاه ولو أصغر على التفصيل الذي ذكرناه لكم قبل قليل:

بالموازنة، فإن رجحت سيئة الشرك الأصغر بحسناته دخل النار، ثم يعذب ويخرج منها، نعوذ بالله من العذاب.

---

(٤٤) أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الريا والسمعة (٤٢٠٤)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٣٣٣).

بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ الآيَةَ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ(٤٥)- فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ». أَخْرَجَاهُ(٤٦).

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»، فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ؛ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»(٤٧).

«يَدُوكُونَ»؛ أَيْ يَخُوضُونَ.

الشرح:

قال: **بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.**

يعني الدعوة، الدعاء يعني الدعوة.

---

(٤٥) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ (٧٣٧٢).

(٤٦) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ (٧٣٧٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩).

(٤٧) أخرجه البخاري: كتاب الجزية والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل (٣٠٠٩)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (٢٤٠٦).

وأراد المصنف رحمه الله أنه يجب على العبد بعدما يعرف التوحيد، ويحققه في نفسه أن يدعو إليه، كما مر معنا في دروس المسائل الأربع: العلم والعمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه؛ لابد منها؛ وهذا مقتضى قوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣] فلابد من الدعوة إليه؛ واجبة هذه، وكل بحسبه.

ثم استدل بقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾

هذه طريقتي ﷺ، التي أمره الله بها؛ الصراط المستقيم؛ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٦].

ما هي سبيله وطريقه؟

السبيل الطريق، الدعوة إلى الله على بصيرة، الدعوة إلى الله متضمنة [الإخلاص]، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:١٠٨] أي إخلاصًا، أدعو إلى الله وليس لنفسي، ليس كمثل بعض الجهلة يدعو إلى نفسه؛ ليكون له أتباع، أو إلى حزبه أو جماعته أو مذهبه، ليكونوا أكثر؛ هذا غير صحيح، الدعوة إلى الله وحده لا شريك له، لذلك نبه المصنف في مسائل هذا: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه؛ ولذلك تجده يغضب إذا كان الناس يتبعون غيره من العلماء وهم على حق.

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾

العلم، البصيرة العلم.

قال: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ أي أنا ومن اتبعني ندعوا إلى الله على بصيرة، وهذا يدل على أن اتباع النبي ﷺ ليس فقط أن تقول: أنا تابع له، أو تطيعه فقط في هذا، بل وتدعو إلى دينه، وهو أعظم ذلك التوحيد.

ثم أورد المصنف بعد ذلك حديثين: حديث ابن عباس، وحديث سهل بن سعد.

حديث ابن عباس فيه أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن داعيًا وقاضيًا فيهم، قال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»

كان فيها اليهود والنصارى، أكثر من مشركي العرب، فهم أهل علم بما عندهم من التوراة والإنجيل، وأنهم على دين يرون أنه حق، وعندهم شبهات، فيحتاجون إلى علم في دعوتهم، وحكمة وتنزيل الأمور والبدء بالأهم فالأهم؛ لأنك ستأتي إلى حجج وجدال، وقوم قد اغتروا بأنفسهم قال:

«فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»

أول منصوب على أنه خبر يكن مقدم، يعني: فيكن شهادة أن لا إله إلا الله أولَ ما تدعوهم إليه، هذا يدل على الداعية يبدأ بالتوحيد، لا يبدأ بغيره، لا يبدأ بأشياء قد يكون بعض الجهال من المشركين يحسنونها؛ يبدأ بالدعوة إلى الزهد أو إلى أشياء، بل يبدأ بالدعوة إلى التوحيد قبل الصلاة، فإن كانوا موحدين يحتاج إلى ما بعده، وهكذا، الأهم فالأهم.

قال: «وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ»

هذه رواية عند البخاري، وأوردها المصنف لبيان أن لا إله إلا الله هو توحيد الله.

قال: «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ».

أسلموا، ودخلوا في الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله.

«فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ»

أسلموا، وفعلوا الفرائض ، فنقله إلى الزكاة ثم أعطاه قاعدة في أخذها.

الشاهد من هذا الدعوة إلى التوحيد، وأنها كان النبي ﷺ يبعث الدعاة بالتوحيد، وأول ما يبدأ بالتوحيد.

ثم قال:

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ».

من هذا الرجل؟

علي بن أبي طالب، وهذه تزكية لعلي.

قال: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ.

أي يخوضون، ماذا يريدون؟ يريدون هذه المنزلة، أن يكونوا في هذه المنزلة والتزكية، ولذلك قال عمر: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ؛ لأن فيها هذه الفضيلة.

قال: **فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا.**

هذه لماذا؟

لهذه الفضيلة؛ في الصباح كلهم جاؤوا، غدا الناس.

فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»، فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ؛ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ.

ولذلك صح في الحديث قال: إني ما رمدت بعد ذلك، وما اشتكيت عيني، وهذا من علامات النبوة، وفضيلة علي بن أبي طالب.

لذلك المصنف يقول: وفيه الإيمان بالقدر.

أن من حرص عليها لم يعطاها، والذي شغل بالمرض أعطيها.

قال: **فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ».**

أي ما حولهم من الأرض.

«ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ»

أهل خيبر، أول دعوة إلى الإسلام.

«وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ».

أركان الإسلام والحقوق.

«فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

الله أكبر، رجل واحد يهديه الله إلى الإسلام أفضل من حمر النعم.

النعم: الأنعام، وحمر النعم: الناقة الحمراء، أفضل الإبل عند العرب الحمر لأنها أقوى، وكانوا يقتتلون على الإبل عمومًا، فإجابة واحد إلى دعوة الإسلام خير لك من حمر النعم.

فهذه مما يدعوك إلى الحرص على الدعوة إلى الله، لكن كما قال الله: على بصيرة، ولله.

نقف عند هذا.



المجلس الثاني

في هذا المجلس نُكمل ما كنا بدأنا به من دروس «كتاب التوحيد» من «برنامج أساس العلم»، كنا قد فرغنا في الدروس الماضية -بحمد الله وفضله- من قراءة ودراسة الأبواب الخمسة الأولى، ونقرأ اليوم في الباب السادس وما نستطيع مما بعده وبالله التوفيق.

القارئ:

بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله

وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلِه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلِه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلِه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآيَةَ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[٤٨].

وَشَرح هَذِهِ التَّرْجَمَةِ: مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوَابِ.

الشرح:

هذا الباب قبل نلج فيه: أُذَكِّر **بإخلاص النية** واحتساب الأجر على الإخوان من باب الذكرى تنفع المؤمنين.

وإخلاص النية فسرها الإمام أحمد والعلماء بأن ينوي قال: **لا أعلم خيرًا من العلم لمن صلحت نيته**. قيل: **كيف** تصلح نيته؟ قال: **أن ينوي رفع الجهل عنه وعن الناس**.

---

(٤٨) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٢٣).

هذا جزء من التفسير؛ إذا نوى تحصيل العلم ليرفع الجهل عن **نفسه** ولم يقصد به الرياء والسمعة والتكثر والتَّمَدُّح والبُّروز أمام الناس، فإن ذلك من حُسن النية، وإن أراد التعبد لله لأن الله يحبه، عمله لأنه عبادة محبوبة لله، قال: إخلاص لله.

لكن الإمام أحمد لما قال: ينوي رفع الجهل عن نفسه، لأن هذا هو المقصود من العلم ليس المقصود فيه التعبد فقط، إنما هو العلم ضد الجهل، وأن ينوي رفع الجهل عن نفسه لنفسه، ليعبد الله على علم، وعن الناس ليدعو إلى الله، ففسره بأحسن تفسير.

وهذا بذاته أن ينوي رفع الجهل عن نفسه هذا عبادة، وأن ينوي رفع الجهل عن الناس هذا عبادة، لأنه دعوة إلى الله. هذا فسره بأحسن المقاصد.

الشيء الثاني: الاحتساب: احتساب الأجر:

أن يحتسب الأجر عند الله، ويطلبه من الله، لا يرجوه من الناس.

الثالثة: احتساب الأجر في هذا المجلس:

غير احتساب الأجر في طلب العلم احتسابه في هذا المجلس، وجمهور العلماء قالوا: إنه ينبغي لمن أتى إلى المجلس أن ينوي الاعتكاف ولو قليلًا. وهذا هو الصحيح، لأن الاعتكاف ليس له مدةٌ محدودةٌ إلا لمن نذره، وأقل الكمال يومٌ بليلته، لكن لو نوى ليلةً صح، نوى ساعةً صح، ولذلك يحتسبها العبد أو ينويها.

كذلك أن يستحضر أنه في هذا المجلس لن يخرج مفلسًا، إما أن يدفع الله عنه، وإما أن يأجره، وإما أن يزيده من فضله من العلم الذي يحصله.

وكما في الصحيحين في نفر الثلاثة الذين دخلوا على النبي ﷺ وهو في مجلسٍ من العلم، فأحدهم وجد فرجةً في الصف فأوى إليها، والآخر استحي فجلس خلف الصف، والثالث خرج من المجلس، فقال النبي ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَبَرِ الثَّلَاثَةِ؟**» قَالُوا: بَلَىٰ: يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**أَمَّا الأَوَّلُ فَآوَى، فَأَوَاهُ اللهُ**» لما حرص «**وَأَمَّا الثَّانِي فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ**»، أقل درجة من الأول؛ ولذلك يقولون: لا ينال العلم مستحٍ ولا مستكبر. ثم قال: «**وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**» [٤٩] حُرِمَ الأجر.

---

(٤٩) أخرجه البخاري : كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس (٦٦)، ومسلم : كتاب السلام ، باب من

ثم إن الإنسان قد يسمع في المجلس شيئًا يعرفه أو لا يعرفه، فالذي لا يعرفه علمٌ حَصَّله، والذي يعرفه يَنالُ الأجر بتكراره وسماعه مرةً أخرى.

ثانيًا: يثبته؛ لأن العلم مُعَرَّض للنسيان فيتثبت، مع التكرار يتثبت.

ثم إنه قد يكون ثابتًا محفوظًا فقد ينقدح في ذهنه شيءٌ زائدٌ من العلم؛ إما بإلقاء المُلقي وشَرْحه، وإما بتكراره وبَركة المجلس فينقدح في ذهنه علمٌ أكثر مما هو في نفس المسألة.

فلا يقول الإنسان: والله أنا أعرف والمسائل معروفة؛ لأن أقل ما هنالك أن ينال بركة مجلس العلم، وأن تحفه الملائكة، وأن يَذكره الله فيمن عنده، وأن تنزل عليه الرحمة.

هذه أمور تعرفونها لكن أحببت التذكير بها.

يقول المصنف –رحمه الله-: **بَابٌ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله.**

يعني تفسير التوحيد، وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله.

ومن المعلوم أن شهادة أن لا إله إلا الله هي التوحيد، ولذلك يقول العلماء هذا من باب عطف المترادفين، أو من باب عطف الشيء على نفسه، العطف هنا (واو العطف).

وأراد الشيخ –رحمه الله– أن يبين أن التوحيد هو لا إله إلا الله، وأن الآيات والنصوص والأحاديث التي فيها ذكر أن «لا إله إلا الله» أو «شهادة أن لا إله إلا الله» فالمراد بها هو التوحيد، وبيان أن هذه الآيات التي يوردها والنصوص والأحاديث هو يُفَسِّر بعضها بعضًا؛ لأن –مثل ما تقدم في الدروس الماضية– التوحيد: هو توحيد الله أو إفراد الله بالعبادة وهو الأقسام التي تعرفونها الثلاثة.

ثم قال: **وَشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله.**

الشهادة مأخوذةٌ من الشهود، والشهود من الحضور؛ مشاهدة، والشهادة لا تكون إلا عن علمٍ يقينيٍّ.

ثم **لا إِلَهَ إلاَّ الله** إذا نظرت فيها تجد أن (لا) نافية للجنس، (لا) للنفي تعمل عمل (إنَّ)، وتدخل على النكرة، إلا أن المدخول عليه اسمها لا ينون، لا إله.

ثانيًا: الجملة الأولى (**لا إِلَهَ**) أين خبرها؟ لأن إنَّ لها اسم وخبر، أين هو؟

أتى مجلسًا فوجد فرجة فجلس فيها (٢١٧٦).

محذوف تقديره حقٌ، لا إله حقٌ إلا الله، لابد من التقدير والذي دل على هذا المعنى أنه المراد به حق، لأن بعضهم يقول: لا إله موجود!، وهذا غير صحيح لماذا؟ لأن الآلهة، آلهة الأصنام التي أتخذوها آلهة وسموها العرب آلهة موجودة؛ فإذن هذا غير دقيق، لأن المقصود به: لا إله حقٌ، لأن تلك آلهةٌ باطلةٌ فماذا بعد الحق إلا الضلال؟، إذن هذا هو المعنى لا إله حقٌ.

طيب: كلمة (إله) ما معناها؟

معبود؛ لأن كلمة (أله) هي (عَبَدَ) وزنًا ومعنى، أله يَأْلَه، عَبَدَ يعبد، إِلَهَةً عبادةً، فهي هذا المعنى، هذا معناها في لغة العرب، وأراد المصنف أن يبين الأدلة التي تبين هذا المعنى.

ثم قال: وتفسير ذلك ما يتبعه من الأبواب، الأبواب الآتية كلها تفسر شرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب، الأبواب المقبلة كلها تفسر معنى التوحيد ومعنى لا إله إلا الله، وكما ترون المصنف –رحمه الله– يذكر الأدلة ولا يذكر الشرح ومعنى كذا ومعنى كذا؛ على طريقة السلف إلا أنه يذكر مسائل في ختام كل باب، ويقول: فيه مسائل الأولى كذا والثانية كذا، هي عناصر هي في الحقيقة هذه المسائل التي تجدونها في بعض النسخ هي عناصر دَرْس، لأن الشيخ كأنه يجعل لكل درسٍ عناصر التي يُسمونها الناس رؤوس أقلام، فيقول: تفسير آية كذا معنى آية كذا، ثم يذكر بعض المسائل.

ثم يقول –رحمه الله–: وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء:٥٧].

هذه الآية ذكر البخاري عن ابن مسعود في تفسيرها أنَّ ناسًا من الإنس كانوا يَعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتَمَسَّك الإنس بعبادتهم ويعبدون الجن، فأسلم هؤلاء الطواغيت الذين كانوا من الجن الذين كانوا يضلونهم كما قال الله –عز وجل–: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴾ [الجن:٦] أسلم هؤلاء من الجن، وبقي أولئك يعبدونهم، يدعونهم، ويستغيثون بهم، يقول الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء:٥٧] أولئك الطواغيت التي تدعوها العرب يدعوها من الإنس ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾، أسلموا وآمنوا وهم عباد يعبدون الله ويبتغون إليه الوسيلة ويلجؤون إليه، كلهم يرجوا أيهم أقرب إليه عز وجل، ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ

عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧] فهؤلاء المعبدون هم عباد أمثالكم، كما قال الله –عز وجل– هذا ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود في هذا المعنى. (٥٠)

وذكر بعضهم عن ابن عباس أن المقصود أولئك الذين يدعون، المَدْعُوُّن هنا هم: كعيسى وأمه وعزير والشمس والقمر، يقول ابن عباس: هؤلاء يعبدهم المشركون وهم عباد لله، فكيف يعبدون العبيد؟ (٥١)

فهذا فيه تفسير معنى التوحيد؛ لأنه ابتغاء الوسيلة إلى الله والدعاء الله –عز وجل–؛ لأنه قال: ﴿ يَدْعُونَ ﴾ دعاء الله التوحيد، وصرفه لغير الله شرك، فمعنى لا إله إلا الله: لا يُدعى إلا الله، فبَيَّن –رحمه الله– أن ابتغاء الوسيلة من التوحيد، لأنه قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ هذا من تفسير التوحيد، أنه يبتغي الوسيلة إلى الله بالعبادة ويتقرب إليه ويرجو رحمته ويخاف عذابه، إذن هذا من التوحيد: الخوف والرجاء والتقرب إلى الله هذا هو التوحيد، هذا معنى لا إله إلا الله.

ثم قال –رحمه الله–: وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الزخرف:٢٨].

ما هي الكلمة؟

قال المفسرون: هي لا إله إلا الله.

ما هي لا إله إلا الله؟

---

(٥٠) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ {قُلْ: ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلًا} (٤٧١٤) ، ومسلم : كتاب التفسير، بَابُ {قُلْ: ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلًا} (٣٠٣٠) من حديث ابن مسعود {إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ} قَالَ: «كَانَ نَاسٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الجِنِّ، فَأَسْلَمَ الجِنُّ وَتَمَسَّكَ هَؤُلاَءِ بِدِينِهِمْ».

(٥١) قال ابن كثير في التفسير (٥/ ٨٩): (وَقَالَ السُّدِّيُّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} قَالَ: عِيسَى وَأُمُّهُ، وعُزير. وَقَالَ مُغِيرَةُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: هُمْ عِيسَى، وعُزير، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: عِيسَى، والعُزير، وَالْمَلَائِكَةُ).

﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ إلا الذي خلقني.

﴿بَرَآءٌ﴾ نفي لا إله إلا الله، لا إله نفي هذا الركن الأول، (إلا الله) إثبات هذا الركن الثاني.

فإبراهيم فسرها وذكر الله ذلك عنده وبيَّن أنها كلمة التوحيد، وهي قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ هو هذا معنى (لا إله) ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ (إلا الله) الذي خلقني، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨] جعلها الله كلمة باقية في عقبه، وإبراهيم أوصى بها بنيه ويعقوب ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢] هذه وصيتهم.

فإذن هنا تفسير لا إله إلا الله: البراءة من الشرك.

ولذلك يقول العلماء: قوله -عز وجل-: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦] ما هي العروة الوثقى؟ لا إله إلا الله، ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦] هذه لا انفصام لها.

كيف يتمسك بها؟

يكفر بالطاغوت، وهو ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ وهو (لا إله)، ويؤمن بالله هو ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ هو معنى (إلا الله)، فهي على ركنين: النفي والإثبات.

ثم قال -رحمه الله-: وَقَوْلِهِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [التوبة:٣١].

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يبين أنهم اتخذوهم آلهة، كيف اتخذوهم آلهة؟

صلوا لهم وسجدوا لهم وعبدوهم، لذلك كما في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي بسند حسن أن عدي بن حاتم الطائي لما جاء وأسلم قرأ النبي ﷺ هذه الآية، قال: يا رسول الله إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ ، فسر العبادة بما يفعله أهل الجاهلية من النذر والذبح وكذا إلى آخر الأشياء التي يعرفونها، فقال النبي ﷺ:

«أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» فقال: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم»(٥٢).

ولذلك هذا الشرك يسمى شرك الطاعة، لكنه ليس فقط الطاعة في كل معصيةٍ؛ لأن الإنسان قد يعطيه في معصية وهو يعلم أنها معصية فهذا عصيان، لكن متى تكون شرك الطاعة؟

هو أن يطيعه معتقدًا حلَّ ما يُحِلُّ أو تحريم ما يُحَرِّم، فلو أحل له الخمر المعلوم من الدين بالضرورة ونصوصه بيِّنه، وقال: نعم، ما دام أن الولي فلان أو الشيخ فلان -كما يصنع البعض، يعني الآن المنتسبين للإسلام- يقول ذلك، مثل الرافضة يحللون لهم مشايخهم ويعتقدون ذلك، أنه يحل على فتواه، فهذا هو اتخاذهم آلهة وأربابًا من دون الله، فهم اتخذوا الأحبار والرهبان بذلك أربابًا، بماذا؟ بتحليل الحرام وتحريم الحلال وطاعتهم في ذلك.

لذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره أنه المقصود به يقول: أما إن كان اعتقاد ذلك باقيًا -يعني يعصي يطيعه في المعصية وهو يعتقد أنها حرام- فذلك سبيل أمثاله من العصاة، ليس من باب الشرك.

وهذا ما يسميه بعضهم بشرك الحاكمية، وأنه الحكم بغير ما أنزل الله، لكن لا يُفرد ويُسمى توحيدًا مستقلًا؛ لأنه داخل في توحيد الإلهية من وجه العبودية لله بحُكمه، وداخلٌ في توحيد الربوبية من وجه أن الله هو الحَكَم، أن الله هو المدبر والقاضي بهذه، ولا قاضي إلا هو، لذلك قال النبي ﷺ: « إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ». (٥٣)

على هذا لا يفرد باسم ويجعل نوعًا مستقلًا، لأنه داخل في توحيد الإلهية من وجه وداخل في توحيد الربوبية من وجه، إذن؛ هذا من تفسير لا إله إلا الله وتفسير التوحيد هو إفراد الله بالحكم والطاعة.

طيب، طاعة الرسول ﷺ هي طاعة لله؛ لأن من الذي أمرنا أن نطيعه ﷺ؟ هو الله، فطاعتنا له طاعة لله، ولذلك قال الله -عز وجل-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء:٥٩] ما قال (وأطيعوا أولي الأمر منكم) لماذا؟

---

(٥٢) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، ومن سورة التوبة (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي».

(٥٣) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح (٤٩٥٥)، والنسائي: كتاب أداب القضاة، باب إذا حكموا رجلًا فقضى بينهم (٥٣٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي».

قال العلماء: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول؟ كرر الفعل الأمر أطيعوا، لأن طاعته ﷺ استقلالًا هي طاعة لله ؛ لأنه ما ينطق عن الهوى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم:٣] ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر:٧]، وهو معصوم في البلاغ في التشريع وطاعته طاعة لله.

وقال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ» [٥٤].

أما أولي الأمر من العلماء: لأنهم أولو الأمر في بيان العلم والشرع.

أو من الولاة: لأنهم أولو الأمر في التنفيذ وسياسة وحُكم الناس.

فهؤلاء طاعتهم تبعٌ لطاعة الله ورسوله، ولذلك ما جاءت استقلالًا بالأمر ما قال: (وأطيعوا أولي الأمر) قال: ﴿ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾.

فهم طاعتهم بما؟ قال ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ» [٥٥]، فإذا كانت بغير معروف فلا طاعة.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآيَةَ.

هذه فيها توحيد المحبة، وأن الحب من التوحيد ومن تفسير التوحيد؛ لأنه قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ الند النظير، فهم ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ والمقصود هنا بالمحبة محبة العبودية التي لا تكون إلا لله، ليست المحبة الجبلية العادية أن يحب أهله ويحب ولده ويحب المال ويحب الطعام ويحب الأشياء؛ هذه جبلية، لكن المقصود حب العبادة الذي هو ركن في العبادة.

فأن يتأخذ الأصنام ما الذي فيها حتي يحبها؟ هل يحب الصورة فيها؟ هل لأنها تنفع؟ هل لأنها تضر؟ ليس فيها شيء يحب، فلماذا يحبها؟

إذن هذه العبودية اتخذها آلهة، فلذلك قال: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

---

(٥٤) أخرجه البخاري : كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى: {وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول} (٧١٣٧)، ومسلم : كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٨٣٥).

(٥٥) أخرجه البخاري : كتاب المغازي ، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال: إنها سرية الأنصار (٤٣٤٠)، ومسلم : كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٨٤٠).

إما كحب الله أي كمحبة الله وهي محبة العبادة؛ فاتخذوهم نظراء لله في العبادة.

وإما كحب الله أي كما يحبون الله، ولذلك أثبت الله أنهم يحبون الله ولكنهم اتخذوا معه في هذه العبادة ندًا فأشركوا في هذا الجانب.

يقول صاحب الشرح [٥٦]: (**إفراد الله بأصل الحب الذي يستلزم إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له**).

ثم قال -عز وجل-: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] من المشركين لأندادهم أو لأصنامهم فهم يحبون الله حبًا عظيمًا؛ فأثبت للمؤمنين محبة الله، وليس المعنى أن المؤمنين يحبون الأصنام ولكنهم يحبون الله أكثر، لا، المقصود: المؤمنون يبغضون للأصنام لأنه ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦] لابد من البراءة، فكيف يحبها؟ الذي يحب الأصنام ليس معه براءة وليس معه التوحيد.

وكما تعلمون: أن من أنواع الشرك: شرك المحبة، لأن من المحبة داخلة في التوحيد.

ثم قال -رحمه الله-: **وَفِي الصَّحِيحِ**، يعني صحيح مسلم.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

هذا تفسير التوحيد هو تفسير لا إله إلا الله، كيف فسرت؟

قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» تكفي وحدها لابد « **وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ**»، مثل قوله -عز وجل: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ [البقرة:٢٥٦] بـ «لا إله إلا الله»، فلا يكفي أن يقول «لا إله إلا الله» وهو يعبد الصنم أو يعبد الوثن من قبرٍ أو غيرها أو يحبها؛ لأن هذا لم يحقق الركن: الكفر بما يعبد من دون الله البراءة.

وتفسير الكفر هنا على قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴾ يعبدون من دون الله هذه الأوثان يبرء منها.

قال: «**حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

---

(٥٦) «تيسير العزيز الحميد » (ص: ١١٤).

لماذا؟ لأنه عُصم بالإسلام، ولولا ذلك لم يحرم ماله ودمه لأنه كافر، الذي لم يكفر بما عُبد من دون الله كافر.

قال: «وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ».

من حيث صدقه قد يكون يظهر الكفر بهوى وهو كاذب يؤمن بها في الباطن، فيقول النبي ﷺ لا تتعرضوا له لأنه أظهر الإسلام ولم يَبد منه كُفر فيَحرم ماله ودمه، وأما حسابه إن كان غير صادق فذلك عند الله.

ولذلك في حديث أسامة قال له رسول الله: «أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟!» قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح، فقال النبي ﷺ: «هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟» (٥٧) هلا شققت عن قلبه فعلمتها قالها صدقًا أو كذبًا؟.

هذا في الظاهر، أما حسابه فعلى الله.

فهذا بيان لمعنى لا إله إلا الله أنها لا تتحقق إلا بالكفر لما يعبد من دون الله.

---

(٥٧) أخرجه البخاري : كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامة إلى الحرقة (٤٢٦٩)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله (٩٦) واللفظ له، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

بابٌ من الشِّركِ لُبسُ الْحَلْقةِ والْخَيْطِ ونَحْوهما؛ لِرفْعِ الْبَلاءِ أوْ دَفْعِه

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟»، قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ، فَقَالَ: «انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ[٥٨].

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»[٥٩].

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[٦٠].

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ؛ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى، فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٦١].

الشرح:

هذا الباب من أعظم الأبواب التي تبين جهل الناس يقول: لا إله إلا الله، ويقع في الشرك.

وقوله –رحمه الله–: **مِنَ الشِّرْك**.

---

(٥٨) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٤٠٤)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب تعليق التمائم (٣٥٣١)، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٠٢٩).

(٥٩) أخرجه أحمد (١٧٤٠٤) وضعفه الألباني بهذا اللفظ في الصحيحة (٤٩٢) والضعيفة (١٢٦٦).

(٦٠) أخرجه أحمد (١٧٤٢٢)، وصححه الألباني بهذا اللفظ في الصحيحة (٤٩٢).

(٦١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٤٧٣) رقم (١٢٨٩١) قال حدثنا محمد بن الحسين بن إبراهيم بن إشكاب، ثنا يونس بن محمد، ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم الأحول، عن عزرة، قال: دخل حذيفة على مريض، فرأى في عضده سيرا، فقطعه أو انتزعه، ثم قال: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون). ورجاله ثقات لكنه منقطع فعزرة هو بن عبد الرحمن بن زرارة الخزاعى، الكوفى الأعور وهو ثقة إلا أنه لم يدرك حذيفة.

هنا احتمال أنها يعني الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر لكنه نقول هذا فيه تفصيل، لأنه قال: **لُبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا ؛ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ**.

رفع البلاء إذا حل، أو دفعه قبل أن يحل، مثل الذي يجعل شيئًا يمنع العين أو كذا أو يطرد الجن أو يطرد السحرة أو نحو ذلك تعاويذ يلبسها أو يحملها أو يلبس أشياء يقول: **لِرَفْعِ الْبَلَاءِ** الذي وقع به.

إن كان يعتقد أنها رافعةٌ للبلاء بنفسها فهذا شرك أكبر؛ لأنه اتخذ مع الله آلهة في الإيجاد والخلق والقدرة على الدفع، إن كان يعتقد أنها تدفع البلاء أو ترفعه بذاتها بنفسها ليس بأمر الله؛ فهذا هو الشرك الأكبر.

وإن كان يعتقد أنها سبب ، وأن الله هو المسبب، وأن الله هو الخالق؛ فهذا من الشرك الأصغر، وهذا غالب ما يقع فيه الناس، وهو الظاهر من صنيع المصنف في أنه يريد الشرك الأصغر.

يقول: **لُبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ**.

لبس الحلقة والخيط أن يجعل يده حلقة من صفر أو من حديد أو من نحاس أو ما شابه ذلك أو ما يسمونه بالأسورة النحاسية هذه الأزمنة لرفع البلاء.

وَنَحْوِهِمَا أيضًا من الخرز والخيوط والوَدَع أو ما يسمونه بالحِجاب أو نحو ذلك وأن يكون ليس فيه شيءٌ من القرآن؛ هذا من الشرك.

أما إن كان فيه شيء من القرآن أو الأدعية فهذا مسألة أخرى، ستأتينا في «**باب الرقى والتمائم**»، الكلام في أن يلبس حلقةً أو خيطًا أو وَدَعًا أو مسامير، مثل ما يُعلقون في بعض السيارات (كف وفيها صورة عين) يعني ترد العين، هذا لدفع البلاء، هذا من الشرك.

ثم أورد آيةً نزلت في الشرك الأكبر قال:

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾.

الآلهة هل تدفع الضر إن نزل؟

﴿ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الزمر:٣٨] إذا أراد الله أن ينزل رحمة على عباده، هل تستطيع الآلهة أن تدفعها، أن تمسكها؟

لا، فإذن ما الذي جعل في الخيط والودع ونحوه دفعًا للضر أو جلبًا للخير؟

ليس فيها شيئًا من ذلك ولم يجعل الله فيها شيئًا من ذلك.

ولذلك يقول العلماء: (**من اتخذ سببًا لم يجعله الله حسًّا ولا شرعًّا فقد وقع في الشرك الأصغر**).

لأن الشرك الأصغر أيضًا شركٌ في الأسباب؛ من اتخذ سببًا لم يجعله الله سببًا لا حسًا ولا شرعًا:

حسًا أن يكون أشياء حسية عرفت بالقَطع واليقين، مثل ما يأخذ الدواء المُسَكِّن للألم هذا عُرف بالأطباء وبالتجارب أنها أدوية لها أثرٌ معروفٌ تُسكن الألم هذه لا بأس بها، والنبي ﷺ أَذن بها، هذه أسباب بالعادة عُرفت.

[شرعًا] الأسباب الشرعية التي جاء الشرع بها مثل: ما أذن لنا بالدعاء هذا سبب شرعي، وأذن لنا بالرقية هذا سبب شرعي، وأن نقرأ على المرض، هذا سبب شرعي أذن الله به.

وما سوى ذلك لا، لا يؤذن به، فيقع في الشرك الأصغر.

ثم أورد المصنف دليلًا على أن السلف يستدلون بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر على ما هو من الشرك الأصغر لعموم لفظ الشرك، وأورد حديث حذيفة -رضي الله عنه- الذي رواه ابن أبي حاتم في تفسيره أن حذيفة: رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى، أي بسبب الحمى؛ يظنون أن هذا الخيط سببًا لرفع الحمي، رجل من المسلمين، من التابعين جَهِلَ هذا، وظن من العادات التي لا زالت عند أهل الجاهلية فقطعه بشدة وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾.

فاستدل بالآية التي نزلت في الشرك الأكبر على الزجر عن الشرك الأصغر لعموم قوله: ﴿مُّشْرِكُونَ ﴾ هذا الرجل مؤمن أن الله هو الخالق الرازق المدبر الشافي، لكنه اتخذ سببًا لم يجعله الله سببًا لا حسًا ولا شرعًا، فنهاه عنه وقطعه.

واستدل بحديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ رأي رجلًا في يده حلقة من صفر، جاء في بعض الروايات أن الرجل هو عمران نفسه.

في يده حلقة من صفر، الصفر هو نوع من النحاس.

فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟»، قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ.

الواهنة: عرق يصيب المنكب تخدر به اليد، فيصبح اليد خدران، فاتخذ من الصفر حلقة، نوع من السوار.

الآن: ما حكم الأسورة النحاسية؟

نقول: النبي ﷺ افتى فيها، ما يحتاج إلى اجتهاد.

فَقَالَ: «انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا» رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

أولًا: الأمر بالنزع، وهذا الأمر يقتضي الوجوب، وأنه يجب عليه أن ينزعها.

ثم قال: «فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا»، لأنه يتحلق بها، ولذلك أعقبها المصنف بحديث: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ».

في حديث آخر: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا؛ وُكِلَ إِلَيْهِ»[٦٢].

فأولًا: الوهن يصيبه لأن قلبه يتعلق بغير الله.

ثانيًا: أنه ينزل عليه لأن هذه أحيانًا تكون من الشياطين، الشيطان يمسك هذا العرق ويطلقه فيصبح في حالة: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] فالمؤمن المتوكل على الله تفر منه الشياطين، وإذا دعا الله دعا بقلب صادق، فشفاه الله، وإذا رقى وقرأ على مكان المرض الذي يؤلمه شفي بإذن الله، أما إذا كان متعلقًا بهذه الأمور صرف إليها؛ ضعف قلبه، فقال: «لا تزيدك إلا وهنا» هذا الثاني مما يدل على أنها تسبب الضعف للإنسان.

وقد يكون وهنًا في بدنه؛ لماذا؟ لأنه سيتكل عليها ويترك الاستشفاء، فقد يكون فيه شيء يحتاج إلى شرطة محجم أو دواء أو أشياء حسية، أو إلى رقية، فتبقى الواهنة فيه لأن هذا لا يرفع شيئًا، لا تضر ولا ينفع أبدًا؛ لن تنفع شيئًا، ثم تزيده وهنًا في دينه؛ يضعف إيمانه، لأن معه الشرك الأصغر، والشرك الأصغر ينقص الإيمان نقصًا شديدًا؛ لأنه من الكبائر.

ثم قال: « فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا».

نعوذ بالله، وهذا كله يدل على تغليظ هذا الأمر، وليس سهلًا؛ ما أفلحت أبدًا!

وورد أن عمران رأى رجلًا في يده ذلك فنهاه وأخبره بهذا الحديث عن النبي ﷺ.

---

(٦٢) أخرجه الترمذي : كتاب الطب ، باب ما جاء في كراهية التعليق (٢٠٧٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٥٦).

وقوله: «مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا».

من أدلة من قال أن الشرك الأصغر لا يغفر كما سبق معنا التفصيل، وليس المعنى أن صاحبه كافرًا، ولكن المعنى لابد أن يحاسب عليه أو يكون بالموازنة بين الحسنات والسيئات، وليس المقصود ما دون الشرك يعفو الله عنه عفوًا بلا موازنة ولا عذاب إن شاء عز وجل.

ثم قال: وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ. يعني الإمام أحمد.

مَرْفُوعًا. من كلام النبي ﷺ.

قال: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ».

هذه الأشياء التي يعلقونها، وسيأتينا ما جاء في التمائم، فلا أتم الله له: دعاء عليه؛ لهو لماذا تعلقها؟ لأجل أن يرفع البلاء، فدعا عليه النبي ﷺ، هو دعاء من النبي ﷺ وإخبار بأن الله لن يتم له ذلك لأن هذه لا تضر ولا تنفع، وأنه يعاقب بضد قصده.

« وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ».

نوع من الصدف كالخرز، يتخذونه على أنه يدفع مرضًا أو يدفع عينًا يدفع الجان أو نحو ذلك.

« فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ».

لن يبقي الله له شيئًا، هذا محل الدعاء عليه.

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ».

هذا صريح أنه من الشرك، ليس فقط أنه محرم، لا بل من الشرك، صريح من النبي ﷺ أن هذا من الشرك؛ من التمائم ما يتعلق في رقاب الناس أو الصبيان يكون فيها أشياء يظنون أنها تدفع البلاء.

أما إذا كان فيها شيء من القرآن فهذا سيأتينا في باب التمائم الذي بعده.

نكمل التفصيل في الباب الذي بعده.

بَابٌ مَا جاءَ فِي الرُّقَى والتَّمائم

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ؛ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بعض أسفارِه، فَأَرْسَلَ رَسُولًا: «أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ – أَوْ: قِلَادَةٌ – إِلَّا قُطِعَتْ» (٦٣).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ (٦٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ» (٦٥). رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ.

التَّمائِمُ: شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الأَوْلَادِ عَنِ الْعَيْنِ؛ لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ، وَيَجْعَلْهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ؛ مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ.

وَالرُّقَى هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ، وَخَصَّ مِنْهُ الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ، فَقَدْ رَخَّصَ فِيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ.

وَالتِّوَلَةُ: شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ» (٦٦).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ». رَوَاهُ وَكِيعٌ (٦٧).

---

(٦٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل (٣٠٠٥)، ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب كراهية قلادة الوتر في رقبة البعير (٢١١٥).

(٦٤) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في تعليق التمائم (٣٨٨٣)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب تعليق التمائم (٣٥٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٣٢).

(٦٥) سبق تخريجه.

(٦٦) أخرجه أبو داود: كتاب الطهارة، باب ما ينهى عنه أن يستنجي به (٣٦)، والنسائي: كتاب الزينة، باب عقد اللحية (٥٠٦٧)، وأحمد (١٦٩٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩١٠).

(٦٧) أخرجه ابن أبي شيبة: كتاب الطب، فِي تَعْلِيقِ التَّمَائِمِ وَالرُّقَى (٢٣٤٧٣) عن ليث عن سعيد بن جبير. وليث ضعيف، ويروي عن سعيد بواسطة، لعلها سقطت من هذا السند.

وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا؛ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ»[٦٨].

الشرح:

هذا الباب مكمل للباب الذي قبله، لكن خص الشيخ -رحمه الله- الرقى والتمائم، لما بين من تعلق لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه من الشرك أردف بباب لم يقل إنه من الشرك لأنه يحتاج إلى تفصيل؛ لأن منه ما هو مباح، فلذلك لم يقل من الشرك، قال: **مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ** ، أما حكمها والتفصيل فيها فراعى -رحمه الله- في هذه الترجمة التفصيل؛ لأن الرقى ثلاثة أقسام:

منها **قسم جائز**: وهو ما دل الشرع عليه، والنبي ﷺ رَقَى، ورُقي، وأَمَر بها، قال : «**اسْتَرْقُوا لَهَا، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ**» [٦٩] للجارية، ورَقَى على أصحابه، ورقاه جبريل، ورقته عائشة، ومر معنا حديث بريدة بن الحصيب عن النبي ﷺ: «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**»[٧٠]؛ فدلَّ على أنه قِسمٌ مأذونٌ به.

والقسم الثاني: قسم لا يجوز، وهي الرقى الشركية، أن يعزم ويرقي بأسماء الشياطين والجن وغيرها، ذلك مما يتقرب به إلى غير الله.

والقسم الثالث: مُختلفٌ فيه، وهو ما يُعلق من القرآن أو الدعاء على الصبيان ونحوهم.

فالمصنف أورد الأدلة ثم ذكر الخلاف، وهذا من حسن ترتيبه وتصنيفه -رحمة الله عليه-.

قال: **بَابٌ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ.**

فسرها وسيأتي تفسير المصنف وشرحه.

قال: **فِي الصَّحِيحِ** .

---

(٦٨) أخرجه ابن أبي شيبة: كتاب الطب، فِي تَعْلِيقِ التَّمَائِمِ وَالرُّقَى (٢٣٤٦٧) ورجاله رجال الشيخين لو سلم من تدليس هشيم بن بشير ومغيرة الضبي. وأخرجه ابن أبي شيبة: كتاب الطب، فِي تَعْلِيقِ التَّمَائِمِ وَالرُّقَى (٢٣٤٧١) بسند آخر صحيح عن إبراهيم قال: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ وَالرُّقَى وَالنُّشَرَ».

(٦٩) أخرجه البخاري : كتاب الطب ، باب رقية العين (٥٧٣٩) واللفظ له، ومسلم : كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة (٢١٩٧).

(٧٠) سبق تخريجه.

يعني في الصحيحين البخاري ومسلم.

عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ؛ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في بعض أسفارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا.

أي: رجلًا وهو زيد بن ثابت رضي الله عنه، أرسله في الجيش.

«أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ»

أصلها يبقى، وهذه النون الثقيلة للتوكيد.

«أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ – أَوْ: قِلَادَةٌ – إِلَّا قُطِعَتْ».

هذا تشديد وخاصة، في قلائد الأوتار، لأن الراوي قال: **«قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ – أَوْ: قِلَادَةٌ – إِلَّا قُطِعَتْ»**.

شك الراوي، والصحيح أن المنهي عنه القلادة من الأوتار، والوتر هو ما يكون للقوس، يكون شديدًا من الجلد الممحوس، حتى يكون شديدًا إلى رمى وضربه فيه، هذا يقلدون به الإبل والخيل اتقاء العين والجن، وهذه عادة العرب، وليس المقصود كل قلادة، حتى ولو كانت قلادة الزينة، لأنهم يزينون إبلهم وخيولهم، ولذلك الصحيح أن المقصود بها القلائد من الأوتار، لماذا؟

لأن النبي ﷺ صرح كما في سنن أبي داود والنسائي عن أَبِي وَهْبٍ الْجُشَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ارْتَبِطُوا الْخَيْلَ، وَامْسَحُوا بِنَوَاصِيهَا وَأَعْجَازِهَا، وَقَلِّدُوهَا وَلَا تُقَلِّدُوهَا الْأَوْتَارَ»** (٧١). فأذن بالتقليد ونهي عند تقليد الأوتار، لأن تقليد الأوتار من عادة الجاهلية ليس فيه جَمَالٌ، جِلْدٌ بالٍ يُقَلَّدُ من أجل دفع العين، أما قلادة الزينة فلا بأس بها، لذلك قال الإمام مالك: ما سمعت بكراهتها إلا في الوتر.

قال أبو عبيد: كانوا يقلدون الإبل الأوتار لئلا تصيبهم العين، فأمر النبي ﷺ بإزالتها.

يعني إعلامًا لهم أن الأوتار لا ترد شيئًا.

فإذن هنا هذه صارت من التمائم، نهي عن هذه التمائم، مثل الحلقة من الصفر والخيط وغيرها أنها لا ترد عينًا، فإذا كانت من هذا القبيل فهي من باب اتخاذ الحلقة لدفع البلاء واتقاء العين، ومنها مثل ما ذكرت لكم بعض الناس يجعل في سيارته شيء بال، أو حذاء بال، أو أمام البيت، أو يجعل يد فيها عين،

---

(٧١) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، بَابُ إِكْرَامِ الْخَيْلِ وَارْتِبَاطِهَا وَالْمَسْحِ عَلَى أَكْفَالِهَا (٢٥٥٣) ، والنسائي: كتاب الجهاد، مَا يُسْتَحَبُّ مِنْ شِيَةِ الْخَيْلِ (٣٥٦٥)، وأحمد (١٩٠٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود الأم (٢٣٠١).

أو بعضهم قلادة ذهب فيها عين، بعض الناس اتخذها زينة وما يدري، وهي أصلًا صنعت من هذه الاعتقادات الجاهلية الدراجة في بعض المسلمين جهلًا ويظن أنه يتق العين بها؛ وهذا من الشرك.

ثم قال: **وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ.**

في رواية عند أبي داود: سبب إيراد ابن مسعود لهذا الحديث، وهو أن امرأته زينب كان في عنقها خيط، رآه ابن مسعود، فقال ما هذا؟ قالت : هذا خيط رقي لي فيه.

الآن الرقية ذكر، أين رقيت؟

رقيت على هذا الخيط، وليس رقية على محل المرض ونفث كما كان النبي ﷺ يصنع، إنما جعلت الرقية على الخيط وعلق الخيط، قالت: فأخذه ابن مسعود وقطعه، وقال: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللهِ لَأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ، فسماه شركًا، ثم قال: إن الرقى والتمائم والتولة شرك، فقالت له المرأة: لم تقول هكذا؟ تستدل بالحديث على هذا الشيء، لقد كانت عيني تقذف وكنت اختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقاها سكنت؛ استدلت بوجود الشفاء؛ إذا رقاها بهذا الخيط وعلقه أنه يشفى، مثل ما يحصل الآن في كثير من بعض بلدان المسلمين يذهبون إلى قبور الصالحين والأولياء، ويجدون خيوط خضر وكذا، فيأخذونها ويعلقونها إما في الرأس وكذا، وخاصة يكثر في الروافض، لأن قلوبهم تعلقت بالشرك، فيأخذ خيطًا ويقول: هذا مزور، يعني من الزيارة لا من التزوير، وهو في الحقيقة مزور من التزوير، كله تزوير في تزوير، يقول: بمعنى أنه زار قبور الأولياء، فيأخذ الخيط ويعقده في يده أو على رأسه وكله من الشرك.

فتقول المرأة: لقد كانت عيني تقذف، يعني تقذف الدمع، وكنت أختلف إلى فلان، تذهب إليه الراقي، فإذا رقاها سكنت، فقال ابن مسعود: ذاكِ الشَّيْطَانُ، إِذَا أَطَعْتِهِ تَرَكَكِ، وَإِذَا عَصَيْتِهِ طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي عَيْنِكِ، وَلَكِنْ لَوْ فَعَلْتِ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَانَ خَيْرًا لَكِ، وَأَجْدَرَ أَنْ تُشْفَيْنَ تَنْضَحِينَ فِي عَيْنِكِ الْمَاءَ وَتَقُولِينَ: «**أَذْهِبِ الْبَاسْ رَبَّ النَّاسْ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**».

وهذا الحديث كما هو في سنن أبي داود، أيضًا رواه ابن ماجه وصححه الحاكم وابن حبان وغيرهم.

فابن مسعود أتى بالدليل، وأتى بالعلة التي تدخل على الجاهل، هذه امرأة يدخل عليها بعض الشيء، فعرفت أن أصل الرقية جائز شرعًا فظنت هذا، فبين أن هذا من الشيطان ينخسها.

وذلك ذكرنا لكم أن الواهنة قد تكون من الشيطان، فإذا علق شيئًا سوارًا من نحاس أو نحوه ذهبت خدران الرجل.

ومن العجائب أنه اتصل واحدٌ يسأل عن هذه الأشياء التي يقولون الآن تذهب بالخدران، مثل الحلقات، أسوار نحاسية أو غيره ، ليست القضية أنها نحاس أو غيره، القضية أنها اتخذت حلقة من هذا، فيقول هذا السائل أن أُمَّه في يدها خدران، وأنهم ذكروا أن هذا مصنوع وجرب وجربه الناس فاشتراه لأمه، وأن الأطباء ينصحون به، فالآن أصبحت نصائح الأطباء تؤخذ كالفتاوى الشرعية! ليست القضية أن يجرب أو كذا.

هذه المرأة تقول: عيني تقذف، فإذا رقاها ووضعت هذا الخيط سكنت، هل نقول: هذا طب، خلاص جرب، لا.

يقول: فأتيت به لأمي، فأبت هذه العجوز، هذا المثقف الشاب المتعلم صدق خرافات هؤلاء، وتلك العجوز الموحدة على أصل التوحيد أبت، وقالت: لا، فلما دلها على كلام الأطباء ونحوهم. قالت: حتى تستفي، وإلا. فأخبرته بهذا، قلت: هذه أعلم منك أصبحت، وهي امرأة عامية عجوز، وتذكرت كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في «كشف الشبهات» يقول: (**والعامِّي من الموحِّدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين**)؛ لأن العامي معه أصل التوحيد مُتمسكٌ، وعلماء المشركين معهم الشبهات والأصول التي مشوا عليها من الضلالة تؤزهم بها الشياطين على الباطل.

المهم أن هذا لا يجوز ومحرم، ويذهب الإنسان إلى الرقية الشرعية، كما دل ابن مسعود لما بين أن هذه من الرقية الشركية، لما قال: إنكم آل عبد الله أغنياء عن الشرك، سماه شركًا، ثم قال: أما كان يكفي ما كان يقوله رسول الله ﷺ: «**أذهب الباس رب الناس**»، أي يا رب الناس، «**واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما**» أي: اشف شفاء لا يغادر سقمًا، المؤمن إذا كان واثقًا بالله وأن هذه رقية شرعية أذن الله بها، ودعاء، وتوسل إلى الله ودعاه، ولجأ إليه شفاه الله، أما أن يقع في الشرك.

ولذلك المرأة ماذا تقول؟

تقول: اختلف إلى فلان. يعني تذهب وتجيء، كل يوم يرقى لها رقية، أصبحت واهنة لا تنقضي، أصبحت الواهنة في عينها.

الرقية: يقول المصنف: **هي التي يقال لها العزائم**.

العزائم: هي أن يعزم الراقي على المرض، فإن كان من الجن، لأنه حتى الكهان يعزمون على الجن، يعزم عليهم بالوسيلة التي يتواصل معهم بها؛ إما بالتوسل أو بالتقرب أو بالأمر أو بنحو ذلك.

وإما بالعزائم التي هي العزم على الجن بإخراجه بقراءة القرآن عليه، كما يفعل الراقي المسلم، يقرأ القرآن عليه ويعزم عليه بالخروج، كما قال النبي ﷺ لما جاءه الغلام المصروع قال: «اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ أَنَا رَسُولُ اللهِ» [(٧٢)] فعزم عليه بالخروج وأخرجه، فهنا تسمى العزائم.

لكن، قال: هذا أصل الرقى، يطلق حتى على العزائم الشركية وعلى العزائم والرقى الشرعية.

فقال: خص منها الدليل ما خلا من الشرك؛ فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة وغير ذلك، وأمر النبي ﷺ بالرقية، وأذن بها، وقال: «استرقوا لها»، فالأصل أن الرقية الشرعية مأذون بها.

وذكر العلماء للرقى الشرعية ثلاثة شروط، ذكرها السيوطي ونقلوها عنه في الشروح هنا:

قال: **أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط.**

هذا جوازها بالإجماع إذا اجتمعت فيها ثلاثة شروط:

١. الأول : أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.

يعني يتوسل بأسمائه وصفاته: «أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي»، هذا دعاء، والشافي اسم من أسماء الله، وهذه المناسبة أن يدعو الإنسان في كل مناسبة بما يناسبها من أسماء الله: إن سأل

---

(٧٢) أخرجه أحمد (١٧٥٤٩) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف، عَنْ مُرَّةَ الثَّقَفِيِّ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا بِهِ لَمَمٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ، أَنَا رَسُولُ اللهِ» قَالَ: فَبَرَأَ. فَأَهْدَتْ إِلَيْهِ كَبْشَيْنِ، وَشَيْئًا مِنْ أَقِطٍ، وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُذِ الْأَقِطَ وَالسَّمْنَ وَأَحَدَ الْكَبْشَيْنِ، وَرُدَّ عَلَيْهَا الْآخَرَ».

وأخرج ابن ماجه: كتاب الطب، بَابُ الْفَزَعِ وَالْأَرَقِ وَمَا يُتَعَوَّذُ مِنْهُ (٣٥٤٨) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، من حديث عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ جَعَلَ يَعْرِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلَاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «ابْنُ أَبِي الْعَاصِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَوَاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي قَالَ: «ذَاكَ الشَّيْطَانُ ادْنُهْ» فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ، قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَفَلَ فِي فَمِي وَقَالَ: «اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ» فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «الْحَقْ بِعَمَلِكَ» قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: «فَلَعَمْرِي مَا أَحْسِبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ».

الرزق؛ يا رزاق. إن سأل المغفرة؛ يا غفور. إن سأل الرحمة؛ يا رحمن أو يا رحيم، وهكذا؛ فالشفاء يسأل باسم الشافي، ولا بأس أن يقول: ارحمنا، لأن هذا يشمل الرحمة.

أو بكلام الله: تقرأ الآيات من القرآن، من الفاتحة وسماها النبي ﷺ الشافية، وسماها الرقية، قال: «وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»[٧٣]، وآية الكرسي، والمعوذات نزلت يُرقي بها النبيُّ ﷺ، وكان جبريل يقرأها عليه يرقيه بها، وكان النبي ﷺ يرقي نفسه كلَّ ليلةٍ.

٢. الشرط الثاني: وباللسان العربي وما يُعرف معناه.

شرط أن تكون بلسان عربي حتى يعرف معناه، أو لسان يعرف معناه، كلام يعرف معناه لأنه قد يكون أعجمي والأعجمي ما يَرقي؟ يَرقي؛ لكنه يكون كلامًا معروفًا؛ يسأل بأسماء الله ويدعو الله، باللسان يقول الكلام: أسماء الله وصفاته ودعاؤه بلسان معروف، أما أن يكون لا يعرف معناه؛ طلاسم وغير مركب صحيح، لأن بعض السحرة تجده يقرأ بعض الآيات ويسقط بعض الكلمات، ما يستطيع أن يقولها كلها، لأنه لذا قال الآية كاملة، خنس الجني وهرب، وهو يُلبس على الناس أنه يقرأ القرآن فتجده يُخطئ في القرآن، لا يُخطئ لأنه جاهل، لا، بل متعمد، حتى لا يكون المقروء قرآنًا؛ فهنا : أن تكون باللسان العربي، أن يقول: مثلا: **اللهم اشفه، اللهم اشفه، اللهم اشفه**؛ رقية دعاء، **اللهم أذهب البأس**، أي دعاء، **اللهم اشف مريضك، الله اشف عبدك فلان**، كما قال النبي ﷺ «إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى جِنَازَةٍ»[٧٤].

٣. الشرط الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى.

هي سبب من الأسباب، فهي لا تؤثر بذاتها، وإنما بتقدير الله ذلك وإذنه، وهو الذي أذن به.

أليس الماء يروي من الظمأ؟ هو سبب من الأسباب؛ من الذي قَدَّر أنه يروي من الظمأ؟ هو الله، لو شاء الله لسلبه هذه الخاصية، وأصبح كما لو يشرب الإنسان زيتًا، الذي يشرب الزيت لا يروي من الظمأ،

---

(٧٣) أخرجه البخاري : كتاب الطب ، باب الرقى بفاتحة الكتاب (٥٧٣٦)، ومسلم : كتاب السلام ، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار (٢٢٠١).

(٧٤) أخرجه أبو داود : كتاب الجنائز ، باب الدعاء للمريض بالشفاء عند العيادة (٣١٠٧)، وأحمد (٦٦٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو، صححه الألباني في الصحيحة (١٣٠٤).

الذي يأكل الخبز لا يروي من الظمأ لكنه يشبع من الجوع، فجعل الله لهذه خاصية ولهذه خاصية؛ كذلك الرقية؛ جعلها الله سببًا، ولذلك أذن الله قال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢] فالقرآن شفاء، كما جعل العسل شفاء، كما جعل غيرها من الأدوية شفاء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (**فَكُلُّ اسْمٍ مَجْهُولٍ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَرْقِيَ بِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَدْعُوَ بِهِ وَلَوْ عَرَفَ مَعْنَاهَا وَأَنَّهُ صَحِيحٌ، لَكِنَّهُ يُكْرَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ بِغَيْرِ الْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ**) [٧٥]

إذا كان يُحسن العربية لا يدعو بغير العربية إلا الأعجمي، فيدعو الله بلسانه، لكن العربي لابد من العربية.

قال: (وإنما يرخص لمن لا يحسن العربية، فإما جعل الألقاب الأعجمية شعارًا فليس من دين الإسلام).

يقول المصنف: **التَّمَائِمُ: شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الأَوْلاَدِ عَنِ الْعَيْنِ**؛ ثم فَصَّل:

لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ، يعني كتبت آيات من القرآن أو دعاءً: أسماء الله ونحو ذلك؛

فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، منهم عبد الله بن عمرو بن العاص.

وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ؛ مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، مثل ما تقدم معنا عن ابن مسعود، قالت المرأة: إنه رقي لي فيه؛ فجعله من المنهي عنه وسماه شركًا.

والظاهر أن المصنف يذهب إلى هذا الشيء، وأنه من المنهي عنه؛ ولذلك الأحوط أن يجتنب الإنسان هذا؛ أن يعلق شيئًا على الصبيان أو على نفسه؛ ويقول: إنه فيه قرآن، يجعلون شيئًا يكتبونه ويغلفونه بشيء ويعلقونه.

هذا أولًا الترخيص فيه كما يأتينا عن إبراهيم: **كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن**، فقال التمائم التي تُعلق، وما قال الرقى، يكرهها ابن مسعود وتلاميذه، وينهون عنها.

وهذه الأشياء لو عُلقت في الصبيان فقد يدخل فيها الخَلاء، وهي فيها ذِكر الله، فيجتنب الإنسان ولا يفتح الباب على نفسه من هذا.

ثم قال: **وَالتِّوَلَةُ: شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.**

---

(٧٥) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٢٨٣).

وهذا منهي عنه.

والتولة: نوع من السحر الخفي، ويسمى سحر الصرف والعطف.

وفي رسالة «نواقض الإسلام» قال: (**الناقض السابع: السحر، قال: ومنه الصرف والعطف**) [٧٦]، فنبه على أنه من السحر، فلا يأتي شخص ويقول: نعطف الزوج على زوجته ونُحبب الزوج إلى زوجته أو الزوجة إلى زوجها، وهذا أصلح.

لا، هذا سحرٌ، وليست العبرة بأنه إصلاح أو إفساد، العبرة بأنه تقرب إلى الشياطين واتخاذ ما نهي الله عنه، وأصلًا ما جاء السحر إلا للفساد، قال: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة:١٠٢].

قال: يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.

في بعض الرسائل للشيخ -رحمه الله-: وإن كان مما يخفى [٧٧]، يعني هذا الشرك مما يخفى فلا يُكَفَّر به كالصرف والعطف؛ لأن هناك من أهل العلم من رخص في الصرف والعطف، وهذا قد يخفى، يظنون أنه إحسان؛ لكنه في الحقيقة ليس بإحسان؛ لأنه تقرب إلى الشياطين، لا يخلو من ذلك.

والمهم أن النبي ﷺ قال: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»، فالنبي ﷺ يقول شرك، فنأتي ونقول: إحسان! لو كان إحسانًا لقال إنه إحسان.

ثم قال: وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ.

هذا لأنه يتعلق القلب بغير الله، ويضعف، مثل ما قال: في الحديث: «**إنها لا تزيدك إلا وهنًا**»، «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»؛ ولذلك لا يكون له من الله معين، لأن الله يكله إلى ضعفٍ وقِلَّةٍ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]، الآية لها مفهوم؛ أن الذين لم يتقوا الله ولم يحسنوا في عبادته أنه ليس لهم من الله معية، فيوكل إلى ضعفه وإلى هذه الأشياء ويرفع الله عنه معونته وتأييده.

---

(٧٦) رسالة نواقض الإسلام من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٣٦١).

(٧٧) قال في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٠/ ٩٣): **(فإن الذي لم تقم عليه الحجة، هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية، مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يعرف).**

ثم قال: **وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ»**، وكان كما قال، فقد عمر طويلًا رضي الله عنه.

«فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ».

الشاهد هنا قوله: **«تَقَلَّدَ وَتَرًا»** على عادة أهل الجاهلية يتقون بها العين، وهذا يدل على أنه منهي عنه، وفسرها بذلك الراوي محمد بن الربيع قال: «من تقلد وترًا»، يريد تميمةً التي نهى عنها.

قال: **«فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ»**؛ محمد جاء بالتوحيد، وهذا شرك، وقال الله عز وجل: ﴿**قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون:٢]؛ براءة، فهنا يتبرأ النبي ﷺ ممن تقلد وترًا؛ لأنه لأجل اتقاء العين.

ثم قال: **وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ»**.

أي كأنه أعتق رقبة؛ لماذا؟

لأنه أعتقه من النار، أعتق هذا المسلم من الشرك، ومن النار؛ فكأنه أعتق رقبةً وفدى نفسه بعتقها، فهذا من هذا الجانب.

وبعضهم قال: هذا لا يمكن أن يقوله سعيد بن جبير من اجتهاده لأن هذا لا مجال للاجتهاد فيه، فلابد أن يكون مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وذكره الشارح.

ثم أورد حديث إبراهيم النخعي: قال**«كَانُوا يَكْرَهُونَ»** يقصد أصحاب ابن مسعود، وهم علقمة والأسود وأبي وائل والحارث وعبيدة وغيرهم، وهذه يطلقها كثيرًا لأنهم شيوخه، فهذا يحكي مذهب أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود؛ كبار التابعين؛ **«يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا؛ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ»** حتى ولو كانت مكتوبة من القرآن أو من غيره من الذكر فإنها ممنوعة، يمنعونها ويرون أنها من الشرك؛ لأن شيخهم ابن مسعود أورد حديث النبي ﷺ على ذلك الخيط، وقال: إن الرقى والتمائم والتولة شرك.

بَابٌ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ الآيَاتِ.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا (ذَاتُ أَنْوَاطٍ)، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ (٧٨).

الشرح:

هذا الباب انتقل الشيخ إلى موضوع آخر وهو موضوع التبرك.

فقال: **بَابٌ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا**، ولم يذكر حكمًا، لم يقل شرك ولا ليس بشرك؛ لماذا؟ لأنه الكلام فيه تفصيل.

فإن ذلك قد يكون من البدع وقد يكون من الشرك.

قد يكون من البدع وسيلة الشرك، وقد يكون من الشرك على حسب التفصيل؛ يعني تبرك: أي طلب البركة؛ يأتي إلى الشجر أو الحجر أو نحوها بقع أو غيران أو أماكن يقولون مباركة أو نزل فيها نبي أو فيها مكان نبي أو قبور أو مسجد فيه قبر ولي؛ يتبرك بهذا التي نعلم أنه يأتيها للتمسح من أجل البركة؛ فهذه فيها تفصيل:

فإن كان يظن أن فيها بركة وتنتقل إليه البركة، وأنها تحل عليه البركة بسببها، وقع بالشرك.

وإن كان ليس كذلك ؛ إنما يعبد الله عندها، يظن أن الله يبارك له وقع في البدعة؛ من أين لك هذا التشريع؟ لأنه لا عبادة إلا بإذن شرعي؛ «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (٧٩).

---

(٧٨) أخرجه الترمذي : كتاب الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٢١٨٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٠١).

(٧٩) أخرجه البخاري : كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم : كتاب

ثم أورد قوله عز وجل: وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [النجم:٢٣]، لا تضر ولا تنفع ولا فيها بركة؛ فكيف تتخذونها؟

ثم بين أن منها ما هو حجر، ومنها ما هو شجر؛ ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾، قيل الثالثة في العدد، والأخرى مؤخرة؛ أقل درجة عندهم.

﴿ٱللَّٰتَ ﴾، قرئ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ ﴾، وقرئ: أفرأيتم اللاتّ بالتشديد، وهذا هو أصلها؛ لأنه رجل كان يلت السويق للحاج، ويطعمهم، وكان رجلًا صالحًا، فلما مات عكفوا على قبره، يقول ابن عباس: كان يلت السويق والسمن عند الصخرة ويسلؤه عليها، فلما مات الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة، إعظامًا لذلك.

وقال في رواية: كان رجلًا يلت السويق للحجاج، فلما مات عكفوا على قبره، كما في صحيح البخاري [(٨٠)].

فما الذي أوقعهم بالشرك؟

التبرك؛ تبركوا بهذا الرجل، وهذه الصخرة التي كان يحسن عندها، فعبدوه وبنوا على قبره بُنية، ثم مر الزمان فعبدوه من دون الله، وصار إلهـًا، بل يعبدون أولادهم إليه ويقولون: عبد اللات.

وقرئ بالتخفيف من باب التسهيل في لغة العرب؛ خاصة الحرف الأخير الوقوف عليه عند الوقف يستصعبون أو يستقبحون أن إذا وقفوا عليه يشدد مع وقف، فخفف.

الأول: قبر وصخرة عبدوها.

والثاني: العزى: شجرة، أو ثلاث شجرات، أو نخلة؛ حسب اختلاف الروايات، وفي سنن النسائي الكبرى أنها كانت ثلاث سمرات عليها بيت بوادي نخلة، فلما فتح النبي ﷺ مكة فبعث إليه خالد بن الوليد فقطع الشجرة، وهدم البيت، فلما رجع إلى النبي ﷺ قال: ارجع فإنك لم تصنع شيئًا؛ هل رأيت

الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨)، من حديث عائشة.

(٨٠) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالعُزَّى} (٤٨٥٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {اللَّاتَ وَالعُزَّى} «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ».

شيئًا خرج منها؟ قال: لا. قال: لم تصنع شيئًا، ارجع إليها، فلما رجع وجد امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على وجهها فعلاها بالسيف وقتلها، وقال: يا عزى كفرانك لا شكرانك إني رأيت الله قد أهانك، والسدنة يصيحون يقولون: خذيه يا عزى. يعتقدون أنها تضر وتنفع؛ خرجت جنية من هذا المكان، وكانوا يتقربون إلى هذه الجنية، فعلاها بالسيف وقتلها، ففر أصحابها إلى الجبال السدنة، فرجع إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت كذا، فقال: نعم. يعني قضيت عليها. [٨١]

وقيل إنها سميت العزى من العزيز ، كما قال ابن عباس.

وأما **مناة**: فقيل: إنها سميت مناة أخذًا من اسم المنان، كما قال ابن عباس.

وقيل: مما يمنى عندها من الدماء.

المهم أنهم كانوا يعبدونها ويذبحون عندنا وينذرون فبين أن التبرك أوصلهم إلى هذا الشرك.

ثم ذكر حديثًا فيه نهي النبي ﷺ التوسل إلى الشرك، التوصل به إلى وسائله.

فقال: **عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ.**

لأن هؤلاء كانوا من مسلمة الفتح، فخرجوا إلى حنين وهم حدثاء عهد بكفر، إسلامهم حديث، حنين بعد فتح مكة، فتح مكة في رمضان، وحنين في شوال بعده في السنة الثامنة.

قال: **وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ.**

يعكفون عندها تبركًا من العكوف، وهو المكث الطويل، ويعلقون الأسلحة تبركًا لأجل ينالها البركة ثم بعد ذلك يقاتلون.

يُقَالُ لَهَا (ذَاتُ أَنْوَاطٍ).

---

(٨١) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب التفسير، قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى} (١١٤٨٣) عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ، وَكَانَتْ بِهَا الْعُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ ، وَكَانَتْ عَلَى ثَلَاثِ سَمُرَاتٍ، فَقَطَعَ السَّمُرَاتِ، وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا» ، فَرَجَعَ خَالِدٌ، فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ السَّدَنَةُ وَهُمْ حَجَبَتُهَا، أَمْعَنُوا فِي الْجَبَلِ ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عُزَّى يَا عُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا ، تَحْتَفِنُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ: «تِلْكَ الْعُزَّى».

أي ذات معلقات، النوط مكان التعليق.

قال: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ،

بسدرة، كبيرة أعجبتهم.

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ.

يظنون أنهم إذا أذن لهم النبي ﷺ بذلك صارت بركة، وهذا لأنهم لم يتعلموا التوحيد كاملًا بتفاصيله؛ حدثاء عهد.

ولذلك يقول بعض العلماء: إياك وحادث الاعتقاد.

حادث الاعتقاد، يعني الشخص الذي اعتقاده جديد، علمه في العقيدة جديد؛ فإنه سيحدث إذا تصدر للتعليم أو التأليف أو الرد، وهذا وقع كثيرًا، لماذا؟

لأن العلم لم يرسخ، والعقيدة لم ترسخ؛ تحتاج إلى زمان؛ ثبوت.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ»

أي الطرق، إنها طرق الشياطين.

لأنه ﷺ خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] [٨٢].

وقال: «إِنَّهَا السُّنَنُ» أي طرق من قبلنا.

وقال: «لتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

بل قال ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» [٨٣].

---

(٨٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١١٧٤)، (١١١٧٥)، وأحمد (٤١٤٢) وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٦٦) من حديث ابن مسعود.

(٨٣) أخرجه البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (٧٣٢٠)، ومسلم : كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٦٦٩).

وقال: «حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَأْتِي أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ»[٨٤].

يوجد هذا التشابه.

ثم قال: «قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

خرج بهم للتو من البحر، والفرار من فرعون، ونجوا من هذا، وجدوا الأصنام فقالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ كما لهؤلاء القوم الآن ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾؛ ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ فاسد في خسار﴿وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٩] باطل هذا الصنيع الذي يصنعونه.

فإذن النبي ﷺ زجر عنه زجرًا شديدًا، واستدل بالآية التي نزلت في بني إسرائيل من موسى الشرك الأكبر، واستدل به على هؤلاء الذين طلبوا منه التبرك الذي هو وسيلة إلى الشرك، ما الذي أوقع الناس في عبادة القبور لولا ذلك؟ هذه القبور التي تعبد من دون الله، يذبح لها، وينذر لها، ويطاف سبعة أشواط به، ويتمسح بها، بل وصل بهم الأمر إلى أكبر من ذلك، ما الذي أوصلهم إلى هذا؟

بداية في إجلال هؤلاء، كما في قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا﴾ [نوح:٢٤].

قال ابن عباس: «**هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ**» ماتوا في سنة واحدة «**فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ**»[٨٥] جاءهم الشيطان على مدد.

فهذا الحديث فيه بيان أن من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما وقع في وسيلة الشرك، ولذلك لما جاء عمر -كما في صحيح البخاري- أَنَّهُ قَبَّلَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ وَقَالَ: **إِنَّكَ حَجَرٌ أَسْودُ لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ، ولَوْلا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ**[٨٦].

---

(٨٤) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤١)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٧١ / التحقيق الثاني)، الصحيحة (١٣٤٨) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٨٥) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب {وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} (٤٩٢٠).

وأخبر النبي ﷺ أن مسه ومس الركن اليماني تحط الخطايا حطًا [٨٧].

هذه عبادة جعلها الله كما نطوف بالبيت، هذه أذن الله لنا بها، ففرق بين ما أذن الله به وجعله شريعة، وما لم يأذن الله به، مثل استقبال الكعبة واستقبال بيت المقدس، في أول الأمر شُرع وأُذن به، الآن لو تعبد شخص باستقبال بيت المقدس؛ ابتدع ولا يجوز له ذلك، وشرع شريعة لم يأذن به الله، ويستتاب من هذا الفعل، لأن الله نسخ الإذن، وأذن باستقبال الكعبة وأوجبها، وهكذا.

---

(٨٦) أخرجه البخاري : كتاب الحج ، باب ما ذكر في الحجر الأسود (١٥٩٧)، ومسلم : كتاب الحج ، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود (١٢٧٠).

(٨٧) أخرجه الترمذي: كتاب الحج، بَابُ مَا جَاءَ فِي اسْتِلَامِ الرُّكْنَيْنِ (٩٥٩) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي»، من حديث ابن عمر أنه كَانَ يُزَاحِمُ عَلَى الرُّكْنَيْنِ زِحَامًا مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يفْعَلُهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّكَ تُزَاحِمُ عَلَى الرُّكْنَيْنِ زِحَامًا مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُزَاحِمُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنْ أَفْعَلْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مَسْحَهُمَا كَفَّارَةٌ لِلْخَطَايَا**» وَسَمِعْتُهُ، يَقُولُ: «**مَنْ طَافَ بِهَذَا البَيْتِ أُسْبُوعًا فَأَحْصَاهُ كَانَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ**» وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**لَا يَضَعُ قَدَمًا وَلَا يَرْفَعُ أُخْرَى إِلَّا حَطَّ اللهُ عَنْهُ خَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً**».

بَابٌ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ [(٨٨)].

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ»، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ، قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ، قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا؛ فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلآخَرِ: قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ [(٨٩)].

الشرح:

هذا الباب، قال: **بَابٌ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ**، أي ما حكمه؟ وأنه شرك أكبر، الذبح لغير الله في النسائك التي على وجه التعبد والتقرب، لا يجوز، وهو من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وأورد فيه ما يدل على ذلك، الآية: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

والنسك هو ذبح النسائك، هو: التقرب إلى الله بالذبح؛ لأن النسك العبادة، أو مكان العبادة، فهنا قال: ﴿وَنُسُكِي﴾ عبادتي، في بالذبح، لأن المراد بها الذبح، ثم قال بعدها: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ لله وحده، كما أن الصلاة لله وحده، فكذلك الذبح لله وحده، والمقصود به الذبح على وجه التعبد، ليس الذبح على وجه العادة، لأن هناك عادات مأمور بالذبح بها، كعادة إكرام الضيف، وكعادة

---

(٨٨) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله (١٩٧٨).

(٨٩) أخرجه أحمد في الزهد (ص ١٦) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣) موقوفًا على سليمان الفارسي.

إطعام الأهل الطعام اللحم، إذا اشتهوا اللحم، فلا بأس به، أن يذبح لأجل أكل اللحم ولم يقصد به تعبدًا فلا بأس، مباح، أو يكرم الضيف، فهذا من مكارم الأخلاق، وإن قصد طاعة الله بذلك كان قربة.

والنسيكة: هو ما ذبح تعبدًا لله، شكرًا لله أو تعبدًا، كالعقيقة، وكالهَدْيِّ كالضحية، وكالنذر أن ينذر ذبحًا لله، هذه نسائك لأنها عبادات، المقصود بالباب هنا الذبح الذي على وجه التنسك، ليس الذبح الذي على وجه العادات؛ لأجل اللحم، أو لأن زاره أناس وأراد أن يطعمهم، فهذا لا باس به لأنه من قبيل العادات، لأن المقصود بالذبح التقرب.

انظر إلى الحديث: «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ» هل الذباب يُذبح لأجل الأكل؟ لا، الناس يذبحونه للتخلص منه، يأتون بالمبيدات ويذبحونه للتخلص منه؛ ذبح قتل ليس قتل تقرب، هذا الرجل لما ذبحه تقربًا وهو شيء تافه دخل النار؛ لأن العبرة بالتقرب والتنسك، وليست العبرة بأن هذا حقير أو جليل، ولذلك دخل النار، ومما يذكر في هذا الباب أن **ابنة الشيخ المصنف محمد بن عبد الوهاب** لما كانت في الدرعية وغزاها الأعداء، فرت، لأن منهم من فر ومنهم من أخذ وحبس، ومنهم من قتل، الشارح لهذا الكتاب هذا سليمان بن عبد الله قتله إبراهيم باشا وأخذ أباه الشيخ عبد الله وأعمامه إلى مصر وألزمهم بالإقامة هناك، فجعل الله نقلتهم فتحًا ونشرًا للتوحيد في تلك البلاد، هذه الفتاة فاطمة بنت الشيخ هربت هي وابن أخيها ابن الشيخ علي، أخوها الشيخ علي، هربت إلى جهة عمان، وعمان هذا الإقليم يبدأ من جهة حدود قطر إلى أن تصل إلى دولة عمان، ثم يبدأ إقليم حضرموت ثم يبدأ إقليم اليمن، هذه أقاليم جغرافية ليست حدود دولية، فذهبت إلى هناك، وتجاوزت دبي وتلك الجهة ووصلت إلى رأس الخيمة، قبل أن تصل إلى هناك مروا بقوم لهم وثن يعبدونه ؛ قبر من الأولياء، فقالوا: لا تتجاوزون حتى تقربوا؛ كيف تقربوا من عند هذه البلد تدخلونها دون أن تقربوا شيئًا لهذا الولي؛ نذر؛ لأن البلد هذه ما يدخلها أحد إلا ويتقرب وإلا يصيبه الأمراض وكذا، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٦]، فقال الغلام من الغضب: والله لا نقرب له إلا التراب. يعني على وجه الاستهزاء والسخرية، فغضبت وقالت: لا، ولا التراب، لأنه دخل النار رجل بذباب، فدخلت ولم تقرب شيئًا، وقالوا: سيصيبكم وسيصيبكم، قالت: دعونا منكم، وبَنَتْ خيمةً لها هناك، وبدأت تعلم الفتيات القرآن والسنة و«كتاب التوحيد» و«ثلاثة الأصول»؛ لأنها كانت عَالمةٌ فنشر الله

التوحيد في تلك البلاد ببركة دعوتها، وظنوا أنهم لما دمروا الدرعية أنهم يقضون في زعمهم على الوهابية!، وما دروا أنهم أرسلوا الدعاة إلى هناك، وأخذوهم قهرًا إلى مصر، ونشروا التوحيد، ودرسوا التوحيد، وأعادوا السنة، وكان لهم أتباع ينشرون السنة، وذهبت حتى وصلت إلى المغرب في تلك البلدان؛ فسبحان الله، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة:٣٢]، ولو على غير رضًا من أهل الإسلام والتوحيد، يظنون أنهم مظلمون مقهورون ويرفع الله الدين، وهؤلاء يموتون شهداء وينشرون الإسلام.

المهم أن هذه دلت على أن الذبح لغير الله شرك، لأن الله قال له: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، يعني أول المسلمين من هذه الأمة.

ثم قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

هناك قرن الصلاة بالنسك، وهنا قرن الصلاة بالنحر، فالنسك هو النحر الذبح، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ شكرًا لله، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] شكرًا لله، فلو لم يكن النحر عبادة ما كان فيه شكر، فالشرك لله بأي شيء؟ بالعبادة، فدل على أن الذبح عبادة لا يجوز صرفه لغير الله تعالى.

هنا يقول النووي [(٩٠)] – رحمه الله –: (**وَأَمَّا لذبح لِغَيْرِ اللهِ فَالْمُرَادُ بِهِ أَنْ يَذْبَحَ بِاسْمِ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى كَمَنْ ذَبَحَ لِلصَّنَمِ أَوِ الصليب أو لموسى أو لعيسى –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا– أَوْ لِلْكَعْبَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فكل هذا حرام ولا تحل هَذِهِ الذَّبِيحَةُ سَوَاءٌ كَانَ الذَّابِحُ مُسْلِمًا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ أَصْحَابُنَا**) يعني الشافعية وغيرهم من العلماء، لكن المقصود نقل كلام النووي قال: (**فَإِنْ قَصَدَ مَعَ ذَلِكَ تَعْظِيمَ الْمَذْبُوحِ لَهُ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى وَالْعِبَادَةَ لَهُ كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا**) إذا كان يذبحه تعظيمًا للمذبوح له كان كفرًا لأنه شرك؛ قال: (**فَإِنْ كَانَ الذَّابِحُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ صَارَ بِالذَّبْحِ مُرْتَدًّا**).

---

(٩٠) «شرح النووي على مسلم» (١٣/ ١٤١).

وَذَكَرَ الشَّيْخُ إبراهيم المروزى من أصحابنا) يعني من الشافعية (أن ما يذبح عِنْدَ اسْتِقْبَالِ السُّلْطَانِ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ أَفْتَى أَهْلُ بُخَارَةَ بِتَحْرِيمِهِ لِأَنَّهُ مِمَّا أُهِّلَ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى) الذي يذبح إذا دخل السلطان؛ يذبح أمام دخوله، عند مروره؛ هذا يسمي العقائد، والنبي قال: «لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ» [٩١]، وأفتى العلماء أن هذا منه.

حديث: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»، هذا يدل على أنه كبيرة من الكبائر، والكبائر أعلاها الشرك والكفر، ودون ذلك ما دونه من كبائر الذنوب؛ فمن ذبح لغير الله فهو ملعون على لسان رسول الله ﷺ؛ لأنه مشرك.

ثم أورد حديث طارق بن شهاب: «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ»، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لَا يَجُوْزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا»

ليس بالضرورة أن يكونوا يمروا سويًا، قد يكون مر هذا في وقت، وهذا في وقت، أو يكونوا سويًا، المهم: «فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ، قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ»

يعني ذبيحة أو طعام أو ما يقرب إلى الأوثان.

«قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا»

المقصود عنده هو التذلل له والتعبد.

«فَقَرَّبَ ذُبَابًا؛ فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ»

أذنوا له بالمرور، وقوله «لا يجوز» : أي لا يمر؛ «فَدَخَلَ النَّارَ» بسبب الشرك؛ إذن ما الذي أدخله النار؟

هذا الذبح، قال المصنف وغيره: إذن كان هو مسلمًا، فارتد بهذا الفعل؛ لأنه علق دخوله النار على ذبحه لغير الله، ولو كان كافرًا من الأصل؛ لكان دخوله النار بكفره الأصلي، أما هذا دخل النار بردته.

---

(٩١) أخرجه أحمد (١٣٠٣٢) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا شِغَارَ فِي الْإِسْلَامِ، وَالشِّغَارُ أَنْ يُبَدِّلَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ أُخْتَهُ بِأُخْتِهِ بِغَيْرِ صَدَاقٍ، وَلَا إِسْعَادَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا جَلَبَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا جَنَبَ» وصححه الألباني في المشكاة (٢٩٤٧) .

«وَقَالُوا لِلآخَرِ: قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»

هذا مُسْلِمٌ مُوَحِّدٌ،

«فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ» رواه أحمد.

لأنه شهيد، قُتل في الله ولله.

هذا كله مما يدل على أن الذبح لغير الله شرك أكبر يخرج من الملة.

يقول المصنف في المسائل:

٩ـ كَوْنُهُ دَخَلَ اَلنَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ اَلذُّبَابِ اَلَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ، بَلْ فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِنْ شَرِّهِمْ.

لم يقصد التقرب؛ لكنه تساهل، وهذا يدل على أن من يقع في هذه الكفريات تساهلًا وخوفًا؛ أنه لا يعذر بها، ولذلك ما ذكر المصنف رحمه الله نواقض الإسلام العشرة، فقال: (**ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا**) [٩٢] ففرق بين الخائف والمكره؛ لأن المكره لا خيار له؛ فإنه يفعل الشيء بلا اختيار ولا فعل؛ هذا الذي أخذ الذباب وقربه بأي طريقة قربه؛ إذن قصد الفعل، هنا عنده قصد الفعل، والذي حمله على ذلك الخوف، وليس الإكراه، وإلا بالضرورة يرجع؛ أليس في استطاعته أن يرجع؛ هم يقولون: لا يجوز إلا أن يقرب، فهنا: هذا الرجل؛ الخوف لم يعذر به.

---

(٩٢) نواقض الإسلام من «الدرر السنية» (٢/ ٣٦٢).

بَابٌ لَا يُذْبَحُ للهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾الآيَةَ.

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ ﷺ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا [٩٣].

الشرح:

نعم، **بَابٌ لَا يُذْبَحُ للهِ**، يعني تقربًا لله وتوحيدًا لله **بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ**؛ لماذا؟ لأنه تشبه بهم في المكان.

لأنه محرم هذا الفعل؛ رجل يذبح لله فيأتي إلى مكان أصنام ويذبح ويقول هذه لله! لا يذبح؛ لأنه تشبه والنبي ﷺ قال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» [٩٤].

واستدل بدليلين وهذا من فقهه رحمه الله:

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ الآيَةَ.

في المسجد الضرار ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]، أليس هذا مسجدًا مبنيًا للمصلين؛ لماذا ما تركه، وقال: نجعل فيه إمامًا كذا؟ قال الله: لا

---

(٩٣) أخرجه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر (٣٣١٣)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

(٩٤) أخرجه أبو داود: كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة (٤٠٣١)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٤٣٤٧) عن ابن عمر.

تقم فيه أبدًا، لأنه لم يبن على تقوى الله، فنهى عن عبادة الله في مكان بني لغير الله، أو بني لغير وجه الله، هذا مسجد ضرار؛ لمسجد قباء؛ مضارة، وكفرًا فما بنوه لله قصدوا به النفاق.

﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ سيحلفون، والله يشهد إنهم لكاذبون.

فنهاهم عن الصلاة فيه ؛ لأنه بني لغير الله، مكان يعبد فيه غير الله؛ يتعبدون فيه رياءً.

ثم أورد حديث:

ثَابِت بْنِ الضَّحَّاكِ ﷺ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ.

ينحر إبلًا ببونة؛ ينحرها لله، والنذر لا يكون إلا عبادة، إما لله إن كان نذره لله، أو لغير الله إن كان نذره لغير الله، فنذر لله أن ينحر إبلًا ببوانة، وهو وداي، فكونه يخص هذا الوادي من جهة مكة من جهة يلملم؛ يخصه وليس فيه قربة مقصودة؛ لابد وراءه سر، فقال النبي ﷺ: **«هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟»**

هل هناك قبر أو صنم؟، وليس بالضرورة أن يكون صنمًا؛ لأن **الفرق بين الوثن والصنم** أن الصنم ما صور على صورة هيكل الإنسان أو صورة ذات، هذا يسمى الصنم، فأما الوثن فما بُوشر بالعبادة سواءً كان صنمًا أو غير صنم.

ولذلك قال النبي ﷺ: **«اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»**(٩٥)، ولذلك لم يباشر بالعبادة، لم يباشره الناس بالعبادة كما يفعلون عند القبور الأخرى، حماه الله.

فأجاب رب العالمين دعائه وأحاطه بثلاثة الجدران

هذا سيأتي إن شاء الله.

وسأل النبي ﷺ الناس؛ ليبين هذا: **«هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟»** هل هناك عبادة؟

قَالُوا: لَا.

هذه واحدة.

---

(٩٥) أخرجه مالك في «الموطأ»: كتاب النداء للصلاة، باب جامع الصلاة (٤١٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤٠)، عن عطاء بن يسار مرسلًا. وصححه الألباني في «المشكاة» (٧٥٠).

قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»،

هل لهم عادة؟ محل يأتون إليه كل فترة مرتبة يجتمعون فيه؛ إما سنوية أو شهرية أو غير ذلك؟

قَالُوا: لَا.

ليس فيها من عادات أهل الجاهلية ولا من عباداتهم؛ إذن ليس فيها محذور شرعي؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ».

في معصية الله، إذا كان فيها وثن من أوثان الجاهلية أو عيد من أعيادهم؛ لأنه تشبه بهم في هاتين الحالتين، وهذه معصية، فلا وفاء فيه، ولكن إذا نذر معصية فلا يفي بها، ولا يجوز له الوفاء بها؛ وقال النبي ﷺ: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»[(٩٦)].

ولا فيما يملك ابن آدم، يعني: ينذر أن يذبح ناقة فلان؛ ليست له، ولا يملكها، ولهذا المرأة لما نجت على ناقة النبي ﷺ وفرت من القوم ونجت؛ نذرت لله أن تنحرها، فقالت: يا رسول الله إني نذرت أن أنحرها لله؛ فقال: «بِئْسَمَا جَزَيْتِهَا»[(٩٧)].

---

(٩٦) أخرجه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية (٣٢٩٠) والترمذي: كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ ألَّا نذر في معصية (١٥٢٤).

(٩٧) أخرجه مسلم: كتاب النذر، بَابُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ (١٦٤١) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمْآنُ فَأَسْقِنِي، قَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ»، فَفُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ، قَالَ: وَأُسِرَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَأُصِيبَتِ الْعَضْبَاءُ، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْوَثَاقِ وَكَانَ الْقَوْمُ يُرِيحُونَ نَعَمَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ بُيُوتِهِمْ، فَانْفَلَتَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الْوَثَاقِ، فَأَتَتِ الْإِبِلَ، فَجَعَلَتْ إِذَا دَنَتْ مِنَ الْبَعِيرِ رَغَا فَتَتْرُكُهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْعَضْبَاءِ، فَلَمْ تَرْغُ، قَالَ: وَنَاقَةٌ مُنَوَّقَةٌ فَقَعَدَتْ فِي عَجُزِهَا، ثُمَّ زَجَرَتْهَا فَانْطَلَقَتْ، وَنَذِرُوا بِهَا فَطَلَبُوهَا فَأَعْجَزَتْهُمْ، قَالَ: وَنَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، فَلَمَّا قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ رَآهَا النَّاسُ، فَقَالُوا: الْعَضْبَاءُ نَاقَةُ

ثم ردها؛ لأنها ليست تملكها؛ فماذا تصنع إذا لم يتحقق النذر؟

عليه كفارة يمين؛ لأن النذر في الحقيقة هو عقد يمين معروفة.

لكن إذا نذر مباحًا وفى به، لما قالت المرأة: يا رسول الله نذرت إن ردك الله أن أضرب على رأسك بالدفوف، يعني في غزوة، فقال: أوف بنذرك، فجاءت وضربت بالدف، فهذه المرأة فعلت فرحًا به، وهذا الشيء مباح للنساء، فأذن به.

أما الرجل الذي نذر ببوانة احتاط النبي ﷺ حتى تبين أنه ليس هناك محذور فأذن له بالوفاء بالنذر.

ولذلك الشيخ أورد بعده: **باب من الشرك النذر بغير الله**؛ لتعلق النذر بالذبح لغير الله، وأن يكون في مكان يذبح فيه لغير الله، لترابط هذه الأبواب أورد هذا الباب بعده.

نقف عند هذا، ونكمل إن شاء الله في الدرس المقبل.

رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّهَا نَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: **«سُبْحَانَ اللهِ، بِئْسَمَا جَزَتْهَا، نَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ»**.



المجلس الثالث

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ الله

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾.

وَقَوْلِه: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ» (٩٨).

الشرح:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا الباب -أيها الأخوة- عقده المؤلف بعد ما ذكر ما يكون وما يتعلق بالذبح لغير الله، والذبح لله في مكانٍ يُذبح فيه لغير الله، أَتبعه بباب النذر لغير الله وأنه من الشرك الأكبر؛ لأن النذر عبادة.

وهنا **بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ الله**، أي الشرك الأكبر؛ لأن النذر عبادة، والعبادة لا تصرف لغير الله.

وأورد الأدلة على أن النذر عبادة ثم الدليل أن من نَذر أن يعصي الله فلا يعصيه.

وقوله تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ .

يصف الله عباده الأبرار بأنهم يوفون بالنذر؛ فهذه في مقام المدح، والله -تعالى- لا يَمدح إلا على فِعل واجبٍ أو فِعل مستحبٍ أو على تَرْك محرمٍ.

---

(٩٨) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة (٦٦٩٦).

والواجب والمستحب في حقه -عز وجل- هو العبادات، الذي يتعلق بحقه -تعالى- من واجبٍ أو مستحبٍ هو العبادات، فهذا وجه الدليل، ووجه الدليل من قَوْلِهُ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ أيضًا هذه فيها دلالة على أن جميع ما أَنْفَقَهُ العبدُ أو نَذره من نذرٍ على وجه القربة فإن الله -تعالى- يَعلمه ويُجازيه عليه؛ فمن صرفه لغير الله فقد أشرك لأنه صرف العبادة لغير الله -عز وجل-.

والكلام هنا في قضية فعل النذر، وأنه لا يُفعل ولا يُنذر لغير الله، وليست قضية: هل يستحب النذر أو يباح أو يكره؟ لأن النذر اختلف العلماء فيه: هل هو فعله كعبادة التعبد فيه لله؟ هل هو مستحب أو مباح أو مكروه؟

والكراهة هنا ليست بكراهة التعبد لله، لأ؛ الكراهة هنا لكراهة تكليف النفس ما لم يُكلفه الله، مثل : الوصال في الصيام، الذي نهى النبي ﷺ، قال: «لاَ تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ، فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحَرِ»، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي، وَسَاقٍ يَسْقِينِ»[(٩٩)].

ولذلك من العلماء من قال: الوصال مكروه، ومنهم من قال: الوصال محرم، هل هو لأن الإنسان يَفعل العبادة لله؟ أم لأن الإنسان يُكلف نفسه ما لم يُكلفه الله ولا يُطيقه؟ هنا هذا الجانب.

بعض الناس يسأل يقول: كيف يكون مكروه والله مَدح عليه؟

نقول: الله مَدحه بالوفاء، لأن الإنسان إذا عَقد عقدًا وعاَهد الله عهدًا وَجَبَ عليه الوفاء به، أما قبل ذلك فلا يُستحب له أن يُعاهد عهدًا إلا ما أَمَرَك الله به؛ لأن العبادات: منها ما هو واجب فهذا قد أخذ الله علينا العهد أن نَفْعله، ومنها ما هو مستحبٌ فهذا ندبنا الله إلى فعله.

ولذلك من العبادات من إذا شَرَع فيه العبد وَجب فيه الوفاء وسماه الله نذرًا مثل: الحج والعمرة، قال الله -عز وجل-: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦] يعني إذا دخلتم في نسك حجٍ أو نسك عمرة ولو كان على وجه الاستحباب وَجَبَ عليكم الاتمام ولا يجوزُ النقض؛ ولذلك لما ذَكَر الله ذلك قال:

---

(٩٩) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب الوصال، ومن قال: «ليس في اللّيل صيامٌ» (١٩٦٣) من حديث أبي سعيد.

﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩]؛ فسماه نذرًا، يعني نَذْرَهُم الذين إذا نَذَرُوه أن يُتموه ويُتعبدوا لله به؛ الحج والعمرة سماه نذرًا؛ لأنه عَقْدُ عبادة مع الله.

فإذن هذا الذبح نذرٌ، الصلاة أن يقول: لله عَلَيَّ، هذا نذرٌ وعهد، لله حق أَوْجَبْتَه على نفسك، لله على أن أُصَلِّي، لله عليَّ أن أَصُوم -كما يفعل كثير من الناس- لله علي أن أصوم ثلاثة أيام إن شفى الله مريضي أو أن أتصدق أو أن أحج أو أن أعتمر إلى غير ذلك.

فهنا فرق بين: ابتداء عقد النذر يقول كثيرٌ من العلماء: أنه مكروه العقد، فإذا عَقَدَهُ وَجَبَ الوفاء به لأنه عاهد الله عليه، والكراهة من جانب أن يُكَلِّف نفسه ما لم يُكلفه الله، فقد لا يُطيق ويُسئل عن هذا النذر؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤] سيُسئل عنه، فقد لا يُطيقه لصعوبته أو يَكْسَل، وعند ذلك يُسئل عنه، وليس هنا الكلام في فقه النذر وأحكامه فهذا له باب يَذْكُره الفقهاء في كُتب الفقه تُرَاجع، ولكن المقصود هنا: أن النذر عبادة مثل الصلاة والصيام، بذاته برأسه عبادة.

ولذلك مدح الله الأبرار أنهم ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩] هذه صفة المدح، صفاتهم صفات الممدوحين المؤمنين الأبرار؛ فإذن النذر عبادة لا يجوز صرفه لغير الله، ومن نذر لغير الله شيئًا قَلَّ أو كَثُر فقد أَشْرك الشرك الأكبر.

ثم قال الشيخ: **وَفِي الصَّحِيحِ**.

يعني صحيح البخاري.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ».

هذا أَمْرٌ؛ من نَذَرَ بطاعةٍ فلْيطعه؛ فدَلَّ على وجوب هذه الطاعة، ولذلك إذا نذر عبادةً مُطَاقَة.

العلماء يقسمون النذر خمسة أقسام:

النذر الواجب، والنذر المحرم، ثم النذر المباح، نذر اللِّجاج والغضب الذي ينذره الإنسان بغير قصد التقرب إنما لدَفْع شيءٍ أو لحض النفس؛ يحضها على فِعْلٍ أو يحثها على تَرْك أو غير ذلك يسمونه نذر اللجاج والغضب؛ وغالبًا يكون في حال الغضب وإلا قد يكون بغير غضب، يقول: لله علي أن لا أفعل كذا.

الطالب:....

الشيخ: دعونا يا إخوان، ليس هذا باب النذر نحن نتكلم في التوحيد؛ أن النذر لا يجوز نذره لغير الله، فهنا مَنْ نَذَر أن يُطيع الله فليطعه، هذا الأمر دل على أنه يجب عليه؛ فهو لا يجب إلا العبادة.

وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ.

لو نذر أن يشرب الخمر فهنا لا يجوز الوفاء بهذا؛ لأنه فعلٌ محرمٌ، والمحرم لا يكون طاعةً، لكن لما عَقد مع الله عهدًا وجب عليه عبادة لله؛ وهي أن يكفر كفارة يمين، قال النبي ﷺ: «وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»[(١٠٠)]؛ لأنه عاهد الله بالمعصية أن يفعلها؛ لا يجوز أن يفعلها، ولو فعلها ما وَفَى بالنذر، فما الذي يجب عليه؟ يجب عليه أن يبدلها طاعة، يَحرم عليه فِعلها ويجب عليه إبدالها بطاعة، وهي كفارة يمين، فهذا يدل على النذر من العبادة.

حديث النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال: «فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»[(١٠١)] كما في الصحيحين هذا يدل على كراهة عَقْد النذر.

وقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾، «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ».

يدل على وجوب الوفاء بالنذر إذا وَقَع؛ ليس بينهما تعارض.

وقوله ﷺ: «إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ»، ليس المعنى أنه عبادة غير مقبولة إذا وقعت، لا ، لأن الإنسان لا ينذر إلا إذا احتاج إلى شيءٍ: شفاء مريض أو تحقيق مرغوب أو دفع مرغوب، فيقول: لله علي إن شفى مريضي؛ هل النذر هو سبب شفاء المريض؟

لأ؛ إذن لا يأتي بخير.

هل النذر هو سبب دفع المرغوب؟

لا ، هل الله يتعامل معه بالمعاوضة والمقايضة والبيع والشراء؟ لا تصوم ولا تنذر ولا تفعل إلا إذا فعل لك ذلك؟، هذا هو الباب أنه «لا يأتي بخير»، بمعنى أنه لا يأتي بما تُريد هو السبب، ولذلك من

---

(١٠٠) سبق تخريجه.

(١٠١) أخرجه البخاري : كتاب القدر ، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر (٦٦٠٨)، ومسلم : كتاب النذر ، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئًا (١٦٣٩).

جهل الناس وادخال الشيطان عليهم هذا أنه يقول: لله علي إن شفيت مريضي فلك كذا، ويَظن أنه كان هو السبب في الشفاء؛ ليس هو، النبي أخبر أن النذر ليس سببًا في الشفاء مع أنه أخبرنا أن الدعاء سبب وأن الصدقة سبب، قال: «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ» (١٠٢) ، وأخبرنا أن الدعاء سبب في دفع البلاء، وأنه سبب في جلب الخير، وأخبرنا أن النذر ليس سببًا لجلب خير ولا دفع شر.

فلذلك يُكره؛ لأنه فيه معنى المعاوضة مع الله بيعًا وشراءً؛ أنت عبدٌ لله، وأَذن الله لك بالعبودية فلا تتعامل مع الله تَعَامُل التاجر والبائع والمشتري والمعاوضة؛ بل اخبت إليه واسأله وافعل ما أذن لك به.

---

(١٠٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠١٩٦) من حديث ابن مسعود بلفظ: «حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ»، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣٤٩٢).

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ الله

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١٠٣].

الشرح:

يقول: مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ الله.

الاستعاذة هو: طلب العوذ واللجوء والاعتصام؛ فهو عَوْذٌ بالله –عز وجل– .

في أصلها: هي طلب العوذ؛ سواءً من الله أو من غيره؛ لكن العبادة هو أن يستعيذ بالله، كمن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم أو يستعيذ بالله من ضرر أَحدٍ، لكن ما الذي يبلغ درجة الشرك؟ هو الاستعاذة بغير الله فيما لا يَقدر عليه إلا الله، أما الاستعاذة في الأمور العادية؛ كأن يلجأ شخصٌ إلى الشرطة تحميه من مجرمٍ فهذا يلجأ إلى مَنْ يقدرون للدَّفع عنه هذا في العاديات، هذا نوع من ا لعادة وليس عبادة، متي يكون عبادة؟ إذا كانت استعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

فمثلًا الذي يستعيذ بقبر؛ يأتي عند الولي ويستعيذ به لأجل يحميه من الضرر؛ هل الولي هذا يستطيع أن يدفع شيئًا؛ يضر وينفع؟ لا يستطيع؛ إذن هو استعاذة بغير الله؛ الاستعاذة الشركية؛ لأنه ما أتى إليه إلا وفي نفسه أنه قادرٌ وكيف وهو يقدر؟ هل لو جيء إليه وحُفر قبره ونُبشت عظامه ورُميت بالخلاء، هل يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئًا؟ لا يستطيع لا يدفع عن نفسه فكيف يدفع عن غيره؟ هذه الاستعاذة الشركية.

واستدل المصنف بقول الله تعالى على لسان مؤمني الجن لما أسلموا ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

أخبروا عن الشرك الذي كان يَقع فيه بعض الإنس بالالتجاء إلى الجن؛ يَعُوذون إليهم، كيف كانوا يفعلون؟ كانوا إذا نَزَل العرب من عادات جاهليتهم إذا نزلوا في وادٍ يخافون من إضرار الجن بهم أن

---

(١٠٣) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء (٢٧٠٨).

تَمَسَّهم في أبدانهم أو في أموالهم فيقولون: يا سيد هذا الوادي إنا نَعُوذ بك من سُفهاء قومك، سيد الوادي، يعني وادي الجن؛ لأن الجن موجودون، فيقولون: للسيد سيدهم يعني زعيمهم نعوذ بك، فيقول: هؤلاء بجواري.

هذه الاستغاثة والاستعاذة عبادة؛ بل وبعضهم إذا أتى إلى وادٍ أو كذا ذَبَح ذبيحةً للجن ليدفع عنهم، مثل ما يصنع بعض الناس إذا دخل بيتًا جديدًا ذبح عند العَتبة لدخوله ذبيحةً وأَخَذَ من الدم ولطخها، هذه لمن؟ هي للجن؛ ليدفع الجن العين والحسد عن بيته؛ هذا هو الشرك جَمَعَ بين الذبح لغير الله والاستعاذة بالجن والخوف منهم، جمع أنواع الشرك.

فهذه تدل على أن الاستعاذة بغير الله أو بالجن إنما هو مِن فِعل المشركين الذي ذكره الله عنه تحذيرًا للمؤمنين من أن يقعوا في شركهم.

والمصنف أورد الدليل الذي فيه بيان كيف يستعيذ المسلم؛ إذا كان الاستعاذة من الجن ونحن لا نراى التخوف من وقوعهم ونحن لا نراهم أو الضرر؛ كيف نصنع إذا نزلنا منزلًا حتى لا نَقَع بمثل ما فعل الجاهلية؟ أخبرنا النبي ﷺ أن نستعيذ بالله.

فقال: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا».

أي منزل، حتى ولو في البلد؛ ليس بالضرورة أن يكون مسافر أو في البرية في أي نُزول ينزله.

«مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».

المؤمن إذا كان واثقًا بالله ومواظبًا على هذا سيحميه الله ويعيذه؛ لأنه استعاذ بالله، ولا يحتاج إلى تعويذات الجن والشياطين والذهاب إلى السحرة؛ لأن كثيرًا من الناس تجده يذهب إلى السحرة لأحميه من سَحَرة أو من أعدائه ويأخذ منهم أشياء ويُعلقها معه كما يحصل، تجد بعض الناس معه أشياء لماذا؟ قال: هذه عن العين وعن الجن وعن كذا؛ هذه من الضلالات.

الطالب: ...

الشيخ: أي مَنْزِل، لأن الضرر ليس خاصًا بالجن؛ قد توجد العقرب أو دواب.

في هذا: فضيلة هذا الدعاء، مع أنه مختصر.

وجاء أيضًا أنه من دعاء المساء، يقوله الإنسان في دعاء المساء [(١٠٤)]، وفي بعض الروايات أنه يقوله: **ثلاث مرات** [(١٠٥)].

إذا نزل منزلًا أو إذا أمسى يقول: **أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**، فيواظب عليه الإنسان.

وجاء في رواية عند الترمذي: وفي الصباح، ولو كان في إسنادها شيء؛ فيقوله المسلم في أذكار الصباح والمساء، في المساء: التي ذكرها المصنف.

يقول: **أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ يَحْصُلُ بِهِ مَنْفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ -مِنْ كَفِّ شَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ-؛ لا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ.**

يعني لو استعاذ بالجن ودفعه عنه، لا يعني ذلك أنه مباحٌ؛ هو شركٌ، فحصول المنفعة الدنيوية لا تعني جوازَ الشيء؛ فإن ذلك من البلاء والابتلاء.

هنا قضية: «**من شر ما خلق**» الذي يستعيذ به الإنسان؛ ذكر ابن القيم -رحمه الله- أن المقصود من شر ما خلق؛ من شر كُلِّ مخلوقٍ فيه شرٌّ، وليس من شَرِّ كُلِّ خَلْق الله أو كل ما خَلقه الله، فإن الجنة لا شر فيها، والملائكة لا شر فيهم، والأنبياء لا شر فيهم، فليس المعنى من كل الخلق إنما المراد من شر كل ذي شر، والشر يُطلق على الألم وما يُفضي إلى الألم، الألم قد يكون في البدن وقد يكون في النفس؛ يحصل للنفس من الضيق والألم وكذا وما يفضي إليه سببه.

---

(١٠٤) أخرجه مسلم : كتاب الذكر والدعاء ، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٢٧٠٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ».

(١٠٥) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٦٠٥)، وأحمد (٧٨٩٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

بَابٌ مِن الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ..الآيَتَيْنِ.

وَقَوْلِهِ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾.. الآيَةَ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ؛ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ ﷻ» [١٠٦].

---

(١٠٦) وقد ذكره ابن كثير في «جامع المسانيد والسنن» (٤/ ٥٦٨) (عليٌّ بن رباح عن عبادة) رقم (٥٧٨٠) قال الطبراني: حدثنا أحمد بن حماد بن زُغْبَة المصرى، حدثنا سعيد ابن عُفَيْر، حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن على بن رباح، عَنْ عُبَادَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، إِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ – عَزَّ وَجَلَّ». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) رقم (١٧٢٧٦): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ ابْنِ لَهِيعَةَ، وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ. وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ بِغَيْرِ هَذَا السِّيَاقِ، وَهُوَ فِي الْأَدَبِ فِي بَابِ الْقِيَامِ. قال ابن كثير: إنما رواه أحمد بن على عن رجلٍ، عن عبادة، كما سيأتي في الْمُبْهَمَاتِ عنه.

وقد أخرجه المعافى في «الزهد» (٨٥)، وأحمد (٢٢٧٠٦) وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٩٥) ثنا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، كلاهما (المعافى، وموسى) يقول: حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، أَنَّ رَجُلًا، سَمِعَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، يَقُولُ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُقَامُ لِي، إِنَّمَا يُقَامُ لِلَّهِ». ورواية المعافى عن ابن لهيعة قديمة.

وذكره ابن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب (ص: ٣٠١) فقال: ومنها حديث ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، أن عليّ بن رباح حدثه، قال: حدثنى من سمع عبادة بن الصامت. وهذا صريح في الانقطاع.

وهذا أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٤٤٥) رقم (١٣٦٠٢) وذكره ابن كثير في التفسير (٥/ ٣٣٣) مطولًا قال: ذُكِرَ عَنْ زَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعة، حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ زَيْدٍ الْحَضْرَمِيُّ، عَنْ عُلَيِّ بْنِ رَبَاحٍ اللَّخْمِيِّ، حَدَّثَنِي مَنْ شَهِدَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، يَقُولُ: كُنَّا فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، يُقْرِئُ بَعْضُنَا بَعْضًا الْقُرْآنَ، فَجَاءَ

الشرح:

هذا الباب يقول: **بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غيرَه.**

الاستغاثة: نوعٌ من الدعاء.

والمراد في هذا الباب بالاستغاثة: استغاثة العبادة؛ لأنها أيضًا تنقسم إلى قسمين: عبادة وعادة.

العادة: أن تستغيث بمَنْ هو قادرٌ.

مثل قوله -عز وجل- عن موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥]، لأنه يَستغيث بقادرٍ مَوجودٍ؛ فيقول: أغثني من هذا الشيء، مثل شخص يكون في مكان غَرَقٍ وعنده من يستطيع أن ينقذه من الغرق فيقول: أغثني يا فلان فيغيثه، هذا ليس عبادة، هذا من قبيل العادات المأذون بها.

أما العبادة: هو أن يستغيث بغير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله.

فالذي يستغيث بالملائكة؛ هل الملائكة ينزلون متى ما شاءوا أو لا ينزلون إلا بإذن الله؟

عَبْدُ اللهِ بن أبي بن سَلُول، وَمَعَهُ نُمْرُقة وزِرْبِيّة، فَوَضَعَ واتَّكَأَ، وَكَانَ صَبِيحًا فَصِيحًا جَدِلًا فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، قُلْ لِمُحَمَّدٍ يَأْتِينَا بِآيَةٍ كَمَا جَاءَ الْأَوَّلُونَ؟ جَاءَ مُوسَى بِالْأَلْوَاحِ، وَجَاءَ دَاوُدُ بِالزَّبُورِ، وَجَاءَ صَالِحٌ بِالنَّاقَةِ، وَجَاءَ عِيسَى بِالْإِنْجِيلِ وَبِالْمَائِدَةِ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُومُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ نَسْتَغِيثُ بِهِ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يُقَامُ لِي، إِنَّمَا يُقَامُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَقِينَا مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي: اخْرُجْ فَأَخْبِرْ بِنِعَمِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ، وَفَضِيلَتِهِ الَّتِي فُضِّلت بِهَا، فَبَشَّرَنِي أَنِّي بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُنْذِرَ الْجِنَّ، وَآتَانِي كِتَابَهُ وَأَنَا أُمِّيٌّ، وَغَفَرَ ذَنْبِي مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَذَكَرَ اسْمِي فِي الْأَذَانِ وَأَيَّدَنِي بِالْمَلَائِكَةِ، وَآتَانِي النَّصْرَ، وَجَعَلَ الرُّعْبَ أَمَامِي، وَآتَانِي الْكَوْثَرَ، وَجَعَلَ حَوْضِي مِنْ أَعْظَمِ الْحِيَاضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوَعَدَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ وَالنَّاسُ مُهْطِعُونَ مُقْنِعُو رُءُوسِهِمْ، وَجَعَلَنِي فِي أَوَّلِ زُمْرَةٍ تَخْرُجُ مِنَ النَّاسِ، وَأَدْخَلَ فِي شَفَاعَتِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَآتَانِي السُّلْطَانَ وَالْمُلْكَ، وَجَعَلَنِي فِي أَعْلَى غُرْفَةٍ فِي الْجَنَّةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فَلَيْسَ فَوْقِي أَحَدٌ إِلَّا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ، وَأَحَلَّ لِيَ الْغَنَائِمَ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلَنَا**». قال ابن كثير: وَهَذَا الْحَدِيثُ غَرِيبٌ جِدًّا. وقال في جامع المسانيد: لم يخرجوه، وقد رواه الطبراني عن علي عن عبادة، بلا واسطة، فالله أعلم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٤٠): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَفِيهِ رَاوٍ لَمْ يُسَمَّ، وَابْنُ لَهِيعَةَ.

﴿ وَمَانَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم:٦٤]؛ فإذن هو يستغيث بمن لا يَقدر، ومن لا يُؤذن له بكل شيء.

من يستغيث بميت؟ يقول أغثني يا فلان؟

يستغيث بمن لا يستطيع أن يغيثه.

فإذن هذا المقصود بالاستغاثة هنا: طلب الغوث ممن لا يستطيع فيما لا يستطيع.

أما النوع الأول: الذي يطلبه ممن يستطيع الشيء؛ أن يغيثه به؛ ينقذه من حرقٍ أو غرقٍ أو سبعٍ أو عدو هذا لا بأس به، لأنه من قبيل العادات لا من قبيل العبادات.

أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ.

الدعاء أوسع وأعم من الاستغاثة، فهذا من باب عطف العام على الخاص، لأن الاستغاثة دعاءٌ خاصٌ في طلب الغوث، كما أن الاستعاذة دعاءٌ خاصٌ في طلب العوذ، كما أن الاستعانة دعاءٌ خاص في طلب المعونة، أما الدعاء فهو عامٌ؛ يدعو بالغوث أو بالاستعاذة أو بالاستعانة في طلب الرزق أو غير ذلك؛ فعطفها.

فهذا الباب في بيان أن دعاء غير الله شركٌ، وهو من الشرك الأكبر.

واستدل بأدلة:

قال: وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ المشركين؛ فدل على أن دعاء غير الله شرك.

كما قال -عز وجل-: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨] فدعاء غير الله شرك؛ ومنه الاستغاثة بغير الله.

قوله: ﴿ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ الذي ليس فيه نفعٌ ولا ضرٌ، فالقبور كذلك، والأصنام كذلك، أما من يَعتقد أن المقبور يَنفع ويضر فقد اعتقد ربًّا خالقًا مُدبرًا مع الله؛ هذا كُفره كفرٌ في الربوبية.

ولذلك تجد ممن يستغيث بأصحاب القبور يقول: ما يضرون ولا ينفعون، طيب ما الذي حمل على ذلك؟ والله يقول: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ الظالمون هم المشركون، هم الكافرون.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وقال -عز وجل-: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣].

وقال -عز وجل-: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس:١٠٧].

هل تستطيع الأوثان أن تدفع الضر عنك إن أَمَر الله به؟

لا تستطيع.

هل تستطيع أن تجلب الخير لك إن لم يُرده الله؟

لا تستطيع.

إذن كيف يأتي شخصٌ ويسألهم.

فهو استغاثة أو دعاء غير الله فذلك نعوذ بالله من الشرك.

ذكر الشيخ صديق حسن خان أمرًا عجيبًا ، وذكره المصنف أيضًا في «القواعد الأربع»، وذكرناها في «شرح القواعد الأربع» أن مشركي هذا الزمان أشد شركًا من مشركي العرب، فإن مشركي العرب كما ذَكَرَ الله عنهم يُخلصون في الشدة ويشركون في الرخاء، قال -عز وجل-: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥] إذا أَلَمَّت بهم الشدة في البحر عَلِموا أن الأصنام لا تضر ولا تنفع فيلجئون إلى الله ويوحدونه، فإذا جاءوا إلى الأصنام تقربوا إليها وذبحوا لها، ذبحوا لها وتمسحوا بها.

يقول المصنف وغيره أن مشركي آخر الزمان يشركون في الرخاء وفي الشدة.

وذكر **الشيخ صديق حسن خان** في «**رحلته إلى البيت العتيق**»؛ لأنه من علماء الهند من هناك ومن أمرائها، فجاء في رحلة الحج قال: (فوقفنا في البحر في اليمن، ثم ركبنا من اليمن في السفينة إلى مكة في البحر الأحمر)، قال: (فسكنت الريح شهرًا)؛ لأنها سفن شراعية تحتاج إلى هواء يدفعها ليست صغيرة تُدفع بالمجاديف، لا ، قال: (**فنفذ ما معنا من ماء وطعام، فضج الناس وأصبحوا يدعون غير الله ويقولون: يا عيدروس**)، عيدروس وثنٌ مُعظمٌ هناك لرجلٍ صالحٍ في اليمن يعظمونه (**ويستغيثون بالجيلاني**)، يا عبد القادر الجيلاني، قال: (**فقلت لهم: يا أيها الناس ادعوا الله -عز وجل- هذا شركٌ، قال: فعلمت أن شرك هؤلاء أشد من شرك الأولين**)، وهم جاءوا للحج!، ويدعون غير الله ويستغيثون

بهم، ويُزين لهم بعض الجَهلة أن دعاء الولي أسرع استجابةً من دعاء الله -عز وجل- ويقول لهم ذلك!.

ذكر الشيخ **الألوسي** -رحمة الله عليه- **أبو الثناء** في **تفسيره**: (**أن شيخه كان يُلقنه ذلك، وهو صغيرٌ**) قال: (**فكرهت هذه الطريقة لما قال لي: إذا ألمت بك حاجة، استغث بالولي فإنه سريع الإجابة، ولا تستغث بالله؛ لأن الله يُمهل**)، قال: (**فمن ذاك اليوم وقع في نفسي كُره هذا الطريقة**) لأن كيف يكون الولي أسرع إجابة من الله؟

ويقولون: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور!

نعوذ بالله- إذا أعيت: فقلت؛ والله يقول: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢] هل مع الله شريك؟ من الذي يستجيب؟ يقول: وَقَوْله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت:١٧] أي: لا تسألوا إلا الله.

فقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ قال العلماء: هنا التقديم ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ يدل على الحصر وإلا سياق الكلام أن تقول: (ابتغوا الرزق عند الله)، لكن قال: (فابتغوا عند الله وحده الرزق) هذا لإفادة الحصر؛ أي لا تسألوا ولا تطلبوا الرزق إلا من الله.

قال: **وَقَوْلهُ**: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾..**الآيَتَيْنِ**.

أي: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٦]، لأن: صيغة ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾ أي: لا أضل؛ لأن هذه الصيغة تدل على أنه لا أضل من ذلك، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن ﴾ أي ليس هناك أضل منه، فأضل الضلال هم الكفار؛ الذي يدعو من دون الله ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الميت؛ لا يستجيب، ولن يُبعث إلا يوم القيامة، ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ الميت غافل عن الدعاء مشغولٌ بنفسه؛ إنْ كان مُنعمًا فبنعيمه الذي هو فيه قبره، وإن كان غير ذلك -نعوذ بالله- فهو في عذابه، كيف يستجيب ويلتفت إلى هؤلاء الناس ويستجيب لهم؟ .

قال: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ يعني يوم القيامة ﴿كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ سماها عبادة، ﴿مِمَّن يَدْعُواْ﴾ سمى الدعاء عبادة، فالدعاء عبادة؛ لا يُصرف لغير الله، فهذا يدل على أن الدعاء عبادة؛ يُلجأ فيه إلا إلى الله.

وَقَوْله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ من هو هذا الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء؟ هو الله وحده، فلا يُلجأ إلا إليه.

قال: وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ؛ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

هذا الحديث بَيَّض له المُصَنِّف قال: رَوَى الطَّبَرَانِيُّ، يعني ما قال عن من؟، وهو من حديث عبادة بن الصامت، ورواه أيضًا الإمام أحمد، وفيه ابن لَهيعة مختلف فيه.

المهم هنا الاستغاثة التي استغاثوها بالنبي ﷺ أن يغيثهم من هذا المنافق يمنع المنافق منه، يقول له: امتنع، يُضرب يُحبس يُفعل به شيء، هل النبي ﷺ بهذه الحالة قادرٌ على أن يمنع المنافق أوليس بقادر؟ قادر، قال العلماء: هذا يدل على النبي ﷺ لَحِظ ملحظًا وهو حماية جناب التوحيد، فَقَالَ «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، انطلق ﷺ من هذا للنهي عن أشد من ذلك وهو الشرك، قال: وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

ولذلك المصنف في المسائل قال في فوائد هذا الباب:

حِمَايَةُ ٱلْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى ٱلتَّوْحِيدِ، وَالتَّأَدُّبُ مَعَ ٱللهِ.

فإذا كان الشيء المباح يُمْنَعُ لأنه قد يَجُرُّ إلى المحرم، فكيف بالوقوع بالمحرم نفسه مباشرةً؟ الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؟

وتأَدَّب النبي ﷺ من لفظ الاستغاثة قال: «لَا يُسْتَغَاثُ بِي».

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ الآيَةَ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟» فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (١٠٧).

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ -: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا»، بَعْدَ مَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»؛ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (١٠٨).

وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (١٠٩).

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيهِ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ - عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ - لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَ يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا» (١١٠).

---

(١٠٧) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (١٧٩١)، وعلقه البخاري (٤/ ١٤٩٣): كتاب المغازي معلقا. دون قوله (وكسرت رباعيته).

(١٠٨) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} (٤٥٥٩).

(١٠٩) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} (٤٠٧٠) قال: وَعَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَزَلَتْ {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} إِلَى قَوْلِهِ {فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}. معلقًا ووصله الترمذي والنسائي وأحمد، من حديث ابن عمر به.

(١١٠) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، بَابٌ: هَلْ يَدْخُلُ النِّسَاءُ وَالوَلَدُ فِي الأَقَارِبِ؟ (٢٧٣٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} (٢٠٦).

الشرح:

هذا الباب **بَابٌ** قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٢].

هذا لبيان أن المشركين إنما يشركون بالله من لا يملك شيئًا.

وَقَوْله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾الآيَةَ.

اللفافة التي تكون على نواة التمر لا يملكونه، هؤلاء المَدْعُوُّن من دون الله لا يملكون شيئًا ولا هذا القطمير، ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ ﴾ [فاطر:١٤] هذا أول قَطْع لسبيل الشرك أنهم لا يسمعون هذا الدعاء، ﴿ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ﴾ وإن أُعطوا القوة على السمع بأن أسمعهم الله لن يستجيبوا، لا يستطيعون أن يجيبكم بشيء؛ لأن الاستجابة إما استجابة فِعْل له أو استجابة قَوْل؛ أن يرد عليه؛ فلا يستطيعوا، ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ سماه الله شركًا؛ الشاهد هنا: أن دعاء غير الله شركٌ، وهم مع عجزهم عن السماع، وعجزهم عن الإجابة لو سمعوا لأنه قد يُؤْذن له أن يسمع مثل ما يَسمع السلام، لأنهم إذا سُلِّم علي المَوتى السَّلام هذا يَسمعونه، الدعاء غَيْرَه لا يسمعونه؛ لأن الله نفى ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ ﴾ لأن الدعاء في أصله هو النداء، ﴿ وَلَوْ سَمِعُواْ ﴾ في حالاتٍ كما أَسْمَع النبي ﷺ أهل قليب بدر من المشركين لما، قال: «**يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا**» فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا**»(١١١) يعني يسمعونني؛ هنا يقول العلماء: أسمعهم الله كلامه توبيخًا لهم؛ لكن هل يستجيبون؛ هل يستطيعون أن يجيبوا؟ لا يستطيعون.

---

(١١١) أخرجه مسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ (٢٨٧٤) من حديث أنس.

كذلك السلام على النبي ﷺ إذا سلمت عليه عند قبره رَدَّ الله روحه لإجابة السلان وسماعه، أما أن يستجيب لدعاءٍ واستغاثةٍ به، فلا، لأنه قال ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾.

ثم قال: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فالله أعلم بعباده، فهذه الآية تقطع شراشر الشرك، لكن مَنْ يَعِيها؟، يعيها الذي يقول: إذا أعييتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور!، ما يعيها، يلجأ ويقول: فلانٌ دعا واستجيب له!، وهذه التجارب ليست للدين، الدين هو شريعة الله، ما أذن به عُبِد به، وما لم يأذن به لا يُعبد به.

ثم أورد الدليل من السنة:

حديث أنس في صحيح مسلم، قال: **وَفِي الصَّحِيحِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ.**

يعني وقع شَجَّة في وجهه ﷺ.

وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ.

الرباعية يقول العلماء: كل سنٍ بعد الثنية، الثنايا الأسنان التي بعدها رباعيات.

فَقَالَ من غضبه عليهم ﷺ: **«كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟»** المشركون من كفار قريش؛ **فَنَزَلَتْ:** ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾؛ فإذن هذه بيان أنه ﷺ لا يملك شيئًا ، إنما الأمر كله لله: تعذيبهم، إنزال الأمر فيهم، عدم فلاحهم، عقوبتهم؛ لله، وليست لك، أنت مَأمورٌ بجهادهم، مأمور بدعوتهم وتبليغهم، أما عقوبتهم فإلى الله.

فهذه فيها بيان أنه حتى النبي ﷺ وهو تلك الحال التي هو أحوج ما يكون أن يُرْفَع من شأنه - وهو قد رَفَعَه الله عز وجل- قال الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ هذا حق الله، فكيف بمن سواه من الناس، من الخلق؟، يُعطى مقام لم يعطه رسول الله ﷺ؟! أن يكون الأمر بيده ما شاء فَعَل وما شاء ترك؟، لا، هذا أمرٌ لله.

وَفِيه في صحيح البخاري هنا.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ -: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا»، بَعْدَ مَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»؛ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

دعا عليهم؛ هل الهداية بيد الله أم بيد رسول ﷺ؟، هداية القلوب والتوفيق بيد الله وحده، لذلك قال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص:٥٦] الهداية بيد الله؛ أن يَلعن وأن يَطْرُد من رحمة الله، وأن يُكْتَبَ عليه الشقاء والطرد هذا بيد ا لله.

قال: وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، كلهم أسلموا وحَسُن اسلامهم، وثَبَتُوا على الإسلام، حتى يوم الردة؛ فثبتوا على الإسلام؛ فدل على أن الأمر بيد الله وأنه لم يستجب له بهم ﷺ لأن الأمر لله وحده؛ قال: فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

هذا فيه بيان أن النبي ﷺ على عِظم مكانه عند الله ليس الأمر له وإنما لله –عز وجل-.

قال: وَفِيهِ أي في البخاري.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ» أي بتخليصها من العذاب بالطاعة والإيمان؛ «لَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»، هذا هو الشاهد ، أنه وهو رسول الله لا يغني شيئًا بالأمر إلا أن يَشفع شفاعةً في المؤمنين يستجيب الله بشفاعته.

قال: «يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ» يجوز هذا أن تقول: «يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبدِ المُطَّلِبِ»، و «يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ» هذا الأول على الحالتين، وابن عبد المطلب بدل مضاف فلابد من بنائه على الفتح، لأن المفرد «يَا عَبَّاسَ» يجوز فيه على نية الإضافة أقول: «يَا عَبَّاسَ»، و «يَا عَبَّاسُ» على نية الإفراد، «بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ» هذا لابد منه لأنه مضاف، وهو «بن عبد المطلب» بدل من المنادى.

«لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ - عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ - لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَ يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا».

هذا هو الشاهد، هو الشاهد أن الذي يدعو رسولَ الله ﷺ ويستغيث به في قبره أو يستغيث به ولو مِن بُعد فإنه يستغيث بمَن لا يغني عنه شيئًا؛ لأن الله هذا الأمر لله، نحن ننتفع بطاعته ﷺ وبامتثال سنته وبالشهادة بأنه رسول الله، وبمحبته، ويوم القيامة أيضًا بشفاعته، أما أن نسأله ما لا يكون إلا لله؛ فهذا هو الشرك.

بَابُ قَوْلِ اللهِ تعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ؛ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟، قَالُوا: الْحَقَّ؛ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كِذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»[(١١٢)].

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ - أَوْ قَالَ: رِعْدَةٌ - شَدِيدَةٌ، خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرَائِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرَائِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرَائِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرَائِيلُ: قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرَائِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرَائِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[(١١٣)].

الشرح:

هذا الباب فيه بيان أن الملائكة لا تملك شيئًا على عِظم شأنها وقُربها من الله لا تملك شيئًا، وأنها تَخشى الله وتَخافه وتُصعق.

قال: **بَابٌ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي كُشِف الفزعُ عنها.

---

(١١٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} (٤٧٠١).

(١١٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٧٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٩١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٠٦)، وأبو الشيخ «العظمة» (١٦٤). قال الألباني في «ظلال السنة» (٥١٥): (إسناده ضعيف).

وهذه الآية يقول العلماء: أن هذه الآية تقطع عروق وشراشير شجرة الشرك من أصلها، لأن الله - تعالى- يقول قبلها: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣] تأمل هذه الآية لأنها ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فزعموا أن الأوثان شركاء لله في العبادة، ومنهم من يدعوا الملائكة، ومنهم من يدعوا عيسى، ومنهم الأنبياء والصالحين إلى آخره.

قال: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ثم قال: ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ما يملكون من الأمر شيئًا ﴿ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ ﴾ هل لهم في الأرض و في السماوات أي شراكة، ﴿ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ ﴾ ليس لهم؛ ﴿ شِرۡكٖ ﴾ هذه نكرة في سياق النفي فتفيد العموم، وأدخلت عليها ﴿ مِن ﴾ لتزيدها ابهامًا، فهو لا يملكون أي شراكةٍ لله في الأرض ولا في السماوات.

ثم قال: أول شيء ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ﴾ وليس لهم شرك، ثم قال: ﴿ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾ هل يُساعدونه ويُساندونه ويُعاونه في تدبير السماوات والأرض؟ الله الغني -عز وجل- عنهم، ليس لهم أحدٌ في تدبير السماوات والأرض أي شراكة، ولا معاونه؛ غنيٌ عنهم، ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ أيضًا قد يلجئون إلى الشفاعة ويقولون: يشفعون! قال: لا يشفعون إلا إذا أَذن، وبيَّن -عز وجل- أنهم ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة:٢٥٥] -كما سيأتينا في باب الشفاعة- .

ثم يقول هنا: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ يعني هؤلاء الملائكة: إذا نَزَل الوحي -فَسَّر المصنف- هذه الآية بالحديث؛ فهذا أصح التفاسير، لأنه قيل: أنه فُزِّع عن قلوبهم يوم القيامة، وهذه الآية يُفَسِّرها الحديث الذي أورده، أن الملائكة على عِظم شأنها إذا قَضى الله بالأمر وتكلم به في السماء صُعقوا وأتتهم غَشية وخضعوا لله -عز وجل- وضربت بأجنحتها خُضعانًا أو خَضَعانًا -كلاهما ورد-، بقوله -عز وجل، «كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ» يعني مِن شدة سماعهم لصوته -عز وجل-، وفيه إثبات

الكلام والصوت له -عز وجل-، وهذا تشبيهٌ للشدة وليس تشبيهٌ للصوت ليس أن صوته كصوت -عز وجل-، إنما المقصود تشبيه الشدة عليهم بذلك.

ينفذهم كلامه، ثم قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّ ﴾ لأن أولَّ من يُفيق جبريل، فعند ذلك يأمره الله بالأمر، ثم ينزل؛ فكل سماء يسألون جبريل ماذا قال ربنا؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون: قال الحق وهو العلي الكبير إلى أخره.

حتى ينزل به إلى بيت العزة فيه الأمر، فهنا في السماء الدنيا هنا تسترق الشياطين؛ يَركب بعضهم بعضًا إلى أن يَبلغوا العنان، وفي بعض الروايات: السحاب كما في حديث نواس بن سمعان، أو إلى السماء الدنيا فيسمعوا الملائكة أنه قُضِي أن يكون يحصل كذا أو يحصل كذا؛ فيسمعونها فترسل عليهم الصواعق الشهب، فعند ذلك تُدمرهم فلا يرجع أحد منهم بشيء، وقد يُلقيها بعضهم إلى أسفل، ثم تتبددون كانوا هكذا، قال: فبددها، حرفها سفيان وبددها، تتبددا تفرقوا سقطوا، لكن يأتي الرأي إلى الساحر أو الكاهن، فيقول له: سيحصل كذا وكذا إما موت مشهور أو حياته أو فيضان أو غير ذلك من الأمور ثم يَكْذب معها مائة كَذِبةً؛ يقول: سيحصل كذا وسيحصل كذا فإذا حصلت الواحدة الصحيحة قال الناس: ألم يقل كذلك وصَدَق فيُصَدِّق، فعند ذلك لا يَرُدُّون شيئًا من خبره ويُصدقونه.

هنا: المقصود من هذا الباب: أن الملائكة لا يُقدمون شيئًا بين يدي الله وليس لهم قدرة.

بَابٌ الشَّفَاعَةُ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾.

وَقَوْله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾.

وَقَوْله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾.

وَقَوْلِه: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾.

وَقَوْله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ [(١١٤)]: «نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مِلْكٌ، أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا للهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾.

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ - لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا - ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ» [(١١٥)].

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ [(١١٦)]: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»، فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ.

وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ لِيُكْرِمَهُ، وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

---

(١١٤) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٧٧).

(١١٥) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب -عَزَّ وَجَلَّ- يوم القيامة مع الأنبياء (٧٥١٠)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣).

(١١٦) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (٩٩).

فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالإِخْلَاصِ». انْتَهَى كَلَامُهُ.

الشرح:

هذا الباب: **بَابُ الشَّفَاعَةِ**.

الشفاعة أصلها مأخوذة من الشفع، وهو الضم، ضد الفرد ضد الوتر، ضم الشيء مع الشيء شفع، وسميت الشفاعة بذلك لأن ذمة الشافع تُضم إلى ذمة المشفوع له أو حال الشافع تضم إلى حالة المشفوع له فيصير شفعًا.

والمقصود به هنا: سؤال الشفاعة عند الله، أن يشفع لك عند الله؛ ليس قضية الشفاعة الوساطات الدنيوية هذه باب آخر، والنبي ﷺ يقول: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**» (١١٧)، والشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة هذا بابٌ آخر يذكره العلماء في التفسير وفي الفقه في باب حكم الشفاعة وغير ذلك، لكن هنا المقصود به الشفاعة عند الله؛ لأن المشركين الذين يسألون أهل القبور يقولون: نحن ما نسألهم أن يغفروا لنا وأن يرزقونا، نحن نسألهم أن يشفعوا لنا عند الله!، فما نَطلب منهم أن يفعلوا هُم، وإنما نسألهم أن يشفعوا لنا عند الله؛ وهو الذي يَرزق ؛ وهذه شبهة خطيرة عندهم، مثل ما قال المشركون: هؤلاء شفعاءنا عند الله.

فبين المصنف في هذا الباب أن الشفاعة هي في الأصل لابد فيها من إذن الله، وبَيَّن في الأدلة أن الشفاعة فيها ما هو منفي نفاه الله، وفيها ما هو مثبت، وكيف نميز بين المنفي والمثبت؟

فأورد الآيات والحديث وكلام أبي العباس ابن تيمية –رحمه الله تعالى-؛ يقول: **بَابُ الشَّفَاعَةِ** وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:٥١] نفى الله وجود وَلِي دون الله أو شفيع دون الله؛ يشفع لهم دون الله، يعني يشفع لهم ولو لم يُرد الله ذلك، لا يوجد.

---

(١١٧) أخرجه البخاري : كتاب الزكاة ، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها (١٤٣٢)، ومسلم : كتاب البر والصلة ، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام (٢٦٢٧)، من حديث أبي موسى.

وقوله -عز وجل-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة:٢٥٤] هذه نفي ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ، ثم بعدها في آية الكرسي بعدها قال: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥] فأثبت أن هناك شفاعة بإذنه، فنفى وجود شفاعة، وأثبت وجود الشفاعة؛ فإذن هناك شفاعة منفية، وهناك شفاعة مثبتة، فلابد أن تعرف الفَرق بينهما.

الشفاعة المنفية: هي ما كان بغير إذن الله، أو لمن لم يرضى عنه الله.

قال -عز وجل-:﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٨] لا يشفعون إلا لمن رَضِي الله عنه، وإلا لمن أَذن الله أن يُشفع له، ولا يشفع الشافع إلا أن يأذن الله له أن يشفع ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾؛ فإذا أتى المُشرك إلى صاحب القبر وقال: اشفع لي، هل يعلم أن الله قد أذن الله بالشفاعة؟ هل يعلم أن الله أذن له أن يشفع فيك؟ هل يعلم أن الله رضي عنه حتى يشفع له؟ هذه كلها غيوب، هذا أمرٌ لا يمكن أن يُفعل، فهنا يقول -عز وجل-: ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾.

ثم قوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ هذه تَقطع جميع ما يَظنه المشركون؛ لأن الله -تعالى- يقول: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر:٤٤] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾يشفعون لهم عند الله، شفعاء عند من؟ عند الله، هم يَظنون ذلك، هم يقولون: هؤلاء شفعاءنا عند الله، فإذن يشفعون عند من؟ عند الله.

يقول الله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا ﴾ هل يملكون الشفاعة؟ ما يملكون الشفاعة.

هل يملكون شيئًا من ملكه -عز وجل-؟ هل له منهم ظهير؟ هل الشفاعة بإذنهم وبأيديهم؟

ليس ذلك، فهذه مشكلة الجُهَّال؛ أن يظنوا أن الصالحين في قبورهم يشفعون لهم عند الله.

قال: وَقَوْله ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾.

هذه يقول العلماء كما ذكر ابن جرير: نزلت لمَّا قال الكفار ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليُقربونا إلى الله زلفى، فقال الله -تعالى-: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾

[البقرة:٢٥٥] هذه الأوثان التي تعبدونها تريدون أن تقربكم إلى الله زلفى، والزلفى الدرجات؛ أن يشفع له: أن يترقى درجات عند الله ويستجاب له، فأنزل الله الرد عليهم بقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾.

قال: وَقَوْلِهِ ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾.

كم هذه خبرية تفيد التكثير، أي ملائكة كثير، لكن ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ إلا إذن الله؛ لأنه يأذن الله للملائكة أن تشفع فتَشفع يشفعون، لكن بإذنه -عز وجل-، ولا يَتقدمون بين يديه بشيءٍ أبدًا حتى يأذن الله -عز وجل-.

ثم أردفها بقوله -عز وجل-: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾.

هذه الآية -كما ذكرنا قبل قليل- أنها تقطع عروق شجرة الشرك.

انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ يعني ابن تيمية -رحمه الله- في التعليق على هذه الآية، ومثل هذا الكلام ذكره ابن القيم في «إغاثة اللهفان».

يقول : (نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ)، لأنهم إما يتعلقون بمزاعم أنهم لهم مُلك لأوليائهم أو أوثانهم أو كذا، إما شيء مما يُمكن أن يكون؛ يَظن إما لهم ملكٌ أو شَراكة أو إعانة أو شفاعة.

قال: (فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ)، لأنه يقول: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ:٢٢].

(أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ) لأنه قال: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾أي قسط، الشِّرك شَراكة قسط جُزء يعني.

(أَوْ يَكُونَ عَوْنًا للهِ)، لأن الله يقول: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ ظهير مساند.

(وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ)، إذا هذه قُطعت سيقولون لك: يشفعون لنا، هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

قال: (فبين أنها لا نتفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال الله -تعالى-: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٨].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفيةٌ يوم القيامة، هذه الشفاعة المنفية، هذا القسم الأول وهي الشفاعة المنفية التي نفاها الله قال: (كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ - لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا) إذ لابد أن يُؤذن له، لو كانت الشفاعة مُلكًا له لأتى وشَفَع مباشرةً، لكن ليس كذلك؛ لابد أن يقدم الاستئذان؛ فإن أُذن له شَفع، ولذلك يقول كما في الحديث: «فاسجد وأحمد ربي بمحامد لا أحسنها اليوم» يعني يفتحها الله عليه (ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»، أُذِن له بالشفاعة.

هل تجدون أفضل من رسول الله ﷺ؟ هل هناك أكرم منه عند الله؟

لا يُمكن، ولا جبريل ولا الملائكة، ومع ذلك يَسجد ويَستأذن، والنبيون لما أُتوا جاء الناس إلى آدم وإلى نوحٍ وإلى موسى وإلى عيسى وقالوا لهم: اشفعوا عند الله أن يقيم الحساب؛ أبوا، لأنهم يعلمون أن الله لن يأذن لهم، وأن هذا مقام لمحمد ﷺ، كل منهم قال: «نفسي نفسي، إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي» كلهم قالوا: اذهبوا إلى فلان إلى كذا؛ فجاءوا إليه فقال: أنا لها أنا لها، لأنه وعده الله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩]، تَقَدَّم لِظَنِّه بوَعد الله، لأن ﴿عَسَىٰٓ﴾ من الله متحققة، هل تقدم لأنه له يَفعل بما أن الله وَعَدَهُ بها يأتي ويشفع متى ما شاء؟ لا، استأذن الله وحمده وخر ساجدًا حتى أَذِن الله له، فعند ذلك قال: ربي أقم الحساب فأقام الحساب.

ثم أورد قال: (وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ يعني يَشفع ويُشفع، يُؤذن له أن يُشفع به؛ لأن هذا النبي لا يَشفع الأنبياء والملائكة إذا أُذن لهم بالشفاعة ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ رضي الله عنهم؛ لأنه قَالَ: « أسعد الناس بشفاعتي: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»، أهل التوحيد؟ لا يُشفع للمشركين ليس لهم شفاعة، ولذلك قال –تعالى-: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨] لن يُشفع لهم، الشافعون على كثرتهم هؤلاء ليس لهم منها نصيب.

قال شيخ الإسلام: (فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ) يعني المثبتة (لأَهْلِ الإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ)، إنما تكون لأهل الإخلاص؛ لأن الله رضي عنهم، وتكون بإذن الله.

بشرطين:

١. أن تكون لأهل المرضي عنهم.

٢. وتكون للمأذون بهم.

(وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ)، أبدًا؛ لأن الله يقول: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾، قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾أصلًا هم لا يَتقدمون بالشفاعة إلا من رضي الله عنه.

ثم قال: (وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ).

لماذا ما يَغفر لهم من دون شفاعة؟

قال: (لِيُكْرِمَهُ، وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ)، هذا إكرام.

أنت ترى الآن في الدنيا تَجد المُقربون من الملوك أو الأمراء يأتي الناس إليهم ويستشفعون بهم ويتوسطون عندهم، فإذا شفعوا عند هذا الأمير أو الملك أو المسئول أكرمهم بقبول الشفاعة، فهذا إكرام، ما هو إهانة، هذا شيءٌ في الدنيا، كذلك يوم القيامة يُظهر الله مقام النبي ﷺ والصالحين بالشفاعة؛ إكرام ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

ثم يقول –رحمه الله-: (فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ)، سؤالُ غير الله.

ولذلك ذَكَر المصنف من «نواقض الإسلام» أنه: دعاء غير الله، سؤاله ومنها الشفاعة؛ أن يَسأل غير الله، أن يطلب الشفاعة من غير الله، (وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ)، نفاها في مواضع: وهي ما كانت فيها شرك، وأثبتها في مواضع: وهي ما كانت لأهل الإخلاص ولمن أذن الله لهم أن يشفعوا، (وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالإِخْلَاصِ)، كما قال ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[(١١٨)] يعني من المسلمين الذين لهم معاصي يحتاجون إلى أن يُشفع فيهم وليست لأهل الكفر.

الشفاعة افترق الناس فيها:

---

(١١٨) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في الشفاعة (٤٧٣٩)، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٥)، وأحمد (١٣٢٢٢) من حديث أنس، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٥٩٨).

منهم من نفاها: **المعتزلة والخوارج**، وقالوا: ليس هناك شفاعة ولا شيء إلا الشفاعة الكبرى، شفاعة النبي ﷺ بأن يُقام الحساب، أما أن الناس يشفعون للعُصاة فلا، العصاة عندهم إذا دخلوا النار لن يخرجوا منها وليس لهم شفاعة؛ هذا قول المعتزلة والخوارج لأنهم يرون كل عاصي دخل النار لن يخرج منها.

ويقولون أيضًا: إن الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة، لأنهم يقولون: لا شفاعة إلا في المؤمنين، فلا شفاعة في العصاة، هذه قضيتهم.

وأهل السنة يقولون: لا، يُشفع فيهم.

وهناك طرفٌ آخر: جعل الشفاعة مطلقة حتى في الكفار أو في المشركين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [(١١٩)]: **(وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق: طرفان، ووسط** والوسط هم أهل السنة.

قال: **(فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب، كالنصارى، ومبتدعة هذه الأمة: أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن)**.

ما هي الشفاعة المنفية؟ ما كانت فيها شرك أو لمشرك، أو في ما لم يأذن به الله، هذه نفاها القرآن هؤلاء المبتدعة أثبتوها.

ثم قال: **(والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته)**، يقولون: من دخل النار ليس في شفاعة، طيب الآيات والأحاديث التي فيها الشفاعة، قالوا: الشفاعة في المؤمنين في رفع درجاتهم في الجنة لأنهم لم يدخلوا النار أو والشفاعة في إقامة الحساب، فقط هذا الذي يثبتونه.

قال: **(بل أنكر طائفة من أهل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه، كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه عنه.**

وأنكروا الشفاعة بقوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة:٢٥٤] **وبقوله تعالى:** ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨] **ونحو ذلك)**.

هذه أدلتهم، وتركوا الأدلة التي فيه إثبات الشفاعة.

---

(١١٩) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (٢/ ٣٥٩).

نقول: هذه في الشفاعة المنفية وليست كل الشفاعات.

وقوله: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾ الظالمون هم المشركون.

قال -عز وجل-: ﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤] الذين ليس لهم شفيع، أما المؤمنون المسلمون، لا ، يشفع فيهم -بإذن الله-.

ثم ذكر القول الثالث قال: (**وأما سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة، فأثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي ﷺ، من شفاعته لأهل الكبائر من أمته، وغير ذلك من أنواع شفاعاته، وشفاعة غيره من النبيين والملائكة.**

وقالوا: إنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الإنسان بدعاء غيره وشفاعته، والصدقة عنه، بل والصوم عنه في أصح قولي العلماء، كما ثبتت به السنة الصحيحة الصريحة، وما كان في معنى الصوم.

وقالوا: إن الشفيع يطلب من الله ويسأل، ...

إلى أن قال -رحمه الله- : (**فكلما كان الرجل أتم إخلاصا لله؛ كان أحق بالشفاعة، وأما من علق قلبه بأحد من المخلوقين، يرجوه ويخافه؛ فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة. فشفاعة المخلوق عند المخلوق تكون بإعانة الشافع للمشفوع له، بغير إذن المشفوع عنده**) يعني الشفاعة في العادات في حياة الناس.

قال: (**بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده إليه، وإما لخوفه منه، فيحتاج أن يقبل شفاعته. والله تعالى غني عن العالمين**).

أيضًا هناك مشكلة هو أن بعض الجهلة من عباد القبور قالوا: إن الشفاعة عن الأولياء، وطلب الواسطة منهم والشفاعة كما نذهب إلى الملوك، كما نذهب إلى السلاطين ويَشفع لنا المقرب منهم، يشفع لنا.

نقول: لا، هنا فرق، وهذه ذكروها في كتبهم، ذكروها الذين يصنفون في الشرك.

هناك فرق: الملك مهما كان لابد يحتاج إلى وزراءه لأنه له وزراء وظهراء له يساعدونه فهو يحتاج إليهم، هم جنده، وهم ذراعه التي يملك بها فيحتاج إليهم فإذا كان لا يقبل شفاعتهم ولا يقبل شيئًا لن

يخدموه، ما الذي يريده الآن الذين عند الملوك؟ يخدمون الملوك، ما الذي يحتاجون؟ لأنهم يجدون إكرامًا بأشياء أخرى، فهنا هو يحتاج إليهم، أما الله فالله غني لا يحتاج إلى العباد، فلا يشفعون إلا لمن أذن له ولمن رضي عنه.

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾.

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»، فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾.

وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[١٢٠].

الشرح:

هذا الباب أراد المصنف –رحمه الله-: أن يرد على عُباد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين أنهم ينفعونهم أو يضرون، فيسألونهم المغفرة؛ فأثبت الله –عز وجل- أن رسول الله ﷺ وهو رسول الله وأكرم الخلق إليه لا يَهدي من أَحَبَّ، ولا يغفر لمن يشاء أو يشفع لمن يشاء إلا بإذن الله، وأن الهداية وهو عمه أحب الناس إليه وما كان مِن قيامه بنُصرته وتأييده، لم يستطع أن يهديه، فيقول –عز وجل-: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦].

والمصنف قدم قبل هذا الباب، باب الشفاعة وباب: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ فبيَّن أن الملائكة لا تنفع، ولا تستطيع أن تنفع، وأنها لا بد أن يأذن الله لها، وأن الشفاعة بيد الله، ليست بيد أحد، ثم أردف بهذا الباب وأن رسول الله ﷺ وهو رسول الله وأكرم الخلق ليس بيده شيء من الهداية، هداية التوفيق؛ لأن المقصود هداية التوفيق.

الهداية نوعان:

هداية الإرشاد:

---

(١٢٠) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (١٣٦٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع (٢٤).

قال الله –عز وجل– فيها: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢] أي ترشد الناس وتدعوهم إلى الصراط المستقيم، فأثبت له الهداية.

وهداية التوفيق والنفع:

أن يُوَفَّق إلى قبول الإيمان قال الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

فهنا فيها بيان ذلك.

والقصة هذه: قصة سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن حزن، أنه : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ليدعوه لعله يقول: لا إله إلا الله فيختم له بالإسلام فقال: قُلْ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ، قل: لا إله إلا الله، فلما قال: لا إله إلا الله، رفقاء السوء: أَبُو جَهْلٍ وَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ قالوا له: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ ما هي ملة عبد المطلب، ضد لا إله إلا الله، الشِّرك، هم فهموا «لا إله إلا الله»، فهموا أنها لا تجتمع مع عبادة غير الله، ودعاء غير الله، فكَرَّر عليه وكرروا عليه، ثم قال: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. نعوذ بالله، فهذا يدل على خطر رفقاء السوء؛ يزينون الباطل، وإلا لو أراد الله –وأمره هو النافذ عز وجل– لهدى هذا الرجل، ودل على أنه مات على الكفر، ونُهي النبي ﷺ عن أن يستغفر له، لأنه قال: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فنُهي ذلك، لماذا؟ لأنه ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨] والاستغفار نوعٌ من الشفاعة، فكيف يَشفع له وهو مات على الكفر يعلم ذلك؟ فإذن مُحَرَّمٌ ذلك.

ثم يقول: ونزلت فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾.

فيها بيان أنه خلاصة الأمر أنه لا يُسئل إلا الله.

بَابٌ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وَقَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾.

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾-؛ قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ؛ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ» (١٢١).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: «قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ» (١٢٢).

وَعَنْ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ». أَخْرَجَاهُ (١٢٣).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ» (١٢٤).

ولِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، قَالَهَا ثَلَاثًا (١٢٥).

الشرح:

هذا الباب بدأ المصنف الآن يَذكر بعد الأبواب في بيان الوَسائل المُوصلة إلى الشرك، للتحذير منها؛ فقال: **بَابٌ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ**.

---

(١٢١) سبق تخريجه.

(١٢٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٥/ ٤٤٣).

(١٢٣) أخرجه البخاري: كتاب الحدود، باب الرجم بالمصلى (٦٨٢٠) واللفظ له، ومسلم: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى (١٦٩١).

(١٢٤) أخرجه النسائي: كتاب مناسك الحج، التقاط الحصى (٣٠٥٧)، وابن ماجه: كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي (٣٠٢٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٨٠).

(١٢٥) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هَلَكَ المتنطّعون (٢٦٧٠).

الغلو نفسه ليس شركًا؛ إنما هو وسيلة إلى الشرك، الغلو بدعةٌ لكنه وسيلةٌ إلى الشرك، وقد يَبلغ إلى حدِّ الشرك إذا كان فيه صرف العبادة لغير الله.

ثم دلل قال: وَقَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾.

لماذا نهى الله عن الغلو؟

والله يقول: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾ [هود:١١٢] لماذا نهى الله عن الطغيان في العبادة؟

لأنها وسيلة إلى الشرك والبدع، فالبدع بريد الشرك.

ثم ذكر حديث ابن عباس الذي رواه البخاري: فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾-؛ قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ؛ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ: يعني أنصابًا وصورًا. الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ».

ما الذي حملهم على ذلك؟

الغلو في الصالحين؛ هلكوا.

وجاء بعض الآثار أيضًا ذكرها: وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: «قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ».

هذه فتنة القبور، فتنة الأوثان؛ الصور، لأن قوم نوح كانوا قبل هذا الشرك على الإسلام كما قال ابن عباس: كان الناس على الإسلام عشرة قرون حتى وقع الشرك في قوم نوح، فبعث الله نوحًا لهذا.

ثم تواصوا: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ يعني: معبوداتكم؛ لا تتركوها بهذا العموم، ثم خصوا هذه الخمسة، قالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ خمسة خصوها؛ لأن هذه العظام، وإلا فالأوثان كثيرةٌ عندهم، مثل ما كانت عند العرب، عند قريش: هبل ونائلة وإساف ثم مناف ثم العزى هذه عند العرب، وإلا هناك أصنامٌ كثيرة، وبعضهم يصنع الصنم لنفسه، يصنع الصنم يقول:

فإن وجد حجرًا اتخذ حجرًا ليعبده، فإن وجد حجرًا أحسن منه ألقاه وأخذ الآخر، وإن لم يجد جَمَع ترابًا ثم حلب عليه كُثبة من لبن، ثم اتخذه على صورة صنم ثم عبده.

كثيرة المعبودات لكن هذه رؤوسها، فمثلها عند قوم نوح؛ أسماء رجال صالحين، ولذلك أَوْجدها إبليس للعرب.

فكيف وقع في الشرك؟ كيف بدأ ذلك؟

أوحى الشيطان إلى قومهم؛ لأنهم جزعوا على موتهم، ماتوا في سنةٍ واحدة؛ فرأوا أن العلماء والصالحين هلكوا فجاء الشيطان إلى قومهم قال: **أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا**، نُصُب تِذكاري مثل ما يقولون، الآن يوجد نصب تذكاري لبعض الملوك أو يقول لك: الشهيد أو الجندي أو نحو؛ هذه هي.

سأضرب لكم قصةً لجندي يذكرون أن لا يصلي ولا يصوم مات في معركة وعبدوه وهو لا يصلي ولا يصوم، وهذا حدثني أحد مَنْ رآه بعينه، يقول: وجاء في بعض البلدان في الشام، كان اسم هذا في قرية الشيخ سعد - الاسماء هذا توافقت- يقول هذا: وسألت عنه، وقَصَّوا قصته أنه مات في حرب أول حروب فلسطين واليهود، وأنه كان أيضًا -حسب ما ذكر الناس الذين أدركوه- لا كان لا يصلي؛ من الناس التي ذهبت أخذت إلى ذلك فجاءوا ووضعوه، قال: فرحت أشوف أيش يعملون عند القبر؟ قال: فرأيت شيئًا عجيبًا؛ وأنهم يسألونه وينذرون وعنده شيخ سادن؛ فقلت: يا ناس حرام عليكم؛ شركٌ هذا، لا تفعلون هذا الشيء، فلما قُلت ذلك: جاءني وأنكر علي، وقال: لا تُشرك، جعل الموحد هو المشرك، لأنه ينهى عن دعاء الصالحين.

ولذلك ذكر المصنف -رحمه الله- في رسالته «**الأصول الستة**»: أنهم قَلبوا الأمر فجعلوا الإخلاص شركًا والشرك إخلاصًا؛ لأنهم عندهم الإخلاص أن تدعوا الصالحين وتستشفع بهم إلى الله، والشرك أن تَترك ذلك؛ عكسوه.

يقول: فجاء رجل ومعه زوجتاه، عن يمينه وعن يساره ولا يُنجب ولا يأتيه بشيء، فجاء واستغاث وقدم المقسوم! واستغاث أنه يَرزقه الولد، فاستغاثت إحدى زوجاته وقالت: يا شيخ سعد يا شيخ سعد اربط زوجي عن ضرتي وعني لا، فقالت الأخرى: يا شيخ سعد لا تسمعها؛ اربط زوجي عن ضرتي

وعني لا، قال: يا شيخ سعد يا شيخ سعد لا تسمع لهم لا تسمع لهم؛ لأنه تضرر هم؛ لأنه هو مربوط من الجهتين.

هذا –نعوذ بالله– الشرك، واعتقاد أنه يَسمع ويُجيب ويَخاف أن يستجيب لهم، وتلك تقول: لا تسمع، شركٌ بالله، يسألونهم؛ وأول الأمر على أنه شهيد جيء به، ثم عُظِّم وصار معبودًا من دون الله –نعوذ بالله–.

جاء في بعض الأخبار مثل ما ذكر ابن كثير وغيره أن هؤلاء: أنهم جاءهم الشيطان أول ما جاءهم وأوحى إلى الناس، إما برؤى وإما تزيين لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، يُزين له في نفسه الشيء مثل هذه الأشياء التي تزين للناس: البدع والمحدثات، يرى أنها جميلة وإنما هي من إلقاء الشيطان، ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢]؛ يغروهم به، يُزخرف لهم الكلام، ما يأتيهم إبليس عيانًا بشكله ويقول: أنا الشيطان وسأقول لكم؛ آمركم بهذا! لن يطيعوه، ولكن يأتيهم بل قد يُلقي كلمة الضلالة على لسان الحكيم، كما قال معاذ: «**فإن الشيطان يلقي كلمة الضلالة على لسان الحكيم**»؛ الرجل العالم تَخرج منه البدعة، ثم تنتشر بين الناس وهو يرى أنه مصيب والناس يأخذونها ويبنون عليها، والحكيم الآخر يزيغ، ولذلك قال: «**إياكم وما قال، يعني كلمة الحكيم التي يقال لها اجتنبوا من كلامه المشتهرات التي يقال ما أراد بهذه**» (١٢٦)، يعني خالفت الأدلة .

فقد يأتيه من هذا، قد يكون في جهل يَعُم، قد يَغلب أهلُ الباطل على أهل الحق فيتكلم العالم ولا يُقبل منه، يُنذر منه؛ يقول: يا ناس ما يجوز نصب الصور، فلا يُسمع لح، يَكون أهل الجهل أكثر، أما غَلب أهل الجهل على هارون في موسى؟، أما صنعوا العجل؟ و﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه:٦١] ونهاهم عن ذلك وأبوا، وقال لهم السامري: ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه:٨٨] يعني: موسى نسي الموعد وضيع، وهذا إلهكم، صَدَّقوا السامري وتركوا النبي هارون، يَعرفون أنه نبي وكادوا يقتلونهَ، قال: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف:١٥٠] أكثر من هذا؛ كاد يُقتل لما نهاهم عن عبادة

---

(١٢٦) أخرجه أبو داود: كتاب السنة ، باب لزوم السنة (٤٦١١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

العجل، فلا تستغرب ؛ قد يأتي ويَنهى مثل هذا الزمان يُنهى عن الباطل والعالم ما يَنهى عن منكرٍ ويقول: هذا بدعة إلا وانتفض عليه الجُهال وضللوه وبدعوه وقالوا فيه، ويَنبري أهل الباطل ويأتون بالشبهات ويكتبون ويُؤيدون ويَخرجون بالصحف والقنوات ويفعلون، ما يوجد هذا في الزمان؟ موجود، حتى أصبح صاحب كلمة الحق ما يَستطيع أن يتكلم، كأنه يُكمم، كان ذلك فحَصل هذا؛ بُنيت الأنصاب فكانوا يأتونهم؛ يقول: **وَلَمْ تُعْبَدْ**، يعني أول الأمر ما عبدت؛ لأن إبليس يخطط على زمان؛ أجيال لأن هذا الجيل على التوحيد لكن حصلت بعض البدع.

ذكر ابن كثير وغيره أنهم جاءهم بعد زمان، ذهب ذلك الجيل ثم جاء جيل وقال: إن آبائكم كانوا يَستسقون بهم؛ توسل، مرحلة بدعة التوسل، فيقولون: اللهم بحق فلان أغثنا!، فكانوا يُبرزونه ويستغيثون.

ثم ذهب ذلك الجيل وجاءهم وقال إبليس: إن آبائكم كانوا يَسألونهم، فتحول من التوسل إلى السؤال، فدَبَّ الشرك.

والبدعة بَريد الشرك، أول الأمر: بدعة في ظن الناس أنها يسيرة حسنة تُذكر بالآخرة، تُذكر بالأولياء والصالحين وكيف كانوا يعبدون الله، ويَخشع الخاشع وكذا، هل هذا خشوع يقبله الله ويرضاه ببدعة؟، ما يقبله. ثم تتطور إلى التوسل بهم، ثم تتطور إلى الشرك، سؤالهم.

قال: **حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ**، وفي بعض النسخ: نُسِخَ العلم، نسي العلم بقي علم الجهال وعلم الأقيسة والآراء، ويظنون ذلك أنه علمٌ وهو ليس بعلمٍ، لأن العلم المقصود به علم الكتاب والسنة، يعني في ذلك الزمان: الذي كان عند أنبيائهم هذا العلم.

ثم قال: **وَعَنْ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ». أَخْرَجَاهُ.**

هذا الحديث يُبين تحذير النبي ﷺ من الغلو به ﷺ.

قَالَ: «لَا تُطْرُونِي» نبه على إطراء النصارى ابن مريم «**كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**»، فقالوا: ابن الله، بَلغ بهم الغلو إلى ذلك الحد فعبدوه، مَرَّ الجيل الأول من النصارى ما عبدوا عيسى، ولا قالوا: ابن الله يعلمون أنه نبي الله.

ثم جاء جيل وقالوا: هو ابن الله، إذا لم يكن له أب فمن أبوه؟، فدخلت عليه الجملة.

ثم جاء جيل وقال: هو إذا كان ابن الله فهو الإله فعبدوه.

فالكلمة تُورِث للناس هذا الشرك.

فإذن قال النبي ﷺ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» هذا كله تحذير من الغلو به ﷺ وبغيره، ولذلك انظر ماذا يقف الجهال مع هذا الحديث يقولون: لا تقل: ابن الله، وقل: ما شئت.

يقول البوصيري:

دع ما دعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت قولًا فيه واحتكم

فقط تترك أن تقول: ابن الله، وقل ما شئت.

هل هذا الذي أراده النبي ﷺ؟ هل النبي ﷺ يقول: لا تقولوا إني ابن الله، وقولوا ما شئتم؟ تعالى الله.

لماذا يقول: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»؟

ولماذا يقول: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»؟ (١٢٧).

فيأتي ويقول: أنت فقط ما تقول ابن الله وقل ما شئت؟

حتى بلغ منهم شيئًا عجيبًا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عنهم في كتاب «الاستغاثة» يقول –رحمه الله– عن بعض أهل زمانه: أنه جَوَّز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف في ذلك مُصَنَّفًا، ألفوا مؤلفات في جواز ذلك، وكان يقول –هذا الضال–: (إن النبي ﷺ يعلم مفاتيح الغيب!)، والله يقول: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس:٤٩].

وذكر عن آخر أنه كان يقول: إنه ﷺ يَعلم ما يعلمه الله ويَقدر على ما يقدر عليه الله!.

---

(١٢٧) أخرجه مالك في «الموطأ»: كتاب النداء للصلاة، باب جامع الصلاة (٤١٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤٠)، عن عطاء بن يسار مرسلًا. وصححه الألباني في المشكاة (٧٥٠).

وأن بعضهم قال في قوله -عز وجل-: ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح:٩] إن الرسول ﷺ يُسَبَّح كما يُسَبَّح الله -تعالى الله-.

ومنهم من قال: نحن نعبد الله ورسوله.

إلى غير ذلك من الكفر الصريح.

فهؤلاء لأنهم يجهلون وعندهم الغلو الذي أوردهم ذلك، ويظنون أنهم لو أخطئوا أن الله يَغفر لهم، بسبب حبهم لرسول الله، والله يقول: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨].

هذا صاحب المنظومة البوصيري ماذا يقول؟

يقول:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم

يعني يوم القيامة.

ويقول:

فإنّ من جودك الدّنيا وضرّتها ومن علومك علم اللّوح والقلم.

الدنيا وضرتها والآخرة كلها من جود النبي ﷺ، إذن ماذا ترك لله؟.

ومن علومك: جزء من علومك علم اللوح والقلم، يعلم الغيب ويعلم ما في اللوح المحفوظ؟ تعالى الله.

ومع ذلك إذا جاء يوم المولد أنشدوا هذه الميمية، وترنموا بها، وهي فيها هذا الشرك، بل الشرك الأكبر -نسأل الله العافية والسلامة-.

يقول: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»، هذا قاله النبي ﷺ لما علمهم بماذا يرمون الجمرات؟

يقول ابن عباس: لما كانت غداة العقبة -يعني يوم النحر- قال لي رسول ﷺ: «انزل فالقط لي الحصى» فأخذ الحصى جمرة، قال: مثل حصى الخذف الذي يرمى به هكذا صغير، فأخذها بيديه ونفضها بكفه فقال: «يا أيها الناس أمثال هؤلاء فارموا، وإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ في الدين».

لأن ﷺ يدري أن الناس سيغلون، بسبب يظنون أن ضَرْب الجمرات ضَرْب لإبليس، وأن الكبير يُؤلمه أكثر، وأن هذا أرضى لله، فقال النبي ﷺ: «**لا بمثل هذا**»، العبادة هذه محدودة.

يقول: **ولِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، قَالَهَا ثَلَاثًا.**

المتنطعون، هم المتعمقون، الذي يَخرج عن الشريعة بتعمقها يهلك لماذا؟ لأنه يَهلك: أولًا سيقع في الباطل، وسيُبعد عن الله؛ لأن الله لا يَرضى إلا ما شَرَع، وسيكون ذلك سببًا لهلاكه يوم القيامة- نعوذ بالله من ذلك-.

بَابٌ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟

فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ ﵂؛ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ» (١٢٨).

فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةِ الْقُبُورِ، وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ - وَهُوَ كَذَلِكَ -: «لَعَنَةُ اللهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»؛ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا» أَخْرَجَاهُ (١٢٩).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا؛ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» (١٣٠).

فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ؛ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا: «خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا.

---

(١٢٨) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد (٤٢٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٥٢٨).

(١٢٩) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور (١٣٣٠)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٥٢٩).

(١٣٠) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (٥٣٢).

وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ يُسَمَّى مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا» (١٣١).

وَلِأَحْمَدَ - بِسَنَدٍ جَيِّدٍ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ». رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ (١٣٢).

الشرح:

هذا الباب أيضًا في التحذير من وسائل الشرك.

قال: **بَابٌ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟** عَبَدَ الله لم يعبد غيره فهو أعظم تغليظًا؛ لأنه جاء التغليظ قال: «شرار الخلق» الذين يعبدون الله عند القبور، فكيف الذين يعبدون القبور؟

فأورد فيه حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، هذا الحديث في الصحيح صحيح البخاري ومسلم، والمصنف اختصره قليلًا، وإلا ففيه أن أم سلمة وأم حبيبة لما كانتا في أرض الحبشة، ثم لما رجعن ذكرن ذلك لرسول الله ﷺ، ذكرن له كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، صورة مريم وعيسى وصالحيهم، يجعلونها كالأصنام أو يصورنها رُقومًا على الجدران، فَقَالَ: «أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ».

هذا هو التغليظ، شِرار الخلق عند الله، هم لماذا فعلوا ذلك؟

تقربًا إلى الله، ظنوا أن الله يرضى بذلك، وأن هذه يقربهم إلى الله، فقال: «أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ» فليس ذلك بمقربًا له.

---

(١٣١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» (٤٣٨)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١) من حديث جابر.

(١٣٢) أخرجه أحمد (٣٨٤٤)، وصححه الألباني في «تحذير الساجد» (ص ٢٦ - ٢٧).

يقول المصنف، وهو من كلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» قال: **فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةِ الْقُبُورِ، وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ.**

التماثيل جعلوها صور، والقبور كذلك بنوا عليها، لأنه قال: **الْعَبْدُ الصَّالِحُ**، إذا مات فيهم **بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ.**

فهم جمعوا بين فتنين، وهذا كله من النهي عن ذلك، ولذلك الآن الذين يعبدون القبور وينذرون لها ويطوفون بها ويذبحون ويأتون يتمسحون بالقبور والأولياء، سبب هذه الفتنة: هو أن القبور أول الأمر أُدخلت في المساجد أو بُني عليها، فهذا الذي أوقع في أنفس الجهال هذا الشيء، تساهل بعض الناس بذلك فصار الآن لا يُمكن إنكاره من الصعوبة بالمكان، الذي ينكره يتهم بأنه ضال.

ويقول ويَستدل بالتاريخ، وهذا لا زالت موجودة! لكن نهى عنها النبي ﷺ ونهى عنها العلماء الذين على السنة، النبي لم يقرها ولا زال في كل جيل من ينهى عنها ويُحذر منها.

قال: **وَلَهُمَا** أيضًا في الشيخين: **عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا نُزِلَ** برسول الله ﷺ» يعني احتضر نزل به الموت ﷺ ، وهذا يدل أن الحديث هذا في آخر أيامه ﷺ ، **طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ**، والخميصة كساء تكون له خطوط وأعلام.

فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، إذا اغتم نفسه ﷺ كشفها.

فَقَالَ -وَهُوَ كَذَلِكَ- يعني وهو في السوق ، في الموت ﷺ: **«لَعَنَةُ اللهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»** لماذا يَذكر هذا الحديث في هذه الحالة؟ حتى لا يُتخذ قبره مسجدًا.

ولذلك قال -كما سيأتينا- قال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

تقول عائشة: «**يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا**». **أَخْرَجَاهُ**

وفي بعض الروايات بالضبط: «**خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا**».

هنا قوله: لعنة الله على من فعل ذلك، هذا يدل على أن هذا الفعل المجرد، فِعل بناء المسجد عليه أنه كبيرةٌ، ملعونٌ بها، فكيف إذا عَبَد الله عنده؟ فكيف إذا عَبَدَه من دون الله بأي نوع من العبادة؟

لأن مشكلة الناس يظنون أن العبادة هو أن يصلي لهم، لا ليست هذه فقط العبادة.

من أنواع العبادة: أن يدعوه، ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨].

ومن أنواع العبادة: أن ينذر لهم.

ومن أنواع العبادة: أن يستغيث بهم.

ومن أنواع العبادة: أن يبخت لهم.

كثير من الناس يُخبت يأتيه من الخشوع إذا جاء عند قبر الرجل الصالح، هذا الخشوع لله، ليس لهؤلاء، يسأله الشفاعة إلى غير ذلك.

قالت: **يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**، عَلِمَتْ أنه ما قال هذا الحديث في آخر أيامه ﷺ في الساعات الأخيرة من أيامه إلا للتحذير ثم قالت: **وَلَوْلَا ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ.**

أخبر أبو بكر –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قال: إن الأنبياء يدفنون حيث ماتوا في مكانهم، فمن أَمْر الله –عز وجل– أن جعل قبره في هذا المكان في حجرته؛ مماته لأجل أن يُدفن في هذا المكان، ولو أُبرز لاتخذه الجهال مسجدًا مع مر الزمان، ولكنه لم يُبرز؛ حُمي عن أن يُتخذ مسجدًا، والصحابة فقهو ذلك، وعلموا التوحيد، فدفنوه ﷺ وتركوه، ولذلك قبور الصحابة سواءً التي في الحجرة أو في الخارج كانت كقبور الناس ليس فيها بناء، ثم بعض الجهال مع تطاول الزمان بنوا عليها البنايات واتخذوها مزارات ومعابد من دون الله.

قال: **غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ**، يعني الصحابة خشوا ذلك أنْ يُتخذ مسجدًا، أو خَشِي هو ﷺ فحَذَّر منه، المهم أنه خَشيه الصحابة فلم يجعلوا للناس أن يصلوا إليه، أو لم يأذنوا للناس أن يصلوا إليه ﷺ حتى لا يُتخذ مسجدًا.

ثم أورد حديث: **جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ في صحيح مُسْلِمٍ ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ.**

بخمس ليال خرج وعهد إلى الناس ووعظهم ﷺ فقال: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ**؛ لأن الخُلَّة مرتبة عظيمة جدًا من أعظم مراتب المحبة، بل هي أعظم مراتب المحبة، فاتخذ الله إبراهيم خليلًا واتخذ محمد ﷺ خليلًا.

فيقول أخبرهم أنه وَصَل إلى هذه المنزلة قبل أن يموت فقال: أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، يعني له أحباب؛ أصحابه أحبابه ﷺ؛ لكن الخلة؛ المرتبة هذه لن يكون فيها إلا الله، أعلى مرتبة المحبة محبة الله.

كما أن الله –عز وجل- أحبه هذه المنزلة وأنزله هذه المنزلة، قال: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا؛ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»، هذا يدل على شرف أبي بكر –رضي الله عنه- أنه لو فَعَل ﷺ لكان أبو بكر أحق بها؛ ففيه الرد على الرافضة.

قال: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»، حَذَّر منه أصحابه على المنبر قبل أن يموت بخمس ليالٍ، وحذر منها في سَوْقِه ﷺ حتى عند موته ﷺ، كل ذلك يُحذر هذه الأمة ويُحذر الصحابة على ما هم عليه من الإيمان والتوحيد واليقين – رضي الله عنهم-.

يقول المصنف: وهذا كلام منقول عن ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم»: (فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ)، يعني اتخذا القبور مساجد (ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ –) طفق عند السوق الموت؛ لما نَزَل به، نهى من فعله وهو في السياق، ولعن من فعله وهو في السياق، (وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ)، لأن القضية أن يُتخذ مسجدًا ليست القضية أن يُبنى فقط، لا، المقصود أن المكان يَصير مسجدًا؛ كما قال النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» (١٣٣)، يعني موضع للسجود ليس المقصود أنها كلها مبنية مساجد، لا.

يقول: «فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فثم مسجده وطهوره»، مسجد يعني موضع الصلاة.

يقول الشيخ: وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، أي من اتخاذها مساجد وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ؛ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا: «خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»، يعني أن يُتخذ محلًا للصلاة بغض النظر عن البناء، وأشد من ذلك البناء الذي حَذَّر منه النبي ﷺ.

قال: فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا.

---

(١٣٣)أخرجه البخاري : كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» (٤٣٨)، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١) من حديث جابر.

يعني هل يتصور أن الصحابة سيبنون ذلك؟ لا يمكن، لكن خُشي أن يدخل على بعض الناس شيءٌ من ذلك، أن يظن أن القُرب من قبره والصلاة عنده أفضل من غيره.

قال: وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا.

مثل ما قال النبي ﷺ في صلاة العيد لما أمر أن يخرج الحِيَّض وذَوات الخدور لصلاة العيد، عن أُمِّ عَطِيَّةَ قال: أُمِرْنَا أَنْ نُخْرِجَ العَوَاتِقَ، وَذَوَاتِ الخُدُورِ؛ لِيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ، وَدَعْوَةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَعْتَزِلُ الْحُيَّضُ الْمُصَلَّى (١٣٤)، المكان الذي يصلي فيه صلاة العيد كان في الصحراء خارج المدينة، لما صلى النبي ﷺ وأصحابه في تلك اللحظة صار مسجدًا؛ فيجب على الحائض أن تجتنبه، تبعد عنه حتى تكون في خارج حُكم الصفوف التي هي الآن مُصلى.

فقال: وليجتنب الحيض المصلى، لكنهن يسمعن الخير، الموعظة ودعوة المسلمين يصيبهم من الخير.

قال: بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ يُسَمَّى مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا».

ثم قال المصنف –رحمه الله-: وَلِأَحْمَدَ - بِسَنَدٍ جَيِّدٍ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ مَرْفُوعًا يعني عن النبي ﷺ.

قال: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ». رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ.

أبو حاتم ابن حبان، هذا حديثٌ صحيح.

الذين يتخذون القبور مساجد: أي موضع للسجود أو يبنى عليها مساجد، هؤلاء شرار الخلق، وهؤلاء أيضًا يشابهون الكفار الذين تُدركهم الساعة وهم أحياء، لأنه عند قُرب الساعة يبعث الله ريحًا تَقبض روح كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ فلا يبقى إلا شرار الخلق الكفار، فإذا كان النبي ﷺ قرن هؤلاء شرار الخلق، هؤلاء وهؤلاء إذن استووا في هذه المصيبة، وهي اتخاذ القبور مساجد والشرك مع الله –عز وجل- فنسأل الله العافية.

---

(١٣٤) أخرجه البخاري : كتاب الحيض ، باب شهود الحائض العيدين ودعوة المسلمين (٣٢٤)، ومسلم : كتاب صلاة العيدين ، باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى (٨٩٠).

يقول ابن القيم –رحمه الله– في كلامٍ مفيد [١٣٥]: (وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن الرسول ﷺ مقاصده، جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة منه باللعن والنهي بصيغتيه: صيغة «لا تفعلوا» وصيغة «إني أنهاكم» –يعني اتخاذ القبور مساجد– ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقَلَّ نصيبه أو عَدم من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

فإن هذا وأمثاله –يعني النهي– من النبي ﷺ صيانة لحِمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه أن يُعدل به سواه. فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكابًا لنهيه وغرهم الشيطان. فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين. وكلما كنتم أشد لها تعظيمًا، وأشد فيهم غلوًّا، كنتم بقُربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد –هذا تصوير الشيطان–.

ولعمر الله، من هذا الباب بعينه دخل على عبَّاد يغوث ويعوق ونسر، ومنه دخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة).

صدق –رحمه الله–، لولا هذا التعظيم لما عبدت اللات والعزى، اللات والعزى إنما أول أمرها أن عمرو بن لحي الخزاعي كان ملك مكة، وكان مُعظمًا وهو أعلم أهلها علمًا، ويُظهر من الصلاح؛ يقولون في صلاحه شيئًا عجيبًا أنه مرض فرحل إلى الشام للعلاج فلما أتى إلى الشام، عُولج هناك بالطب وكان رجلًا ثريًا ثريًا يملك ألف جملٍ قد فقأت عينه، يقولون: من يملك خمسة وعشرين جملًا قد فقأت عينه، لأنه كل من ألَّف فقأ عين الجمل، إذن كم عنده ناقة؟ خمسة وعشرون ألف ناقة، هذا فقط النوق، فكيف بالأعبد والغنم والأراضي وغير ذلك، وكان مَلِكًا، فلما ذهب وجد أهل الشام يعبدون ويستغيثون بهُبل، فقال: ما هذا؟ قالوا: إنه إذا أجدبنا أبرزناه فاستسقينا به فنسقى، فقال: هذا حسن، فاشتراه وجاء به إلى مكة، ونصبه في الكعبة يُستسقى به فقط، لأن هذا الرجل أول من بَدَّل الحنيفية كما قال النبي ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»[١٣٦] وبدل دين إبراهيم.

---

(١٣٥) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (١/ ١٨٩).

(١٣٦) أخرجه البخاري : كتاب المناقب ، باب قصة خزاعة (٣٥٢١)، ومسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،

كان الناس على التوحيد قبله، فجاء بهُبل ووضعه للاستسقاء، ليس للشرك؛ العبادة، فكان يطوف حول الكعبة ويقول: **لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة**... إلى أخره.

فجاءه إبليس وعَلِم إبليس من نَفْسه أنها مالت إلى البدع والتعلق بهذا الوثن، فكان بجواره على صُورة أعرابي يَطوف معه فإذا قال: لبيك لا شريك لك، قال الأعرابي -وهو إبليس-: إن لا شريكًا هو لك تملكه ولا مَلك!، فستحسنها فقالها، ثم مرت الأيام، فكان يُعظمه، فلما رأى إبليس منه حب ذلك أراه في المنام مكان صنم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فقال: إتِ جُدَّة تجد أصنامًا مُعَدَّة، ثم نام واستيقظ ثم جاءه في المرة الأخرى قال: إتِ جدة تجد أصنامًا معدة، ثم في الثالثة: ذكر له إبليس مكانها فجاء إلى الساحل وكانت لما عَمَّ الطوفان الأرض أُلقيت في ساحل جدة هذه الأصنام، فدلَّه على مكانها فأخذها وجاء بها، ولما جاء الناس للحج جاءت العرب، أمرهم بذلك وقال: هذه تَنْتَفِعون بها، رجال صالحون كذا كذا، ثم أخذها.

فلذلك أَعطى مرادًا في اليمن ودًا، وأعطى كذا يغوث، وأعطى كذا يعوق، ولذلك تجد في العرب يقولون: عبد ود، ويقولون: عبد يغوث، من أين هذه؟ هذه الأصنام، أُعيدت لهم أصنام قوم نوح عليه السلام وبسبب هذا الرجل الذي غَلا وظن الناس أنه رجلٌ صالحٌ، وأنه عالمٌ وكان رجلًا فاسقًا وكان جاهلًا وكان سببًا لانتشار الشرك، ولذلك يَجُر قُصبه في النار -نعوذ بالله- بسبب أنه بدل دين إبراهيم الحنيفية.

نقف عند هذا ونسأل الله -عز وجل – أن يثبتنا على الهدى وأن يفقهنا في الدين وأن يلزمنا التوحيد والسنة والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٥٦).



المجلس الرابع

بَابٌ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله

رَوَى مَالِكٌ فِي الْمُوطَّأِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١٣٧).

وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ﴾، قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ»(١٣٨).

وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ»(١٣٩).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ». رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ(١٤٠).

الشرح:

---

(١٣٧) أخرجه مالك في «الموطأ»: كتاب النداء للصلاة، باب جامع الصلاة (٤١٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤٠)، عن عطاء بن يسار مرسلًا. وصححه الألباني في المشكاة (٧٥٠).

(١٣٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥١٩) في سورة النجم بسند صحيح.

(١٣٩) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالعُزَّى} (٤٨٥٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {اللَّاتَ وَالعُزَّى} «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ».

(١٤٠) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور (٣٢٣٦)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدًا (٣٢٠)، والنسائي: كتاب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور (٢٠٤٣)، وابن ماجه: كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور (١٥٧٥)، وأحمد (٢٠٣٠) وضعفه الألباني في الإرواء (٧٦١).

هذا الباب أراد المصنف أن يُبين فيه هذه المسألة وهي: مسألة الغلو، وأنه يَجُرُّ إلى اتخاذ هذه القبور أوثانًا تُعبد من دون الله، أنَّ الغلو وسيلةٌ إلى الشرك، قد يكون الغلو وسيلةً إلى الشرك، إن كان غُلوًا في الذوات والقبور ونحوها.

قال: **بَابٌ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله**

والوثن والصنم بينهما عمومٌ وخصوص؛ فإن الوثن أعمُّ.

الوثن: كُلُّ ما بُوشِر بالعبادة من دون الله -تعالى- فهو وثنٌ سواءً كان صنمًا أو غير صنم.

والصنم: ما عُبد على هيكلٍ وصُورة، ما اتُّخذ على صورةٍ وعُبد فهو صنم.

ولذلك القبور تُسمَّى أوثانًا؛ لأنها تُعبد وهي على ذاتها وعلى شكلها.

والدليل على هذا الحديث الذي أورده المصنف: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»** هذا الحديث الذي رواه مالكٌ في «الموطأ» مرسلًا، وهو حديث صحيح جاء في المسند عن أبي سعيدٍ موصلًا، فهذا يدل على أنه يَتَحَوَّل إلى وثنٍ إذا بُوشر بالعبادة، واستعاذة النبي ﷺ بالله ودعائه لذلك يدل على أن هذا سيحصل إنْ لم يمنعه الله -تعالى-؛ لأنه حَصل في غير قَبره ﷺ أنها اتُّخِذت أوثانًا عُبدت من دون الله.

قال: **«اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**، هذا إما أنه خَبَرٌ؛ أن يُخبر النبي ﷺ، وهو صحيح، فإن النبي ﷺ أخبر كما مر معنا في حديث أم سلمة أنَّه لَمَّا ذكرت له كنيسة في الحبشة التي فيها التصاوير، **فَقَالَ: «أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»**.

هذا يُخبر النبي ﷺ أنَّهم أَشَرُّ الخلق عند الله، وإذا كانوا أشر الخلق عند الله فهذا هو الكفر، لا يَكون أشر الخلق إلا الكفار، والكفار قد اشتد غضب الله عليهم.

ويحتمل أن يكون دعاءً؛ يعني أن يكن: فليشتد غضب الله عليهم.

لكن الأول أولى وأظهر.

الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ إما أن يُبنى عليها المسجد، وإما أن تكون مساجد بمعنى مَحل للسجود والعبادة؛ لأنه كل ما اتُّخذ محلًا للعبادة فهو مسجدٌ وإن لم يُبنَ على هيكل مسجد.

قال النبي ﷺ: «**وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[(١٤١)] أي مكانًا للسجود والصلاة.

وقال -عز وجل-: ﴿ **وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن:١٨] أي وأن مكان السجود والصلاة إنما هي لله؛ مواضع السجود إنما هي لله، يعني التعبد إنما هو لله.

وهذا الدعاء منه ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»، استُجيب، استَجَابه الله -عز وجل-.

ولذلك يقول ابن القيم في نونيته[(١٤٢)]:

ودعا بأن لا يجعل القبر الذي ... قد ضمه وثنا من الأوثـان

فأجاب رب العالـمين دعاءه ... وأحاطـه بثلاثة الجـــدران

حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه ... فـي عـــزة وحـمـاية وصيان

فقبره ﷺ ليست كقبور غيره، لذلك انظر إلى قُبور غيره من الصالحين اتُّخذت مساجد، بُنيت عليها المساجد، واتُّخذت عليها الهياكل والقباب، وعُبدت من دون الله، طِيف بها، وذُبح لها، ونُذرت النذور، وقُدمت القرابين، اتُّخذت أوثانًا تعبد من دون الله، أما قبر النبي ﷺ فقد حماه الله -عز وجل- من ذلك بدعائه.

قال القرطبي -رحمه الله- في هذا الحديث وتفسير قول النبي ﷺ قال[(١٤٣)]: (**ولهذا بالغ المسلمون في سدّ الذريعة في قبر النبي ﷺ، فأَعْلُوا حيطان تربته**) يعني الحجرة وهي بيت عائشة، (**وسَدُّوا المداخل إليها ، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يُتخذ موضع قبره قبلة -إذ كان مستقبل المصلين-، فتتصور الصلاة إليه بصورة العبادة**) إذا كانوا يصلون من خلفه إلى جهة القبلة (**فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال ، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره**) حتى لا يكون أمامه الجهة فإذا رأوه أن هذه الجهة كذا، فإذا رأوه

---

(١٤١) أخرجه البخاري : كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» (٤٣٨)، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١) من حديث جابر.

(١٤٢) «نونية ابن القيم = الكافية الشافية» (ص: ٢٥٢).

(١٤٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٥/ ٥٨).

أن هذه الجهة كذا؛ إن جاءوا من هنا يصلون إلى جهته انحرفوا عن القبلة وإن جاءوا من هنا انحرفوا عن القبلة، فلذلك:

وأحاطوه بثلاثة الجدران

كل ذلك لئن لا يصل الناس إليه فيتمسحوا به أو يتخذوه مكانًا للعبادة.

يقول المصنف في المسائل:

الثالثة: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يُخَافُ وُقُوعُهُ.

كيف يستعيذ من شيء لا يقع؟

إذن إذا كان هذا ممكنًا أن يقع؛ فاستعاذ منه، فدل على أن هذا مُتصور الوقوع، وهذا الشَّاهد في قبور المسلمين والصالحين في العالم الإسلامي.

الرابعة: قَرْنُهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ.

في حديثٍ واحدٍ قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

فدل على أنه المقصود من هذه الوثنية هو أن يُتخذ محلًا للعبادة؛ يُعبد عند القبر خصوصًا.

في الشرح «تيسير العزيز الحميد» (١٤٤) يقول: قوله ﷺ: («اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» **هذه الجملة بعد الأولى تنبيهٌ على سبب لحوق اللعن بهم، وهو توسلهم بذلك إلى أن تصير أوثانًا تعبد**).

أنَّ هذا وسيلة إلى أن يصير القبر وثنًا يعبد.

ففيه إشارة إلى ما ترجم له المصنف، وفيه تحريم البناء على القبور، وتحريم الصلاة عندها.

قال: وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ يعني في تفسيره.

عَنْ سُفْيَانَ وهو الثوري.

عَنْ مَنْصُورٍ يعني ابن معتمر.

عَنْ مُجَاهِدٍ ابن جبر صاحب ابن عباس.

---

(١٤٤) «تيسير العزيز الحميد» (ص: ٢٨٨).

قال: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾، مجاهد يقول: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث مرات، أسأله وأوقفه عند كل آية؛ يُفَسِّر له القرآن.

ولذلك يقول سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك، يعني يكفيك، ولذلك تفسير الثوري مليء بالرواية عن مجاهد، وتفسير الثوري مطبوع.

قال مجاهد في تفسير اللات: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ».

هذا الرجل -تقدمت القضية هذه في تفسير قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم:٢٠] سُمِّي بـ«**اللاتّ**» بتشديد التاء، وذكرنا فيما مضى أن أصلها التشديد ثم خُففت على ألسنة العرب لكثرة ترددها، وجاءت القراءة بالوجهين: قراءة اللاتّ بالتشديد، وقراءة اللات والعزى القراءة المعروفة عندكم.

وسبب التسمية قال: فمات فعكفوا على قبره، اسمه اللاتّ لهذا العمل، كان يَلُت السويق لهم دقيق، طحين يُحمص في النار، ثم يُجعل ماءه سمن أو ماء، ثم يُنشف فيكون صالحًا للأكل، وإن جُعل معه تمرٌ ونحوه فهو أتم وأحسن، وإن جُعل معه الأقط فهو أحسن.

المهم: أنه كان يَتصدق على الحجاج، كان رجلًا صالحًا فعكفوا لما مات في ذلك المكان، عظَّموه لصلاحه وعَظَّموا قبره، ثم مع الأيام بنوا عليه بنيةً فصار وثنًا يُعبد، فهو رجلٌ صالحٌ.

وهذه المشكلة التي ابْتُلي بها المسلمون في هذا الزمان؛ من أَعْصُر؛ من القرن الخامس والسادس وما بعده والناس مُبتلون بهذا، وما جاءت هذه -تعظيم القبور- إلا من الرافضة، الدولة العبيدية الفاطمية لما كانت واليةً على مصر وما ولاها هي التي نشرت هذا البلاء في العالم الإسلامي، وقَلَّدها بعد ذلك الناس والجهل بهم.

يقول: وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ، أيضًا من تلاميذ ابن عباس، روى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ».

أيضًا هذا من تفسير ابن عباس، ورواه عنه أبو الجوزاء، وأخذه عنه مجاهد.

وفي الحديث قال: وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ». رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ.

هذه فيها مسألتان:

المسألة الأولى:

تعظيم اتخاذ القبور مزارًا دائمًا.

لكن هنا جاء في الرواية التي في المسند بأصح إسناد من هذا: «**لَعَنَ اللهُ زَوَّارَّاتِ الْقُبُورِ**» (١٤٥)، وصيغة زوارات تدل على المبالغة، وهي أشبه ما تكون باتخاذها عيدًا، لذلك قال النبي ﷺ: «**لَا تتخذوا قبري وثنًا يعبد**»، وكذلك اتخاذها شيئًا مُعتادًا -كما سيأتينا إن شاء الله تعالى- في الحديث الذي بعده، حديث أبو هريرة قال النبي ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**».

العيد هو ما رُتِّب مُعتادًا على نمطٍ معتادٍ مُتكررٍ -وسيأتي شرحه-.

فالزَّوَّارات على هذه العادة تكون اتخذنَّ ذلك عيدًا، ليس على سُنَّة زيارة القبور المَأذون بها، لأن زيارة القبور مأذونٌ بها إذا خلت من المحاذير الشرعية؛ لأن زيارة القبور على ثلاثة أنواع:

١ . زيارة شرعية.

٢ . زيارة بدعية.

٣. زيارة شركية.

الزيارة الشرعية:

هي ما أَذن به النبي ﷺ؛ قال: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ**» (١٤٦).

وزار النبي ﷺ قبور أصحابه أُحد، وأهل البقيع الغرقد، وسلم عليهم ودعا لهم واستغفر الله لهم.

فهذه الزيارة الشرعية التي تكون لأجل السلام عليهم، ولأجل الدعاء لهم، والاستغفار لهم؛ خالية من المنكرات التي جاء النهي عنها.

الزيارة البدعية:

---

(١٤٥) أخرجه الترمذي: كتاب الجنائز ، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء (١٠٥٦)، وابن ماجه: كتاب ما جاء في الجنائز ، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور (١٥٧٦)، وصححه الألباني في الإرواء (٧٧٦).

(١٤٦) أخرجه مسلم : كتاب الأضاحي ، باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وهو مريد التضحية أن يأخذ من شعره أو أظفاره شيئًا (١٩٧٧).

هي أن يُتَّخذ القبر مكانًا لعبادة الله -عز وجل-؛ فهذه بدعية؛ لأن المقابر ليست مكانًا للعبادة، نهى النبي ﷺ على الصلاة على القبور وقال: «**الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ**» (١٤٧)، فنهى عن ذلك.

فإذن: اتخاذ المقابر محلًا لعبادة لله؛ إما عبادة صلاة، أو عبادة دعاء، أو أي نوع من العبادات؛ يُتخذ المكان للتعبد، اعتكاف غير ذلك، هذه بدعةٌ محرمةٌ منكرةٌ؛ لأن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» (١٤٨)

عبادة: يعني يتعبد لله مخلصًا، لا يدعو صاحب القبر، أو يستغيث به، أو ينذر له، أو يذبح له، لا، إنما يفعل ذلك لله -عز وجل- سواءً يتخذه محل للصدقات، يظن أن هنا المكان أبرك، وأفضل، أو يتخذه محلًا للعبادة يظنون -كما يزعم بعضهم يقول: هنا الدعاء قند قبر الولي الفلاني مستجاب، هذا كذب، وهذا من البدع .

النوع الثالث: الزيارة الشركية:

وهو أن يُشرك بالله عند صاحب هذا القبر، بمعنى أن يَدعُوه دون الله، يطلب منه الشفاعة، يطلب منه الشفاء، يطلب منه الرزق، يطلب منه الجاه أو يشفى مريضه أو يرزق أو غير ذلك، أو يذبح له، أو ينذر له، أو يطوف بقبره تقربًا لصاحب القبر، هذا كله شركٌ بالله.

فإذن الزيارة الشرعية هي ما وردت به السنة .

النساء إذا أكثرن من زيارة القبور على رواية «**زَوَّارَات الْقُبُور**» أصح اسنادًا ما الحامل لهن على ذلك؟

---

(١٤٧) أخرجه أبو داود : كتاب الصلاة، باب في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة (٤٩٢)، والترمذي : كتاب الصلاة، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام (٣١٧)، وابن ماجه : كتاب المساجد والجماعات، باب المواضع التي تكره فيها الصلاة (٧٤٥)، وأحمد (١١٧٨٤). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥٠٧)، والثمر المستطاب (١/ ٣٥٨).

(١٤٨) أخرجه البخاري : كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم : كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

لابد: إما بدعة وإما شرك.

لأن المرأة أصلًا مأمورةٌ بالقَرار في بيتها، وإن أرادت أن تذهب تزور قريبًا لها تُسلم عليه ونحو ذلك يكون بِقَدَرٍ ومحدود بحدود، فإنها لو ذهبت في أمورها العادية مصالحها العادية للسُّوق ولغيره لانضبطت في ذلك، ما يُفتح لها المجال دائمًا، وهي تنضبط؛ يمنعها أشياء كثيرة، فإذا كانت خَرَّاجَّةً ولَّاجَةً إلى المقابر لابد من شيء؛ لابد أن تعتقد بركةً، أو تعتقد تَعَلُّقًا به تعلق قلبها به، أو -نعوذ بالله- قد يكون الشرك هذا، وهذا يَكثر في النساء، ناقصات عقلٍ ودينٍ، وضعيفات القلوب، فيكثر فيهن ذلك، ولذلك يَروج عندهن الخرافات أكثر من الرجال.

فلذلك قال النبي ﷺ: «**لعن الله زوارات القبور**».

ومن هذا أخذ كثيرٌ من الحنابلة أن زيارة النساء للقبور منهيٌ عنها، ممنوعة، ومنهم قال: محرمةٌ مطلقًا، ومنهم قال: مكروهة، والجمهور على أنه مباحٌ غير مستحبٍ؛ لحديث أم عطية أنها قالت: نهينا عن زيارة القبور ولم يُعزم علينا، فأُخذ من ذلك أنه يُباح ولا يُستحب.

لماذا؟

لأنه يتعارض هنا مصلحة الزيارة لأجل تُذكركم الآخرة، ولأجل السلام على القريب الميت والاستغفار له.

لكن ماذا يُعارضه بالنسبة للنساء؟

الخروج من بيتها، والله قال: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ [الأحزاب:٣٣]، ومنها أنها تَترك مُهمات بيتها، ومنها ضَعف النساء وتُولول المرأة وكل ما تَذَكَّرت الأحزان بكت، ومنها الفتنة بالنساء، فلما تعارض هذا مع هذا؛ درء المفسدة مُقَدَّم على جلب المصلحة، لذلك قال الجمهور بأنه مباحٌ في أصله، ولكنه بالنسبة للنساء لا يُستحب.

أما الحنابلة فالمَنع من ذلك، وهذا أقرب الحقيقة في حق النساء؛ لأنه ليست القضية قضية أنه مأذونٌ أو غير مأذونً؛ القضية يتعلق في حقِّ النساء أشياءٌ كثيرة، منها ما ذكرنا وضعف قلوبهن والتعلق بالخرافات.

يقول ابن قدامة [١٤٩] -رحمه الله-: (**وَلَوْ أُبِيحَ** -اتخاذ السُّرُج على القبور- **لَمْ يَلْعَنْ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ فَعَلَهُ، وَلِأَنَّ فِيهِ تَضْيِيعًا لِلْمَالِ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ، وَإِفْرَاطًا فِي تَعْظِيمِ الْقُبُورِ أَشْبَهَ تَعْظِيمَ الْأَصْنَامِ**).

وقال ابن القيم [١٥٠] -رحمه الله-: (**اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر**).

هذا بالنسبة لقوله ﷺ: **وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ** أي ملعونون؛ الذين يبنون عليها المساجد ملعونون بنص النبي ﷺ قال: **أُولَئِك شِرَارُ الْخَلْق** .

وكذلك السرج لماذا توقد المقابر للناس في الليل؟

لتعظيم للقبور.

والنبي ﷺ لما زار أهل بقيع الغرقد في الليل لم يتخذ سراجًا، ولم يقل: هذا حاجة، والناس يحتاجون إليه، ولكن لو احتاج الناس إلى دفن ميتٍ واحتاجوا إلى إضاءةٍ في تلك الحالة فلا بأس، لأنه صح عن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان في غزوةٍ، قال: فاستيقظت من آخر الليل فرأيت ضوءًا أو سِرجًا فأتيت فإذا النبي ﷺ وأصحابه يدفنون رجلًا من آخر الليل ومعهم سِراج [١٥١]، هنا إضاءة لأجل الدفن ليس لأجل تعظيم القبور، يعني ما يكون من ذلك؛ فإن هذا كما يقول ابن القيم من المحرمات الكبائر.

ويقول ابن قدامة: فيه إفراط في تعظيم القبور أشبه تعظم الأصنام، وفيه تضييع للمال.

ولذلك بعض الجهلة يوقف أوقافًا على إيقاد السُّرُج عند القبور، يظن أن ذلك قربةً إلى الله، وما هي بقربةٍ إلى الله، هذه محادة لله وليست قربة.

---

(١٤٩) «المغني» (٢/ ٣٧٩).

(١٥٠) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٩٧).

(١٥١) لم أقف عليه من حديث ابن مسعود، ولكن خرجه الترمذي: كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي الدَّفْنِ بِاللَّيْلِ (١٠٥٧) من حديث ابن عباس أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ قَبْرًا لَيْلًا، فَأُسْرِجَ لَهُ سِرَاجٌ، فَأَخَذَهُ مِنْ قِبَلِ القِبْلَةِ، وَقَالَ: «**رَحِمَكَ اللهُ، إِنْ كُنْتَ لَأَوَّاهًا تَلَّاءً لِلْقُرْآنِ**»، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا. قال الألباني: ضعيف لكن موضع الشاهد منه حسن. يعني: الدفن ليلًا.

بَابٌ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيد، وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إلَى الشِّرْك

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.. الآيَةَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ [تَسْلِيمَكُمْ] يَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ(١٥٢).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ؛ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ، وَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا؛ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ». رَوَاهُ فِي الْمُخْتَارَةِ(١٥٣).

الشرح:

هذا الباب انظروا كيف ترجم المصنف: **بَابٌ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيد، وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّرْك.**

حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ وهو النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن الله اصطفاه.

حمايته **لجَنَابَ التَّوْحِيدِ** يعني جانبه، وفي الباب قبل الأخير -إذا نظرتم فيه هناك- قال: **بَابٌ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيد، وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْك.**

هناك قال: **بَابٌ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيد.**

وهنا قال: **جَنَابَ التَّوْحِيد.**

ما الفرق بين هذين البابين؟

الفرق -والله أعلم- أن هذا الباب في حماية الجانب، الحد نفسه؛ جانبه أن يُمَسَّ جانب التوحيد، جانب الشيء: جزءٌ منه، جنبك، جناب هو الجنب، أن يمس نفس التوحيد؛ فهذا حماية وسدٌ لذرائع الوصول إلى التوحيد أو الخدش في التوحيد، فهذا الباب في سد ذرائع الخدش في نفس التوحيد.

---

(١٥٢) أخرجه أبو داود: كتاب المناسك، باب زيارة القبور (٢٠٤٢)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (١/ ٢١٩).

(١٥٣) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٨٦) وحسنه السخاوي في القول البديع، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٦٩)، ومن طريقه: الضياء المقدسي في «المختارة» (١/ ٢٤٤/ ٤٢٨).

والباب الآخر: سدٌ للذرائع المُوصِلة إلى الحِمى، الحمى: ما يُحمى خارج الشيء، ما يقال: حَرَمْ كذا، ويُسمون العرب: حريم البئر، الأشياء التي عند البئر، البئر له حريم، أي حَرَم، والحرم من حيث اللغة، والحرم الشرعي لا يوجد إلا مكة والمدينة، لكن الحرم -لغةً-: هو ما يُمنع الممنوع، التحريم: هو المنع في اللغة، ويقولون الآن في لغتهم: الحرم الجامعي، يقصدون الحدود التي لا تؤتى فيه، ولهذا سميت المرأة حريمًا، يقول حريم الشخص، لأنه حرمه الذي يَحميه يمنعه، ليس المقصود بها اسم المرأة نفسها: حرمة، لا، المرأة اسمها امرأة، لكن حُرمة لأنها حدود لا أحد يصل إليها؛ ممنوعة.

فهنا الحمى هي هذه، التي تُحمى وتُمنع هذه الحمى.

وهنا هذا الباب ذكر فيه المصنف أحاديث فيها النهي عن أفعالٍ تخدش في حمى التوحيد أو في جناب التوحيد.

وذاك الباب ذكر فيه أقوالًا وألفاظًا؛ قال: «**يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا**»[١٥٤] ألفاظ، قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بِبَعْضِ قَوْلِكِمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ**»، فهي ألفاظ.

والأفعال أشد من الألفاظ، ولذلك الأفعال تقدح في الجانب نفسه، والألفاظ كانت في الحمى.

هذا الفرق بين البابين.

على كلٍّ هذا الباب: في سد الذرائع الموصلة، الوسائل الموصلة إلى القَدْح في التوحيد، وذاك في سَدِّ وسائل الوسائل، في منع وسائل الوسائل.

وأورد **قَوْل اللهِ تَعَالَى**: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.. **الآيَةَ**.

﴿رَسُولٌ﴾ هو محمد ﷺ.

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي من ذاتكم، منكم؛ ليس من مواليكم أو من غيركم قال: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ؛ لأن العرب كانت تَعُدُّ الذي ليس من القبيلة من نفسها وإنما هو في الحلف، يقولون: منهم، مولاهم؛ فلان فلان كذا القرشي مولاهم.

وأما الذي من نفس القبيلة يقولون: فلان فلان القرشي من أنفسهم.

---

(١٥٤) أخرجه أحمد (١٢٥٥١) من حديث أنس بألفاظ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٩٧).

والمولى:

قد يكون مولى حِلف،

وقد يكون مولى إسلام على يديه،

وقد يكون مولى عِتاقة، يُعتق فيبقى من القبيلة.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي الذي يُعنِتكم يَعِز عليه.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ حريص على هدايتكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

فإذا كان هذا وصفه ﷺ سيكون يَمْنَعُ كُلَّ ما يُسبب الأمة عنتًا في دينها وفي دنياها، ومن ذلك ما يَقدح في التوحيد، فبيَّن النبي ﷺ هذا الشيء بيانًا شديدًا حتى ما هو وسيلة من المكروهات؛ ينهى حتى مما هو من المكروهات -وسيأتينا في الباب قبل الأخير هذا الشيء- أشياء مكروه أو مباحة، يقول: لا تقولوها، قالوا: «**يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا**»قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بِبَعْضِ قَوْلِكِمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ**».

أليس هو السيد ﷺ؟

قال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١٥٥) لا شك أنه سيدنا، لكن لما خشي أن يبلغ وهو مباح هذا الكلام، قال: «قولوا ببعضه» يعني لا تبالغوا أكثر.

وقال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١٥٦).

ليست القضية فقط قضية تواضع؛ لا شك أنه متواضع ﷺ، لكن ليست هذه هي القضية فقط، إنما القضية حماية جناب التوحيد، لذلك قال: «**كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**».

هذا لماذا؟ هل لأنه هو يُصيبه شيء من ذلك؟

لا يُصيبه شيء من ذلك، لكن حرصًا على الأمة وكل ما يسبب عنتًا لهم يَمنعهم منه عليه الصلاة والسلام.

---

(١٥٥) أخرجه البخاري : كتاب تفسير القرآن ، باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا (٤٧١٢)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤).

(١٥٦) سبق تخريجه.

ولذلك روى الطبراني بإسنادٍ جيد عن أبي ذر قال: مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا وَذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا [١٥٧]، وقال ﷺ: «**مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ**» [١٥٨].

وهذا واضح.

ولا يخفى عليكم كيف كان يُؤدب في الآداب، في الألفاظ، في الأقوال، في الأفعال؟ كيف يقول الإنسان؟ كيف يقول إذا دخل الخلاء؟ كيف إذا خرج؟ من حرصه على أمته، فمنها هذا الجانب، جانب التوحيد.

ولذلك قال: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**».

«**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**» لماذا؟

لأن القبر هو الذي لا يُصلى عليه، وفي الصحيحين عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**» [١٥٩].

المراد: لا تجعلوها كالقبور لا تصلون فيها، ومن هذا أخذ العلماء أن القبور لا يُصلى عندها، كما في النصوص الأخرى لكن هذا من ضمنها، من ضمن النصوص أن القبور لا يُصلى عندها لأن النبي ﷺ نهى أن تُشَبَّه البيوت بالقبور بترك الصلاة فيها، والمقصود من الصلاة صلاة النافلة .

قال: «**وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**».

العيد: هو ما يُتخذ معتادًا، أو ما يُعتاد مجيئه زمانًا أو مكانًا.

فالجمعة عيد؛ لأنها تعتاد كل أسبوع، وعيد الفطر وعيد الأضحى عيد لأنه كل سنة يَعود على الناس، وكذلك عرفة عيد، في الحقيقة هو عيد، وأيام منى عيد.

لماذا؟ لأنها تعتاد، وفيها تعبد لله بصومٍ أو بنحرٍ أو بوقوفٍ أو بغير ذلك من المناسك.

---

(١٥٧) أخرجه أحمد (٢١٣٦١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٠٣).

(١٥٨) أخرجه الطبراني (١٦٤٧) بعد الأثر السابق بسنده سواء، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٠٣).

(١٥٩) أخرجه البخاري : كتاب الجمعة، باب التطوع في البيت (١١٨٧)، ومسلم : كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته (٧٧٧).

المهم قال: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا» هل هذا معناه أنه يَنهى عن زيارة قبره ﷺ؟

لا، زيارة قبره ﷺ لمَن كان في المدينة مُستحبةٌ، ولذلك المصنف -رحمه الله- قال في المسائل:

المسألة الرابعة: نَهْيُهُ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ.

مع أن زيارته ﷺ من أفضل الأعمال، لكن زيارته على وجهٍ مخصوصٍ وهو أن يُتخذ عيدًا ويتخذه الناس على هذا النمط؛ لأنه يتحول إلى: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»؛ لأنه مع الأيام يتحول إلى هذا الشيء؛ فالنبي ﷺ نهى عن ذلك.

ولذلك أصحاب النبي ﷺ كما يقول عبيد الله بن عبد الله بن عمر، [عن نافع]: أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ وَجْهَهُ وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ مَنْزِلَهُ (١٦٠)، ولم أر أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يفعل ذلك إلا ابن عمر (١٦١)، وهو أبوه.

فدل على أن هذا الأمر لم يكن مُعتادًا عند الصحابة أن يفعلوه لماذا؟ خشيةً من أن يُتخذ عيدًا؛ فيكون الأمر في أشياء متفاوتة؛ لماذا؟ لأنهم يصلون عليه ﷺ في كل لحظة، في كل صلاةٍ تقول: اللهم صل على محمد، وتقول: السلام عليك يا أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فسلامك واصلٌ إليه، والأفضل أن تكثر من الصلاة عليه -عليه الصلاة والسلام- في كل وقت.

لكن إذا كان على هذه الصورة يُنهى عنه: أن يتخذ عيدًا.

قال: «وَصَلُّوا عَلَيَّ». أي لا أنهاكم عن الصلاة علي والسلام.

«فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» في بعيدٍ أو قريب.

وأردفه بحديث عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بن علي بن أبي طالب، هذا علي زين العابدين بن الحسين، والحسين هو ابن علي بن أبي طالب.

---

(١٦٠) أخرجه مالك في «الموطأ» (٦٨) كتاب قصر الصلاة في السفر، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، و عبد الرزاق (٦٧٢٤)، وابن أبي شيبة (١١٧٩٣) واللفظ له، وصححه الألباني لطرقه وشواهده في «فضل الصلاة علي النبي ﷺ» (٣٤).

(١٦١) زيادة عبيد الله نقلها صاحب فتح المجيد ص/ ٢٦٠، ولم أقف عليها فلتراجع.

قال حدثني أَبِي، عَنْ جَدِّي جده علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ.

يقول علي بن الحسين: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَدْخُلُ يظن أن قُربه من قبر النبي ﷺ أفضل؛ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو.

هنا شيئان: الدخول والدعاء.

اتخذ المكان مكانًا للدعاء، هل هذا مكان للدعاء؟ لا، لكن لو الإنسان زار القبور للسلام عليها والدعاء لهم، فلا بأس، ولو أضاف أيضًا مع دعائه لهم أن يقول: «يَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ»[١٦٢]، هذا دعاء عام لهم ولنا وللمسلمين، هذا لا بأس؛ لأن هذا تبعٌ، ويجوز تبعًا ما لا يجوز استقلالًا، لا يُتخذ قصدًا؛ لأنه مكان يُستجاب فيه الدعاء، لا.

قال: فَنَهَاهُ عن هذا، واستدل بهذا الحديث: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا؛ وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ». رَوَاهُ فِي الْمُخْتَارَةِ.

«المختارة مما ليس في الصحيحين بالأسانيد الصحيحة الحسنة» للإمام ضياء الدين المقدسي.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: **وشرطه فيها أحسن من شرط الحاكم في المستدرك**.

فهذا الحديث فيه النهي.

ويُشبه هذا الحديث ما رواه سعيد بن منصور في «سننه» عن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب عن أبيه عن جده مثل هذا .

هذا حديث: علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده علي، عن النبي، ذاك: الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**».

كان الحسن بن الحسن جالسًا في بيت فاطمة؛ لأنه بجوار بيت النبي ﷺ يتعشى فرأى يلج إلى القبر، يدخل مع فرجة -مثل هذه القصة-، فناده فقال: هلم إلى العشاء، فقال: لا أريد، ثم قال له: **ما أنتم وما في الأندلس إلا سواء**[١٦٣].

---

(١٦٢) أخرجه مسلم : كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٩٧٤).

(١٦٣) ذكره ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص١١٠) قال: (وروى سعيد بن منصور في سننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند

والنبي ﷺ وصلوا علي، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ.

أنت والذي في الأندلس سواء، كله يبلغه، هذا إكرام من الله -عز وجل- أنه إذا سلمت عليه يبلغه، لا يحتاج مثل ما يفعل بعض الجهلة يقول: إذا ذهب أحد إلى المدينة سَلِّم لي على رسول الله!، ويأتي هذا ويقول: يا رسول الله يسلم عليك فلان!.

سَلِّم عليه من هنا يبلغه، قال: «إِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ» (١٦٤)، خلاص يكفي، أمرٌ وَكَّل الله به ملائكة، فلا تحتاج إلى أن توصي فلانًا إلى ذلك.

القبر فناداني، وهو في بيت فاطمة يتعشى، فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ قلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» ، مَا أَنْتُمْ وَمَنْ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَّا سَوَاءٌ. أخرجه بهذا الإسناد الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ»، رقم (٣٠) ، وليس فيه قوله: وما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء. وأخرجه بإسناد آخر في الحديث رقم (٢٠) ، وفي ألفاظه اختلاف يسير. وأخرجه البزار كشف الأستار عن زوائد البزار (١ / ٣٣٩، ٣٤٠) ، رقم (٧٠٧) عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا، وصلوا عليَّ وسلموا فإن صلاتكم تبلغني»، وقال البزار عن هذا: وهذا غير منكر وقد روي من غير وجه: »لا تجعلوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا». وانظر «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» للألباني ص٩٦.

(١٦٤) أخرجه النسائي : كتاب السهو ، باب السلام على النبي ﷺ (١٢٨٢)، وأحمد (٣٦٦٦) من حديث ابن مسعود، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٥٣).

بَابٌ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾.

وقولُه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾.

وقولُه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟!». أَخْرَجَاهُ [١٦٥].

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» [١٦٦].

وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ [١٦٧]، وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

---

(١٦٥) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم: كتاب العلم (٦٧٢٣). وليس عندهما «حذو القذة بالقذة».

(١٦٦) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٢٨٨٩).

(١٦٧) أخرجه أبو داود: كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤٢٥٢)، والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (٢٢١٩).

الشرح:

هذا الباب قال: **بَابٌ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ**.

المقصود بالباب الرد على الجهلة الذين قالوا لن يكون هناك شرك، لأن كثيرًا من عُباد القبور يظنون أن هذه الأفعال التي يفعلونها ليست شركًا، إنما هي تعظيم وتقديس، بل بعضهم يرى أنها من الدين، وأن هذا من تعظيم أولياء الله.

والشيخ -رحمه الله- لما قام بدعوته المباركة هذه، ودعا الناس ناظره بعض الجهلة بهذا وقالوا النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»[(١٦٨)] خلاص لن يكون هناك عبادة.

وهذا سوء فهم، لأن النبي ﷺ أخبرنا أنه: سيعبد فئام من أمته الأوثان، وقال: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

لماذا هذا الأمر؟ ولماذا قال النبي ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ، وَذُو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ**»[(١٦٩)]؟

وقال ﷺ: «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى**»[(١٧٠)]، يعود الشرك.

هذا الذي أخبر به النبي ﷺ، هل خبر النبي ﷺ يكون خلاف الواقع؟ لا يكون، إذن يوجد الشرك والكفر سيعود.

وأخبر النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنْ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنْ الحَرِيرِ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»[(١٧١)]، يوجد شرار الخلق.

---

(١٦٨) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس (٢٨١٢).

(١٦٩) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان (٧١١٦)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٢٩٠٦).

(١٧٠) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٢٩٠٧).

(١٧١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٢٩٣٧).

إذن هذا الباب لابد منه حتى يتبين الإنسان أنه يوجد شرك يُحْذَر منه ويَجتنبه، فأورد هذه الأدلة.

الآية التي أوردها: وَقَوْل اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١].

ما علاقة هذا إذا كان ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من أحبار اليهود والنصارى ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾؟

والنبي ﷺ أخبرنا: أن هذه الأمة ستتبع سَنن من كان قبلها، كما في حديث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا (ذَاتُ أَنْوَاطٍ)، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[١٧٢].

وهنا في هذا الحديث قال ﷺ: قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ» القذة ريش السهم، السهم يُجعل له في الآخر قذذ، ريش حتى إذا انطلق له ما يُثَبِّته في استقامته، تُجعل مستوية معتدلة حتى لا ينحرف؛ لأن إذا جُعلت قذةٌ أكثر من قذةٍ انحرف، فلذلك يقول النبي ﷺ كما أن ريش السهم وقُذذ السهم مستوية كذلك ستتبعون سَنن وطُرق اليهود والنصارى نعلًا بنعلٍ وحَذوةً بحذوةٍ حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه.

وفي رواية: «حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَأْتِي أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ»[١٧٣].

---

(١٧٢) أخرجه الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٢١٨٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٠١).

(١٧٣) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤١)، وحسنه الألباني في المشكاة (١٧١ / التحقيق الثاني)، الصحيحة (١٣٤٨) من حديث عبد الله بن عمرو.

قالوا: اليهود والنصارى يا رسول الله، قال: «فمن الناس؟»، فمن الناس الذين يكون لهم من أهل الكتاب سنن من كان قبلكم؟

قال: **وقَولُه:** ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾.

هذه الآية من العجائب، هذه الآية العلماء من أهل السنة يوردونها على أنها طريقة أهل الضلالة، لأن الله أوردها في معرض الذم لهم ويستدل بها الجهلة على جواز بناء المساجد على القبور، ويقولون: انظر إليهم.

لمن الغلبة للعلماء أم للملوك في العادة؟

للملوك، والكثرة، ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣] ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنعام:١١٦] والنبي نهى عن ذلك.

فكيف يُستدل بهذه الآية والنبي نهى نهيًا صريحًا: «**لا تتخذوا القبور مساجد**».

فإذا كان الذين سبقونا اتخذوا عليهم مسجدًا، إذن سيكون في هذه الأمة من يتخذ على القبور مساجد هذا مراد المصنف.

ثم أورد حديث ثوبان، والشاهد منه لهذا الباب رواية البُرقاني في صحيحه، البرقاني له مستخرج على الصحيحين بأسانيدها قال وإنما ﷺ: «**أخاف على أمتي الأئمة المضلين**» الأئمة المتبوعين، والإمام : هو المتبوع.

أئمة الناس: إما رؤسائهم في الدين وإما في الدنيا.

إما في الدنيا؛ كالأمراء والملوك وزعماء الناس وشيوخ القبائل، هؤلاء يكون لهم زعامات.

أو في الدين؛ وهو العلماء والعباد، العلماء الناس يقتدون بهم، يأتمون بهم في الدين، والعباد كذلك.

المشكلة إذا كانوا أئمة مضلين، هؤلاء أخوف ما يخاف منهم النبي ﷺ وما أكثر الذين يضلون الناس بالفتاوى الضالة المنحرفة خاصةً في تزيين الشرك والبدع.

ثم قال: « وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ».

إما أن يلحق بهم بالمشركين بالمَسْكن، ينتقل إليهم، وإما أن يلحق بهم بأن يَعُود إليهم الشرك بسبب الوقوع في الشرك.

« وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ ».

تعود إلى عبادة الأوثان، وهذا كثير، أكثر الذين يعبدون القبور وينذرون لها ويذبحون لها ويدعونها ويستغيثون بها ويخبتون عندها، قلوبهم تميل هذا كثير في الأمة الإسلامية.

ثم بين ﷺ: «وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً»، أهل الحق يبقون «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» ما هو أمر الله؟

قيام الساعة وأن الله يرسل ريحًا طيبةً تقبض نفس كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ فيبقى شِرار الناس فتقوم عليهم الساعة، عند قُبيل قيام الساعة يقبض الله أرواح المؤمنين فلا يبقي إلا شرار الناس من كُفارها ومنافيقها -نعوذ بالله-، فإذن أهل الحق باقين، لكن ليس بالضرورة أن يكونوا مجتمعين في مكانٍ واحد، ولا بالضرورة أن يكونوا كثيرين، المهم أن يبقوا، ولا تنقرض هذه الطائفة.

قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل وغيرهم: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟

والمراد بأهل الحديث ليس فقط رُواة الحديث المقصود الذين على معتقد أهل الحديث، لأن الناس كانوا في ذلك الزمان إما على اعتقاد أهل الحديث وهم أهل السنة وإما معتزلة وإما روافض وإما خوارج وجهمية وما شابه ذلك.

فأهل الحديث المقصود بهم أهل السنة، هذا الذين يقصدون به، والذين جعلوا الحديث هو قدوتهم؛ النبي ﷺ قدوتهم؛ حديثه يقدمونه على غيره.

ولذلك البخاري لما أورد هذا الحديث قال: **وهم أهل العلم**، والبخاري عنده لا علم إلا علم الكتاب والسنة، كل علم ليس من الكتاب والسنة لا يعتبر صاحبه عالمًا.

ويقول ابن عبد البر: **أجمع العلماء على أن المقلد ليس بعالمٍ**.

والذي ليس علمًا من الكتاب والسنة ليس بعالم، رأي وقياس وكذا هذا ليس بعلم.

فإن كان مأخوذًا من الكتاب والسنة فهو علم حتى ولو كان قياسًا على الكتاب والسنة فهو علم، لأنه مأخوذ من الكتاب والسنة.

في صحيح مسلم عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى**»[١٧٤].

والأحاديث في هذا كثيرة.

المهم الشاهد من هذا: أنه ينبغي للمسلم الحذر وعدم الاغترار بالكثرة، وأن يحرص على التوحيد؛ لأنه لا يؤمن الشرك -نسأل الله العافية والسلامة- .

تقدم معنا في الباب الثالث **بَابٌ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ.**

وقول **الْخَلِيلُ** عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

قال إبراهيم التيمي: **ومن يأمن الشرك بعد إبراهيم**، فالإنسان يخاف على نفسه.

(١٧٤) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٢٩٠٧).

بَابٌ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾.

قَالَ عُمَرُ: «الجبتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ»(١٧٥).

وَقَالَ جَابِرٌ: «الطَّوَاغِيتُ: كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ» (١٧٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» (١٧٧).

وَعَنْ جُنْدَبٍ مَرْفُوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ: ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ» (١٧٨).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ، قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ (١٧٩).

---

(١٧٥)رواه البخاري معلقًا: كتاب التفسير، تفسير سورة النساء، ووصله سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٠٨)، وابن جرير في تفسيره وابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية عن أبي إسحاق الهمداني عن حسان العبسي قال: قال عمر بن الخطاب فذكره، قال الحافظ في «فتح الباري» (٨/ ٢٥٢): (وَصَلَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي تَفْسِيرِهِ وَمُسَدَّدٌ فِي مُسْنَدِهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رُسْتَةَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ كُلُّهُمْ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ حَسَّانَ بْنِ فَائِدٍ عَنْ عُمَرَ مِثْلَهُ وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ وَقَدْ وَقَعَ التَّصْرِيحُ بِسَمَاعِ أَبِي إِسْحَاقَ لَهُ مِنْ حَسَّانَ وَسَمَاعِ حَسَّانَ مِنْ عُمَرَ فِي رِوَايَةِ رُسْتَةَ وَحَسَّانُ بْنُ فَائِدٍ بِالْفَاءِ عَبْسِيٌّ بِالْمُوَحَّدَةِ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ شيخ وَذكره بن حِبَّانَ فِي الثِّقَاتِ).

(١٧٦) رواه البخاري معلقًا: كتاب التفسير في تفسير سورة النساء. قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٥٢): (وَصله بن أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ عَنِ الطَّوَاغِيتِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ وَزَادَ وَفِي هِلَالٍ وَاحِدٌ) وهذا رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٤/ ٢٠٠) وسنده حسن.

(١٧٧) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} (٢٧٦٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٨٩).

(١٧٨) أخرجه الترمذي: كتاب الحدود، باب ما جاء في حد السيف (١٤٦٠)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٤٤٦).

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ [١٨٠].

وَكَذَا صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ [١٨١].

قَالَ أَحْمَدُ: «عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

الشرح:

بَابٌ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ. أي ما حكمه؟ والأدلة التي أوردها المصنف أنه كفر، والسحر كفرٌ مناف للتوحيد.

والسحر عرفه ابن قدامة بأنه: عزائمُ ورُقَى وعُقَد.

في حقيقته هو تعزيم على الجن، عزائم بمعنى تعزيم، يأتي بألفاظ يَعْزِم عليها أن تَفعل أو أن تأتي هذا هو.

وعُقد تُعقد، ولذلك ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق:٤] تنفث تعزم، تعزم بمعنى أن المرأة النافثة الساحرة تَذكر اسم الشياطين لهم معها اقتران من السحرة، تدعوهم وتعزم عليهم أن

---

(١٧٩) أخرجه البخاري: كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع العرب (٣١٥٧)، وأبو داود: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أخذ الجزية من المجوس (٣٠٤٣) واللفظ له.

(١٨٠) أخرجه مالك في «موطئه»: كتاب العقول، باب ما جاء في الغيلة والسحر (١٦٢٤). بلاغًا، ووصله عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ١٨٠/ ١٨٧٤٧).

(١٨١) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٦١) من طريق أَشْعَثُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ أَمِيرًا مِنْ أُمَرَاءِ الْكُوفَةِ دَعَا سَاحِرًا يَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ، فَبَلَغَ جُنْدُبًا، فَأَقْبَلَ بِسَيْفِهِ وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَآهُ ضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَنْ تُرَاعُوا إِنَّمَا أَرَدْتُ السَّاحِرَ، فَأَخَذَهُ الْأَمِيرُ فَحَبَسَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ سَلْمَانَ، فَقَالَ: «بِئْسَ مَا صَنَعَا لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لِهَذَا وَهُوَ إِمَامٌ يُؤْتَمُّ بِهِ يَدْعُو سَاحِرًا يَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا يَنْبَغِي لِهَذَا أَنْ يُعَاتِبَ أَمِيرَهُ بِالسَّيْفِ». وإسناده موقوف صحيح إلى الحسن. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧٢٥) من طريق هُشَيْمٍ، أَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، أَنَّ سَاحِرًا، كَانَ يَلْعَبُ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ فَكَانَ يَأْخُذُ السَّيْفَ وَيَذْبَحُ نَفْسَهُ وَيَعْمَلُ كَذَا وَلَا يَضُرُّهُ «فَقَامَ جُنْدُبٌ إِلَى السَّيْفِ فَأَخَذَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ» ثُمَّ قَرَأَ: {أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} [الأنبياء: ٣]. وهذا إسناد صحيح موقوف، صرح فيه هشيم بالتحديث.

يأتوا، ثم تنفث بنَفَثِها ونَفَسِها الخبيث وتعقد، فيَقترن مع ذلك، هذا الجان الساحر أو الخبيث يقترن معه فهي عُقَد.

ورُقى، أي بمعنى كلام يدعى فيه هؤلاء الشياطين والعفاريت.

ثم ذكر ابن قدامة أنه يؤثر في القلوب والأبدان فيُمرض ويَقتل ويُفَرِّق بين المرء وزوجه، أي بأمر الله بإذنه، كما ذكر الله -عز وجل- عنه قال: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٠٢] أي بقدر الله، كله بقدر الله، ليس بقُدرتهم المطلقة، لا، هي أسباب كما أن القاتل إذا ضَرب بالسيف شخصًا، هل لا نقول: قَتَله، قتله حقيقة لأنه باشر القتل، لكن أليس بقدر الله؟ وهكذا من وضع سمًا لشخص فكان سببًا لمرضه بهذا حتى يموت هو بقدر الله، ومن الفاعل؟ المُباشر للفعل قتله به، ولذلك يُقتل بسبب ذلك، لأنه هو المجرم بذاته.

فكذلك الساحر ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ليس أنه من فِعلهم المطلق وقدرتهم، إنما هي أشياء جعلها الله -عز وجل- فتنة، لذلك الملكان ماذا يقولان لهما؟ ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ أي يقولون: الله جعلنا فتنة للناس، مثل ما جعل إبليس فتنة للناس، يمتحن الله الناس بها، فتنة أي محنة وامتحان، فوجود الخير والشر فتنة كما قال -عز وجل- ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥] امتحان يمتحن الله به.

فكذلك وجود السحر والسحرة هو ابتلاء يبتلي الله به عباده.

فإذن السحر كُفْرٌ؛ لأن الله قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ من الذي ليس له حظٌ في الآخرة؟

هو الكافر، المؤمن ليس كذلك، المسلم مهما بلغ من الذنوب والمعاصي قد يعفو الله عنه وقد يُحاسب ثم يدخل الجنة، إذن له منها خَلاق، له نصيبٌ من الجنة، الذي ليس له خلاق هو الكافر.

وقوله: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ يدل على أنه كُفْرٌ.

وقوله عن الكفار، عن أحبار اليهود قال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ قَالَ عُمَرُ: «الجِبتُ: السِّحْرُ»، هنا في هذا المكان: الجبت السحر؛ لأن كلمة الجبت عامة تشمل السحر والشياطين والكهانة لكن هنا المراد به السحر والكهانة.

وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ.

يؤمنون به أي يتبعونه ويطيعونه، ليست قضية تصديق وما تصديق، كل الناس يصدقون أنه يوجد إبليس، ويوجد شياطين، لكن المقصود: عبادتهم، أي يعبدون الشيطان ويتخذون السحر؛ فإيمانهم به أي عبادتهم له، هذا المقصود، طاعتهم له إيمان، كما طاعتنا لله إيمان، وطاعتنا لرسول الله إيمان، كذلك طاعة الشياطين إيمان؟

قال -تعالى-: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام:١٢١] الوحي من أين؟ وسوسة الشيطان، فهذه منها.

ثم أورد حديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» بدأ بالأعظم وهو الشرك، ثم السحر؛ لأنه شركٌ، ثم قتل النفس مع عِظم قتل النفس إلا أن السحر أعظم منه لأنه شركٌ يُخرج من الملة، وقتل النفس عظيمة عند الله -لا شك- فهذا هو الذي أراد المصنف.

ثم قال: وَعَنْ جُنْدَبٍ مَرْفُوعًا أي إلى النبي ﷺ: «حَدُّ السَّاحِرِ: ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ». رَوَاهُ التِّرْمَذِيُّ، وَقَالَ: «الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ».

اختلف العلماء هل هو موقوف أو مرفوع؟

الأشهر أنه موقوف من كلام جندب، وهذا المعروف بجندب الخير صاحب النبي ﷺ، رأى رجلًا عند الوليد بن عقبة ساحر، يعمل السحر، مثل ما يفعل الآن من الجهلة يأتون بهم يُسمونهم السيرك ويسمونهم كذا، يخيلون للناس يدخل الحمامة من هنا ويخرجها من هنا، ويحولها إلى أشياء غريبة، هذا سحر تخييل ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦] هذا الآن يُؤتى به ويُجعل في مكان هذا هو السحر الذي يفعل، حتى من العجائب والغرائب أن بعض الناس يتخذه على

أنه وسيلة دعوة؛ دعوة إلى الله بالسحر؟! وهل يجتمع هذا؟، يجتمع التوحيد والسحر؟ ما يجتمعان، لكن جهل الناس بالتوحيد هو الذي يوقعهم بها.

يقول: فرأى هذا الرجل يضرب الرجل بالسيف فيقطع رأسه حتى يأتيه، ثم يأتي بالرأس ويجعلها على رأسه على الشخص، ثم يقوم حيًّا والناس يتعجبون، يقولون: سبحان الله قتله وأحياه، وأحياه، فذهب إلى بيته وأتى بسيف، ثم جاء عند الرجل الذي يعمل السحر فاخترط سيفه وضربه، قال: أحيي نفسك، فغضب عليه الولي يعني أنه اعتدى أمامه، تَعَدَّى على هذا، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حَدُّ السَّاحِرِ: ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ» أو « ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ».

سماه حَدًّا ومتى يستحل؟ «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»(١٨٢).

هل هو زاني؟ لا.

هل هو قاتل لغيره متعدٍ؟ لا.

إذن هو مرتد.

وقال: وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ، قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ.

هذا الحديث في سنن أبي داود، ولعله عند البخاري معلقًا.

فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ.

كيف استحل عمر قَتْلَهُم وهم يَدَّعون الإسلام لولا أنهم قد ارتدوا، ولم يقل هنا أن هناك استتابة ولم يذكر استتابة.

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا، استحلت قتلها لأنها ساحرة فَقُتِلَت.

وَكَذَا صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ.

قَالَ أَحْمَدُ: «عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

---

(١٨٢) أخرجه البخاري : كتاب الديات، باب قول الله تعالى: {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} (٦٨٧٨)، ومسلم : كتاب القسامة – باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦) عن ابن مسعود.

كلهم يقول إنه يقتل، ولذلك أخذ به.

وهل يقتل باستتابةٍ أو بغير استتابةٍ؟

قولان لأهل العلم: بعضهم يقول لا يستتاب لأنه زنديق، وتوبته توبة منافق، لا تقبل، سيُظهر التوبة، ولذلك الأصح أنه لا يستتاب.

بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ؛ مِنَ الْجِبْتِ».

قَالَ عَوْفٌ: «الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرْضِ».

وَالْجِبْتُ - قَالَ الْحَسَنُ-: «رَنَّةُ الشَّيْطَانِ». إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ، وَلِأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ الْمُسْنَدُ مِنْهُ[١٨٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ؛ زَادَ مَا زَادَ».. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[١٨٤].

وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[١٨٥].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ؛ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١٨٦].

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»[١٨٧].

---

(١٨٣) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير (٣٩٠٧)، وأحمد (١٥٩١٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٩٠٠).

(١٨٤) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في النجوم (٣٩٠٥)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب تعلم النجوم (٣٧٢٦)، وأحمد (٢٨٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٧٤).

(١٨٥) أخرجه النسائي: كتاب تحريم الدم، باب الحكم في السحرة (٤٠٧٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف النسائي».

(١٨٦) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة (٢٦٠٦).

(١٨٧) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الخطبة (٥١٤٦)، ولم يروه مسلم من حديث ابن عمر وإنما رواه: كتاب الجمعة (٢٠٠٦) قَالَ أَبُو وَائِلٍ: خَطَبَنَا عَمَّارٌ، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا».

الشرح:

قَالَ الْحَسَنُ: «رَنَّةُ الشَّيْطَانِ» الصواب: «إنه الشيطان» هذا اشتهر في الكتب «رنة الشيطان»، ولذلك تكلفوا التوجيه ما معنى «رنة الشيطان»؟ والذي في المسند «إنه الشيطان»، الجبت الشيطان -كما مر معنا- عن عمر الجبت والطاغوت قال: الشيطان وجابر قال: الشيطان فإذن هو الشيطان بأنه من الطاغوت.

هذا الباب لما ذكر -رحمه الله- السحر وحكم السحر، ذكر شيئًا من أنواع السحر متنوعة، منه ما هو شرك، ومنه ما هو دون ذلك: كبيرة من الكبائر، وسمي في الشريعة سحرًا؛ لأن السحر: ما يؤثر في القلب، أو في البدن، فذكر هذه الأشياء.

منها حديث: قَطَن بْن قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ؛ مِنَ الْجِبْتِ».

أي من الشيطان، كما قال الحسن البصري، الجبت هو الشيطان.

ثم فسر عَوْفٌ الأعرابي هذا، لما روى الحديث قال: «الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ» العرب كانت قديمًا إذا سافرت أتو بطير أمامهم فزجروه يسمونه السارح والبارح إلخ، فإن انطلق إلى اليمين، قالوا: يمنى؛ طريق جيد، وإن كان إلى اليسار تشاءموا، وإن كان للخلف أمسكوا، وإن كان للإمام انطلقوا، فذلك كله من زجر الطير، فهي من الجبت، من وساوس الشيطان.

قال: «وَالطَّرْقُ» والطيرة، والطرق هو المقصود هنا؛ أيضًا: لأن الطرق فسر بشيئين: إما بالخطوط التي يخطها السحرة، يدعون علم الغيب، يرسمونها، يسمونه الرمالين، يخط في الرمل أو يجعل رمادًا ويخط فيه.

وإما طرق الحصا والودع، يسمون الخطاطين، خطاطات بعض النساء؛ خرز ونوى وحصى وودع؛ تخط، يقولون: خطاطة، ترمي ثم يأتيها الذي يسأل عن غائبه أو يوفق بزيجة أو غير ذلك، ترميها ثم تقول: هذا يحصل كذا، ويحصل كذا.

هذا كله من ادعاء علم الغيب، من الجبت، قال إنه من الشيطان، لما قال الجبت.

وهذا أيضًا نوع من السحر.

والطيرة، ستأتينا، وهي التطير والتشاؤم.

يقول: وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ؛ زَادَ مَا زَادَ».

هذا سيأتينا باب التنجيم، لكن هنا بين أن علم التنجيم الذي هو علم تأثير النجوم في الأرض، هل يولد له ، هل يوفق في كذا.

يقول: هذا من السحر، «فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ».

قال: وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ».

كما قال عز وجل: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾ [الفلق:٤]، النساء السواحر، فسرناها قبل قليل كيف ينفثن.

قال: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ» هذا هو السحر، والسحر شرك، لأنه تعزيم على الشياطين، والشياطين لا تطيعه إلا إذا أطاعها وأشرك، ولذلك قال عز وجل: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام:١٢٨].

وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٩].

هذه كسبهم، شركهم، فكيف تتولاه الشياطين؟ الشياطين لا تتولى إلا من هو مثلهم.

كما قال عز وجل: ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٣].

هؤلاء الذين تأتيهم الشياطين، السحرة والكهنة.

«وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ».

الذي يتعلق بهؤلاء السحرة يوكل إليهم ويوكل إلى ضعف وقلة، فيهلك، من تعلق على التمائم والحروز يوكل إليه، ومن تعلق بالله فهو حسبه.

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق:٣].

قال: وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ؛ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

النميمة فسرها النبي ﷺ بالعضة، والعضة بهت الناس بينهم البعض في ذلك، كما قال الزمخشري وغيره، وهي نوع من السحر؛ كيف السحر؟

لأنها سحر في الأذهان، سحر لطف وخفي سببه، سببه خفي، والنمام يفسد القلوب، كم من أناس شبت بينهم الفتن بسبب النمامين؛ لذلك هي فسادها بين الناس كفساد الساحر، ولذلك قال النبي ﷺ: لا يدخل الجنة قتات، يعني نمام.

قال: وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا».

البيان بيان اللسان الذي يتكلم حتى يفتن الناس، يقنعهم بالشيء الباطل، هذا من السحر.

قال صعصعة بن صوحان: هو الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق.

هذا أيضًا سمي سحرًا لأنه يغير الحق، ويغلب الباطل ، نعوذ بالله.

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا» (١٨٨).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (١٨٩).

وَلِلْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ - وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا - عَنِ النبي: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» (١٩٠).

وَلِأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا (١٩١).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ». رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ (١٩٢).

---

(١٨٨) أخرجه مسلم : كتاب السلام ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ (٢٢٣٠) عن بعض أزواج النبي ﷺ، بلفظ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» ليس فيه: فصدقه.

(١٨٩) أخرجه أبو داود : كتاب الطب ، باب في الكاهن (٣٩٠٤)، والترمذي : كتاب الطهارة ، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض (١٣٥)، وابن ماجه : كتاب الطهارة ، باب النهي عن إتيان الحائض (٦٣٩)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٤٥٩٩).

(١٩٠)أخرجه أبو داود : كتاب الطب ، باب في الكاهن (٣٩٠٤)، بلفظ: «فقد برىء مما أنزل الله على محمد ﷺ»، والترمذي : كتاب الطهارة ، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض (١٣٥)، وابن ماجه : كتاب الطهارة ، باب النهي عن إتيان الحائض (٦٣٩)، «فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(١٩١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٩/ ٢٨٠) وغيره من طرق عن ابن مسعود يصح بها.

(١٩٢) أخرجه البزار (٨/ ٤٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٦٢/ ١٥٠٦٥)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٧٧)، وقال: «رواه الطبراني وفيه: إسحاق بن الربيع العطار وثقه أبو حاتم وضعفه عمرو بن علي، وبقية رجاله ثقات»، وله شواهد يصح بها.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى...» إلى آخره [١٩٣].

قال الْبَغَوِيُّ [١٩٤]: «الْعَرَّافُ: الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ».

وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ، وَالْكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ [١٩٥]: «الْعَرَّافُ: اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ أَبَا جَادٍ، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ-: «مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ» [١٩٦].

الشرح:

يقول: **بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ**، يعني من السحرة والمنجمين والعرافين، ما جاء فيهم من الوعيد الشديد.

يقول: **رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ**، هي حفصة.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ»؛ كلمة «فصدقة» ليست في صحيح مسلم.

---

(١٩٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٦٢)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٠١)، وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه: زمعة بن صالح وهو ضعيف».

(١٩٤) «شرح السنة» (١٢/ ١٨٢).

(١٩٥) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٧٣).

(١٩٦) أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢٦) وابن أبي شيبة (٥/ ٢٤٠) بسند صحيح. وقد روي مرفوعًا ولا يصح.

قال: «لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا» هذا وعيد شديد، مجرد أن يأتيه وأن يسأله دون أن يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا.

في الحديث الثاني: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

هنا قال: من أتاه، ولم يذكر من سأله، الأول: فسأله، وهنا لم يذكر، الأول ليس فيه صدقه، فزيادة فصدقه هنا ليست في الحديث، هذه سهو من الناسخ.

في الرواية الثالثة قال: وَلِلأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ - وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا- يعني عن أبي هريرة، رواه الأربعة من حديث أبي هريرة.

عَنِ النبي: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا»

لأجل أن الحكم يشمل الكاهن والعراف، ليس فقط خاص بالعراف.

«فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

هذا إذا صدقه ولو لم يسأله، فكيف إذا سأله وصدقه؟ وقع في الكفر.

وإن سأله ولم يصدقه لم يقل كفر، قال: لم تقبل له صلاة.

فعندنا مراتب:

المرتبة الأولى، أدناها:

أن يسأله ولا يصدقه، يعلم أنه كاذب، أو يشك فيه، مجرد هذا السؤال لم تقبل له صلاة أربعين يومًا؛ إلا في حالة واحدة: أن يناظره ليبين كذبه؛ فهذه ليست تصديقًا ولا إقرارًا، وإنما هذا إقامة الحجة، مثل ما قال إبراهيم: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام:٧٧]، هل هذا إقرار من إبراهيم أن ربه القمر؟ لا، وإنما لأجل أن يقيم الحجة عليهم، واضح.

فالمناظر إذا جاء إليه وأراد أن يستكشف ما عنده ليبين زيفه، مثل ما قال موسى للسحرة: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ [يونس:٨٠] هل هذا يقرهم؟ لا.

إذن هذا ليس مقصودنا، المقصود: من يأتيه مقرًا لـه، فإن كـان بغير تصديق ومقر يعني سكوت، ساكت عنه؛ ليس رضًا به، لأنه إذا و قع التصديق في قلبه كفر، الكلام على أنه لا ينكر؛ هذا لا تقبل له صلاة أربعين يومًا.

يقول النووي: بمعنى أنه لا ثواب له فيها، لأن الصلاة فيها شيئان: فيها أداء الواجب، وبراءة الذمة. الثاني: حصول الثواب، فإذا صلى الصلاة بشروطها فقد برئت الذمة، لكن هل له ثواب؟ لا.

كما جاء في الحديث: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَقْبَلْ اللهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»[(١٩٧)]، ليس لكفره، لأن شرب الخمر لا يكفر به، إنما هو معصية، لكن لا تقبل الصلاة إذا لم يتب، الكلام في غير التائب، لأن التائب يعفو الله عنه، الكلام في شرب الخمر وغيره، فلم تقبل له صلاة، لعظم الذنب.

أما من سأل فصدق، أو لم يسأل فصدق الكاهن، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ؛ لكن ما هذا الكفر؟ هل هو كفر أكبر أو كفر أصغر أو يترك بلا تفسير يتوقف فيه؟

للعلماء فيه كلام:

منهم من قال: كفر أصغر.

ومنهم من قال: بل هو كفر أكبر لأجل التصديق؛ ادعاء علم الغيب.

ومنهم من قال: يتوقف فيه ، لا يفسر؛ لأن النبي ﷺ قال: «كَفَر»، لا يفسر، وصاحبه يجب عليه التوبة والنزوع وتركه، لأنه حتى إذا قلت للإنسان أن هذا ذنب وكفر أصغر يقول: أنا مضطر. ما يفعل بعض الناس، يذهب إلى بعض السحرة ويقول: أنا مضطر وكذا. طيب هذا كفر: من أتى كاهنًا فصدقه؟ يقول: هذا كفر أصغر، أتوب منه مثل الذنوب والكبائر. هذا ليس بصحيح، فقد لا يعود له إيمانه، نسأل الله العافية، قد يكون ممن آمن ثم كفر فطبع على قلوبهم، يدخل في هذا نسأل الله العافية والسلام.

لذلك المسألة هنا، يقول الإمام أحمد: لا يفسر، يتوقف فيه، هذا الحديث أمروه كما جاء.

والذي ينبغي أن نقول: إن كان على سبيل التصديق وأن هذا الكاهن علم الغيب واطلع عليه فأخبرنا عنه فهذا كفر أكبر؛ لأن زعم أن أحدًا يعلم الغيب غير الله، والله بين أنه لا يعلم الغيب إلا هو،

---

(١٩٧) أخرجه الترمذي : كتاب الأشربة ، باب ما جاء في شارب الخمر (١٨٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣١٢).

ولذلك يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد»: (فيه دليل على كفر الكاهن والساحر؛ لأنهما يدعيان علم الغيب، وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به، وذلك كفر أيضًا).

هذا إن كان تصديقه على أنه يعلم الغيب.

يقول: وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ»،

تَطَيَّرَ : تشاءم بما يتطير به، سيأتينا في باب الطيرة،

أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ: جاء إلى هؤلاء فعلموا له التطير، بمعنى: ضربوا له ما يحصل به التطير، مثل إيافة أو نحو ذلك.

تَكَهَّنَ: ادعى الكهانة، صار هو كاهنًا.

أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ: ذهب إلى الكهان، هذا وهذا ليس منها.

وهذا الصيغة لا تخلو من شيئين: إما ليس منا ليس من المسلمين، أو ليس منا بمعنى البراءة من فعله وأنه أتى كبيرة.

يحتمل هذا وهذا.

فهي في التطير على الكبيرة، أما في الكهانة و السحر فهي على الكفر نسأل الله العافية والسلامة.

أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ: الساحر كافر، وكذلك من أتى إلى الساحر وقال: اعمل لي سحرًا، وقع في الكفر.

«وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» مثل الحديث الذي قبله.

رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ وهو كما قال.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى...» إلى آخره.

كذلك قال المنذري رحمه الله.

وأورد المصنف تفسير الإمام البغوي، أبو محمد الحسين البغوي صاحب «شرح السنة»، أورد عنه تفسير هذا الحديث: قال «الْعَرَّافُ: الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

إما بكهانة أو نحو ذلك، أو رمل ، أو بالخط، كله عراف، لأنه يدعي المعرفة، ليست القضية كيف يدعي المعرفة؟ بأي شيء فهو عراف.

وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ.

الكاهن أخص، يتعامل مع الجن.

وَالْكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

العراف أشياء حاصلة يخبر عنها، الكاهن في المستقبل، يأتيه رأي من الجن، يسترقون الجن فيأتونه، كما مر معنا في الأحاديث.

وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

يعني في قلب الإنسان، يقول: في قلبه كذا وكذا، كيف يصل إليها؟ يصل إليها لأن الإنسان معه جني أو شيطان، كل إنسان معه شيطان موكول له، ويجثم على قلب ابن آدم، هذه الأشياء التي في نفس الإنسان يطلع عليها هذا الجني صاحبه الذي معه؛ لأنه ما من مولود إلا ويقرن به شيطان، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ» [١٩٨].

قيل: أسلم شيطانه ﷺ الذي كان معه، فصار من المسلمين؛ فلا يأمرني إلا بخير.

وغيره معه.

فهذا الكاهن والساحر؛ شيطانه الذي معه يسمي الرئي، لأنه غير الشيطان الذي وكل به، لأ، له رئي يأتيه، يدعوه ويسمي الرَّئي، بفتح الراء، هذا يتكلم مع الشيطان الذي مع الإنسان، ويخبره بشيء، أمه فلانة، وأبوه فلان، وزوجته فلانة، ويعاني من كذا، ويعاني من كذا، ثم هذا يقول له: أنت فيك كذا، وفيك كذا، فيقول: سبحان الله، هذا يعلم. فيقول له: علاجك بسيط، افعل كذا وكذا، فيقول: ما دام علم الخافي سيعلم الشافي مثلًا، فيأتي بهذا فيقع الناس في الشرك، فيعتقدون في هذا أنه يعلم الغيب، ولذلك حتى بعض الرقاة الآن وقع في هذه الخزعبلات، أول ما يرقي الناس بالقرآن وكذا، فإذا جاءه

---

(١٩٨) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجن والنار، بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا (٢٨١٤).

المريض قال: أنت فيك كذا، وأنت الذي كذا. من أين جاءته هذه؟ من هذه الأمور الشيطانية، يتحول من رقاة بالقرآن إلى دعاة للشيطان، نسأل الله العافية والسلام، ومع ذلك يزعمون أنهم رقاة شرعيين، وإنما هم من هذا الصنف: عرافون، لا يغرنك أنه يقرأ القرآن؛ هي هذه عرافة.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «الْعَرَّافُ: اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ» هذا هو، لماذا؟ لأنه يدعي المعرفة.

«مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ».

إما من طريق التنجيم، إما من طريق الرمل، وإما من طريق الكهانة، أو غير ذلك من تحضير الشياطين.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ أَبَا جَادٍ، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ-: «مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ».

أي ليس له عند الله من خلاق، كما في قوله في السحرة: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ [البقرة:١٠٢]، هؤلاء وقعوا في الشرك، الذي ليس في الآخرة من خلاق هو الكافر، الخلاق هو النصيب.

أَبَا جَادٍ، هي الحروف المعروفة، أبجد هوز.

يقول في «فتح المجيد»: وتعلمها -هذه الحروف- لمن يدعي بها علم الغيب هو الذي يسمى علم الحرف، وهو الذي جاء فيه الوعيد، أما تعلمها للتهجي وحساب الجُمَّل فلا بأس به.

التهجي:

كيف تحفظ الحروف، الآن الناس يحفظون الحروف: ألف، باء، تاء، ثاء، أما قديمًا كانوا يعدون الحروف على هذه الطريق: أبجد هوز كلمن حطي إلخ، هذه تعلم حروف، هذا لا بأس به.

الثاني: حساب الجُمَّل:

جعل العرب لكل حرف رقم، آحاد وعشرات ومئات وألوف، الألف أولها: واحد، والباء الثاني: اثنين، والجيم وهكذا.

فيقول لك مثلًا كلمة: أبج. ١، ٢، ٣ كم المجموع ٦، أبج يعني = ٦، أبجت = ٤ + ٤ = عشرة.

هذه لا بأس بها؛ لأنها تعلم حروف هجاء أو أعداء.

ثم إذا جاء العشرات، ذكر كذا عشرة، والثانية بعشرين والثالثة بثلاثين.

لكن إن كان ما يسمى بعلم الحرف معرفة تأثيرها في معرفة الغيب، هذا العلم -علم الحروف- مبدأه من الرافضة وينسبونه -علم تعلم الغيب- إلى جعفر الصادق، كاذبين عليه!، وهو بريء منه، يقولون: هذا علم يعرفه أهل البيت، وهم كاذبون في ذلك.

يقول ابن عباس: «مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ» يقصد علم الحرف الذي يعرف به الغيب.

والشيخ حافظ حكمي في «معارج القبول» عده نوعًا من التنجيم.

بَابٌ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ – بِسَنَدٍ جَيِّدٍ – وَأَبُو دَاوُدَ، وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؛ فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ (١٩٩).

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ؛ أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ: «لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ» (٢٠٠). انْتَهَى.

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحُلُّ السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ» (٢٠١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ (٢٠٢): «النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ.

وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ، وَالتَّعَوُّذَاتِ، وَالدَّعَوَاتِ، وَالْأَدْوِيَةِ الْمُبَاحَةِ؛ فَهَذَا جَائِزٌ».

الشرح:

المصنف لما ذكر السحر، وحكم السحر، وشيء من أنواع السحر، والكهان، وكل ذلك محرم وشرك؛ فالمسحور ماذا يصنع؟

هل يذهب إلى الكهان؟ لا.

هل يذهب إلى السحرة؟ لا.

---

(١٩٩) أخرجه أبو داود : كتاب الطب ، باب في النشرة (٣٨٦٨)، وأحمد (١٧٤١٣٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٦٠).

(٢٠٠) ذكره البخاري تعليقًا : كتاب الطب ، باب هل يستخرج السحر ، أنظر: «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٣).

(٢٠١) انظر «إعلام الموقعين» لابن القيم (٤/ ٣٩٦)، وقال في «تيسير العزيز الحميد» ص/ ٣٦٧ : (هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد بغير اسناد ولفظه لا يطلق السحر الا ساحر. وتقدم عزو الحافظ له إلى الطبري في التهذيب : وكان الحسن يكره ذلك يقول لا يعلم ذلك إلا ساحر. وسنده صحيح كما قال الحافظ. وذكره ابن مفلح في «الآداب الشرعية» عن ابن الجوزي في «جامع المسانيد» ٣/ ٧٧ بلفظ : (لا يطلق).

(٢٠٢) «إعلام الموقعين» لابن القيم (٤/ ٣٩٦).

هل يذهب إلى العرافين؟ لا.

طيب: ماذا يصنع ؟

هذه المسألة تسمى: حل السحر عن المسحور، سواءً بالسحر أو بطريقة شرعية، يسمى النشرة، لأنه ينشر بعدها عقد، السحر: عقد يعقد المسحور، فينشر.

هذه النشرة تنقسم إلى قسمين:

نشرة محرمة:

وهي حل السحر بالسحر أو بالذهاب إلى الكهنة والعرافين ونحوهم، هذه محرمة.

النوع الثاني: نشرة مباحة:

وهي بالرقية والدعوات.

المصنف رحمه الله أورد كلام أهل العلم، وأورد كلام ابن القيم الذي يجمع شتات هذه الأقوال:

عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ،

أي حل السحر.

فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ».

هل كل المقصود جميع؛ حتى الرقية الشرعية؟ لا؛ إذن أراد النبي ﷺ النشرة المحرمة التي من عمل الشيطان؛ لأنها من الجبت، لأنها من السحر، فقال: هي من عمل الشيطان، وعمل الشيطان محرم؛ إذن لا تُفعل، لا يُذهب إلى الساحر ليفعلها، ولا يُقر الساحر عليها، ولا يؤذن له بفعلها.

رَوَاهُ أَحْمَدُ - بِسَنَدٍ جَيِّدٍ - وَأَبُو دَاوُدَ، وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؛ فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ.

التي من عمل الشيطان، لا يكره الرقية الشرعية.

ومر معنا ابن مسعود لما رأى امرأته في يدها خيط وقطعه، وقال: أما كان يكفيك أن تقولي ما كان يقول رسول الله ﷺ: «**أَذْهِبِ الْبَاسْ رَبَّ النَّاسْ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**».

إذن هذه الرقية الشرعية، لا يكرهها ابن مسعود؛ يكره النشرة الشركية.

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ.

الطب هنا المقصود به السحر، ولذلك العرب تسمي المرأة الساحرة طبابة، يقولون لها: طبابة يعني ساحرة.

أَوْ يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ؛

يمنع، عمل له سحر.

أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ: «لا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ». انْتَهَى.

ما الذي هنا؟ كلام سعيد بن المسيب مجمل؛ قد يكون الذهاب إلى الساحر أو الرقية الشرعية، لكنه مجمل لا نستطيع أن نحمله على الإذن بالذهاب إلى الساحر، لماذا؟ لأنه قد يريد به النشرة الشرعية؛ لأن النبي ﷺ قال: «**هي من عمل الشيطان**».

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «لا يَحُلُّ السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ».

هذا بالنسبة أن يحله.

اما بالرقية الشرعية فمعروف؛ لا بأس.

ثم أورد المصنف كلام ابن القيم الذي فيه حل السحر عن المسحور.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: «النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ،

لماذا؟

فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ يعني الساحر، الذي يحل السحر **وَالْمُنْتَشِرُ،** المصاب الذي يحتاج أن ينشر عنه.

إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ،

لأن الشيطان يقول له: افعل كذا، اذبح كذا، اذبح شاة سوداء، أذبح ديكًا، اذبح أي شيء، لابد أن يأمره بذلك، أو يقول: ايتني بكذا.

ولـــــــذلك: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١٢٨].

وماذا يحب الشيطان؟

أي فعل قبيح؛ لأن الشيطان قبيح خسيس، ولا يحب من الناس تقدم إليه إلا القبيح من الشرك والكفر والمحرمات.

فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ.

لأن الذي عقده ساحر، فيأتي الساحر ويسلط شيطانه على هذا السحر، ويذهب إليه؛ لأن المسحور الشيطان الذي معه يعرف أين بلاؤه، يقول له: تجده في المكان الفلاني فيذهب ويخرجونه، ويقولون: أخبرنا عن هذا!

وبعضهم يقول: جاء به فجأه، ويضعوا له طسًا على مكان فيجعل رجله عليه، وهذا يحضر كتابه الذي فيه الطلاسم والعزائم ثم يعزم على الشياطين، ثم يشعر بشيء بضربة تحته، فيرفعون الطست فإذا فيه خرق ومسامير وعقد، من أين جاءت؟ من مكان بعيد.

من الذي جاء بها؟ الشياطين.

كيف؟ تقرب إليها هذا ، وعزم عليها، ويأمره ويقول: افعل كذا، ولا تغتسل أربعين يومًا!

ما يغتسل أربعين يومًا؛ يبقى على جنابة؛ إذن يأمره بالمنكر، نسأل الله العافية والسلام.

هذا النوع الأول محرم.

وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ، وَالتَّعَوُّذَاتِ، وَالدَّعَوَاتِ، وَالأَدْوِيَةِ الْمُبَاحَةِ؛ فَهَذَا جَائِزٌ.

لأن الله أباحه.

والنبي ﷺ لما سحرة اليهودي لبيد بن الأعصم أنزل الله المعوذات، فقرأها عليه جبريل رقاه بها فنشرت، وأخبره جبريل أنها وضعت له في بئر، فجيء إلى البئر فإذا بها وضعت في نخل، ووضعت في البئر، تحت رعوفة البحر، الحجر الكبير الذي يركب عليه الساقي، فلما أخرجوه حلها ﷺ، وكلما حلت وقرأ عليها وحلت تنشط حتى شفاه الله؛ «أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ» قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ قَالَ: فِبِمَاذَا؟ قَالَ: مِشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ» قالت: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: «وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: «لَا أَمَّا أَنَا

فَقَدْ عَافَانِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَشَفَانِي، وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا» وأمر بها فدفنت.

وفي روايةٍ قال: «وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا، قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مِشْطٍ وَمُشَاقَةٍ قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ»[٢٠٣] .

المهم أنه ﷺ لم يأذن به.

وأما من يقول بجواز حل السحر بالسحر، فهذا يأمر الناس بتعظيم السحرة، فإذا جوزنا حل السحر بالسحر يعني أذنا ببقاء السحرة، فلماذا الصحابة قالوا: حده ضربه بالسيف، وأمر عمر بقتلهم.

إذن نبق السحر! نقول لهم: تعالوا حلوا السحر.

لأ؛ لأنه ما عقد السحر إلا الساحر، وما يحله إلا الساحر، لكن الله أنزل في القرآن الشفاء، وحله بالقرآن، لو توكل الناس على الله.

وبعض الناس يقول: ضرورة، والضرورات تبيح المحذورات.

لا، أولًا: من يجزم بأن هذا هو شفاؤه هو هذا؟ ليس هذا.

ولذلك من قال من بعض أهل العلم بجوازه للضرورة فقد أخطأ، سواء ذكره في الروض المربع أو غيره فهو خطأ.

---

(٢٠٣) أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٦٨) واللفظ له، ومسلم : كتاب السلام ، باب السحر (٢١٨٩).

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّر

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ الآيَةَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ». أَخْرَجَاهُ [٢٠٤].

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ» [٢٠٥].

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ» [٢٠٦].

وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ [٢٠٧] قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا: الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ؛ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا؛ وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ [٢٠٨].

---

(٢٠٤) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن (٥٧١٧)، ومسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء (٢٢٢٠).

(٢٠٥) أخرجه البخاري: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء (٢٢٢٢)، من حديث جابر.

(٢٠٦) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا عدوى (٥٧٧٦)، ومسلم: كتاب السلام، باب الطيرة والفأل ويكون فيه من الشؤم (٢٢٢٤).

(٢٠٧) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في الطيرة (٣٩١٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٩٩).

(٢٠٨) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في الطيرة (٣٩١٠)، والترمذي: كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة (١٦١٤)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة (٣٥٣٨)، وصححه الألباني في «غاية المرام» (٣٠٣).

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» (٢٠٩).

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ ﷺ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ» (٢١٠).

الشرح:

أورد المصنف هذا الباب، لما كانت الطيرة بابًا من أبواب الشرك المنافي للتوحيد أو منافي لكماله الواجب، لأن الطيرة إن كان اعتقاد أن هذه الأشياء فاعلة بنفسها مؤثرة بذاتها فذها كفر أكبر؛ يعتقد مثلًا وجود هذا الطير أو هذا الشيء أمامه وهو الخالق لهذا الشيء الذي حصل له، فهذا كفر أكبر، ولكن هذا يقل.

غالب الناس يعتقدون أنها أسباب ويتشاءمون بها، إذا طار أمامه طير، إذا رأى غرابًا، تشاءم، إذا رأى هامة: وهي البومة هذه الطائر، تشاءم منها، وقال: نعت إلي نفسي ونحو ذلك؛ هذه الأمور نوع من الشرك؛ لكنها شرك أصغر.

فأورده المصنف لما كانت منافية للشرك أو لكماله الواجب؛ للتحذير منها.

يقول العلماء: من كان متطيرًا معتنيًا بهذه الأمور كانت الطيرة إليه أسرع من السهل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان من المناسبات القريبة والبعيدة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشته.

صدق رحمه الله.

ولذلك النبي ﷺ قال: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (٢١١).

---

(٢٠٩) أخرجه أحمد (٧٠٤٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٦٥).

(٢١٠) أخرجه أحمد (١٨٢٤)، وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف».

(٢١١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة (٢٦٦٤).

يصبح عنده من الوساوس كلما رأى شيئًا، وكلما سمع شيئًا، والهموم، وإذا رأى رؤية، ولذلك أصبح بعض الناس قلقًا مع الرؤى كلما رأى رؤيا أصبح نكدًا، والسبب في ذلك هذا الضعف الذي في نفسه.

والطيرة تسبب الضعف؛ لأنها ضعف في التوكل، التطير ضعف في التوكل.

قال: وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

هذه الآية في قوم فرعون مع موسى وقومه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ [الأعراف:١٣١] تتشاءمون بموسى، قال عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، قدرهم عند الله، إنما هي أقدرا، ولكن أكثرهم لا يعلمون؛ تشاءموا بموسى، يقولون: بسبب مجيئك يا موسى حصل لنا من الجدب والقحط والأمراض، وإذا كانت حسنة قالوا لنا هذه بسبب بركتهم وما عندهم من الأصنام؛ لأ ، قال الله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: أي ما قدر لهم، إنما هو عند الله، ومنه عز وجل، وما أصيبوا بسيئات فإنما بسبب كفرهم، وبسبب تكذيبهم لله، أعمالهم هي الشؤم عليهم، وليس وجود موسى؛ فإن وجود الأنبياء خير، لكن أعمالهم من الكفر والعناد هي الشؤم.

وَقَوْلُهُ: ﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ الآيَةَ.

هذا رد الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله؛ لأن هؤلاء تطيروا بهم؛ لأن الله ذكر عنهم قالوا: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ بسببكم أنتم، ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس:١٩]، أي شؤمكم معكم، وهذا مثل ما قال المنافقون فيما بينهم عن النبي ﷺ لما حصل في غزوة أحد، يقول الله عنهم: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ [النساء:٧٨] ؛ ينسبونها للنبي ﷺ؛ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾.

قال عز وجل: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٧٩]، فمن الله فضلًا، ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ بسبب ذنوبك وبسبب تقصيرك أيها الإنسان؛ فالحسنات وما يحصل للإنسان من خير فضل من الله، والسيئات وما يحصل للإنسان من سوء من فعله، والمقصود أنها بسبب عقوبة تحل به.

ولذلك يقول عز وجل: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:٣٠]، فلا يقال هذا بسبب شؤم كذا وشؤم ذلك، لذلك نهي عن التطير خاصة بالأنبياء، ما يمكن أن يكون، هم سبب الخير.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا عَدْوَى»

هذا نفي، أو نهي، أي لا تجعلوا العدوى هي الخالق للمرض.

«وَلَا طِيَرَةَ».

هذا نهي عن الطيرة.

«وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ». أَخْرَجَاهُ.

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ».

هنا العدوى من الإعداء: نقل المرض من المريض إلى الصحيح، جاء في بعض الروايات، أنه ﷺ لما قال: «لا عدوى»، قال أعرابي يا رسول الله ما بال الإبل في الرمل كالظِّبا، فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها؟ يصيبها بالجرب؟ فقال النبي ﷺ: «**مَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ**»[٢١٢]

الأول من أصابه بالمرض؟

إذن هو الله الذي أصاب هذه بالمرض، كون السبب هو انتقال المرض من هذا إلى هذا ؛ من المسبب؟ الله عز وجل، العرب كانت تعتقد أن هذا هو الباعث بنفسه، فلذلك نهي النبي ﷺ عنه؛ لأنه يسبب ضعف التوكل ، ولذلك قال النبي ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**»[٢١٣]، وقال : «**لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»[٢١٤].

---

(٢١٢) أخرجه البخاري : كتاب الطب ، باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن (٥٧١٧)، ومسلم : كتاب السلام ، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ... (٢٢٢٠).

(٢١٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٤٣)، وقال الأرناؤوط: «صحيح».

المجذوم: هو الذي به مرض الجذام، وهو مرض معدي، لكنه هل هو الخالق للمرض؟ لا، إنما قد يوجد مجذوم مع صحيح ولا يمرض، ولا ينتقل المرض، ولذلك قال النبي في الطاعون في حديث عبد الرحمن بن عوف: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فلا تخرجوا فرار مِنْهُ» [(٢١٥)] لماذا قال: لا تقدموا عليه؟ لأجل أن لا يأتي المصح إلى المريض؛ فيها حماية؛ لكن هل كل من جاء سيمرض؟ لا، لأن الله هو الذي يقدر ذلك.

وقوله: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»، هل إذا فررت من الأسد تفر وأنت تعلم أن المقدر هو الله والمنجي هو الله أم لا؟

كذلك: لاحظ التعبير، ليس المقصود بأنك كن في حرصك في الفرار كحرصك وخوفك من الأسد، لا، المقصود: كما أن هذا سبب للبطش، وقد ينجي الله منه، وابتعد عن الأسباب وأنت متوكل على الله، لأن الذي يفر من الأسد ليس له حيلة إلا الفرار والتوكل على الله، سيدركه الأسد، لكن إذا توكل على الله؛ الإنسان ترى في هذه الأحوال التي لا حلية له، يتوكل على الله، الإنسان في الأحوال الذي لا حيلة له يتوكل على الله، أما في الأحوال التي معه فيها قوة ويلجأ إلى أحد قد ينسى التوكل على الله؛ فانظر إلى الأسباب الطبية، تجد الإنسان يحرص عليها وينسى الدعاء وينسى التوكل؛ حتى بذل الأسباب كذلك.

لكن إذا لم يكن له حيلة التجأ إلى الله، وقلبه يتوجه.

في مثل هذا الأسد أو الذئب في البرية، وليس معك شيء، في تلك الحالة ستفر، الفرار بذل للسبب، لكن القلب متعلق بالله.

كذلك من المجذوم، ابذل السبب في البعد عنه وقلبك متعلق بالله، هذا هو.

إذن في الحديث: «لا يورد ممرض على المصح».

---

(٢١٤) أخرجه البخاري : كتاب الطب ، باب لا هامة (٥٧٧١)، ومسلم : كتاب السلام ، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ... (٢٢٢١).

(٢١٥) أخرجه البخاري : كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون (٥٧٣٠)، ومسلم : كتاب السلام ، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (٢٢١٩).

النووي له كلام جميل [٢١٦]: (**قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْمُمْرِضُ صَاحِبُ الْإِبِلِ الْمِرَاضِ وَالْمُصِحُّ صَاحِبُ الْإِبِلِ الصِّحَاحِ فَمَعْنَى الْحَدِيثِ لايورد صَاحِبُ الْإِبِلِ الْمِرَاضِ إِبِلَهُ عَلَى إِبِلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الصِّحَاحِ لِأَنَّهُ رُبَّمَا أَصَابَهَا الْمَرَضُ بِفِعْلِ الله تعال وقدره الذى أجرى به العادة**) العادة أن ينتقل.

(**لا بطبعها**) أي ليست خالقة للمرض.

(**فَيَحْصُلُ لِصَاحِبِهَا ضَرَرٌ بِمَرَضِهَا، وَرُبَّمَا حَصَلَ لَهُ ضَرَرٌ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ بِاعْتِقَادِ الْعَدْوَى بِطَبْعِهَا فيكْفُر والله أعلم**) انتهى كلام النووي.

وذكر العلماء منهم، ابن رجب وابن القيم وغيرهم أن قوله ﷺ: «**لا عدوى**» أي على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية، من إضافة الفعل إلى غير الله، وأن هذه الأمراض تعدي بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح لمن به شيء من العيوب سبب لحصول ذلك، وكل ذلك بتقدير الله تعالى، كما قال: «**فمن أعدى الأول**»؟ يشير إلى أن الأول إنما جرب بقضاء الله وقدره، وكذلك الثاني وما بعده.

قال ابن رجب [٢١٧]: (**فأما نهيه ﷺ عن إيراد الممرض على المصح وأمره بالفرار من المجذوم ونهيه عن الدخول إلى موضع الطاعون فإنه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها الله تعالى وجعلها أسبابا للهلاك أو الأذى.**

والعبد مأمور باتقاء أسباب البلاء إذا كان عافية منها فكما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء أو في النار أو يدخل تحت الهدم ونحوه مما جرت العادة بأنه يهلك أو يؤذى.

فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم أو القدوم على بلد الطاعون، فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره...

وأما إذا قوي التوكل على الله تعالى والإيمان بقضائه وقدره فقَوِيت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادًا على الله ورجاءً منه أن لا يَحصُل به ضررٌ؛ ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك لا سيما

---

(٢١٦) «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ٢١٧).

(٢١٧) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص: ٦٩).

إذا كان فيه مصلحةٌ عامةٌ أو خاصةٌ، وعلى مثل هذا يحمل الحديث الذي خرجه أبو داود والترمذي أن النبي ﷺ: أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة ثم قال: «كل باسم الله ثقة بالله وتوكلًا عليه» ...

ونظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أكل السم ومنه: مشى سعد بن أبي وقاص وأبي مسلم الخولاني بالجيوش على متن البحر).

أليس المشي على متن البحر هلكة؟

ومع ذلك توكلوا على الله في ظرف يحتاجوا إليه فأعانهم الله؛ ولذلك الأطباء عندهم توكل يمارسون المرضى كثيرًا؛ بل أمراض أحيانًا معدية، ويشفيهم الله عز وجل، يتخذون الأسباب ويباشرون المرضى وينجيهم الله؛ لأن عندهم توكل أكثر من غيرهم، وهم مع ذلك يعرفون هذه الأمور، ويعرفون أن هذا معد وهذا غير معد إلخ.

أما قوله: **لا طيرة**.

يقول ابن القيم [(٢١٨)]: (**هذا يحتمل أن يكون نفيًا**) يعني لا توجد طيرة، (**وَأَن يكون نهيا أي لَا تطيروا وَلَكِن قَوْله فِي الحَدِيث وَلَا عدوى وَلَا صفر وَلَا هَامة يدل على أَن المُرَاد النفي وَإِبْطَال هَذِه الْأُمُور التي كَانَت الْجَاهِلِيَّة تعانيها وَالنَّفْي فِي هَذَا أبلغ من النهي لِأَن النَّفْي يدل على بطلَان ذَلِك وَعدم تَأْثِيره والنهي إِنَّمَا يدل على الْمَنْع مِنْهُ**).

وهنا مسألة في الحديث: قال: «**إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ، فَفِي المَرْأَةِ، وَالفَرَسِ، وَالمَسْكَنِ**» هذه الحديث في الصحيحين [(٢١٩)]، ورواية أبي هريرة: «**وَالشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالدَّابَّةِ**»[(٢٢٠)]، ورواية عائشة: «**إن كان**» يعني لم يوجد، وإن كان في شيء ففي ذلك.

---

(٢١٨) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (٢/ ٢٣٤).

(٢١٩) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَابُ مَا يُذْكَرُ مِنْ شُؤْمِ الفَرَسِ (٢٨٥٩)، ومسلم: كتاب السلام، بَابُ الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الشُّؤْمِ (٢٥٥٥) من حديث سهل بن سعد.

(٢٢٠) أخرجه البخاري : كتاب النكاح ، باب ما يتقى من شؤم المرأة (٥٠٩٤)، ومسلم : كتاب السلام ، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (٢٢٢٥).

ابن القيم -رحمه الله- تكلم على هذا يقول: (لَيْسَ فِيهِ إِثْبَات الطِّيَرَة الَّتِي نفاها) يعني: لا يقول تشاءموا من المرأة أو الدابة أو الدار، يقول: (وَإِنَّمَا غَايَته إِن الله سُبْحَانَهُ قد يخلق مِنْهَا أعيانا مشؤمة على من قاربها وسكنها وأعيانا مباركة لَا يلْحق من قاربها مِنْهَا شُؤْم وَلَا شَرّ ، وَهَذَا كَمَا يعْطى سُبْحَانَهُ الْوَالِدين ولدا مُبَارَكًا يريان الْخَيْر على وَجهه ، وَيُعْطى غَيرهمَا ولدا مشؤما نذلا يريان الشَّرّ على وَجهه، وَكَذَلِكَ مَا يعطاه العَبْد ولَايَة أَو غَيرهَا) فمن الناس من يعطى ولاية؛ الله يرزقه.

(فَكَذَلِك الدَّار وَالْمَرْأَة وَالْفرس وَالله سُبْحَانَهُ خَالق الْخَيْر وَالشَّر والسعود والنحوس فيخلق بعض هَذِه الْأَعْيَان سعودًا مباركة وَيقْضى سَعَادَة من قارنها وَحُصُول الْيمن لَهُ وَالْبركَة ويخلق بعض ذَلِك نحوسا ينحس بهَا من قارنها وكل ذَلِك بِقَضَائِهِ وَقدره كَمَا خلق سَائِر الْأَسْبَاب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، فَكَمَا خلق الْمسك وَغَيره من حَامِل الْأَرْوَاح الطّيبَة ولذذ بهَا من قاربها من النَّاس، وَخلق ضدها وَجعلهَا سَببا لإيذاء من قارنها من النَّاس، وَالْفرق بَين هذَيْن النَّوْعَيْنِ يدْرك بالحس) يعني الريح الطيبة والخبيثة (فَكَذَلِك فِي الديار وَالنِّسَاء وَالْخَيْل فَهَذَا لون والطيرة الشركية لون آخر).

لأن الطيرة الشركية هي أن يقع في نفس الإنسان التشاؤم وضعف، ويرفض التوكل، ويضعف التوكل.

الطيرة: ما يعود به الإنسان، يفسره الحديث سيأتينا: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ» ليست القضية وجود شيءٍ مباركٍ أو غير مباركٍ، مشؤومٍ أو غير مشؤومٍ، القضية ما هو في نفسك من تطير، ليفرض الإنسان أنه ابتلي بابن مشؤومٍ وشقيٍّ وكثير المشاكل؛ يقتله؛ يتوكل على الله ويستعين الله، ابتلي بهذا، ليست القضية: خلاص هذا مشؤوم، ونحن مشؤمين، ولا فينا خير؛ مثل ما يقول بعض الناس: حظه ما هو طيب، حظه ردي، ويستسلم؛ لأ، النبي قال: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[٢٢١] هذا الحديث احفظوه؛ لأنه يقوي؛ في أول الحديث قال: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ» يعود إلى قوة الإيمان.

---

(٢٢١) أخرجه مسلم : كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة (٢٦٦٤).

قوله: «**ولا هامة**».

الهامة يقولون: طائر من طيور الليل.

وقال بعضهم: البومة.

كانوا يتشاءمون إذا وقعت على بيوتهم فيقولون: نعت إلي نفسي فيتشاءمون، فالذي يقول: لا هامة، لأنه ليس عنده من علم الغيب شيء، ولم يجعلها الله سببًا إذا وقعت على بيت جعل في شيء.

قوله: «**ولا صفر**».

الظاهر -والله أعلم- أنهم كانوا يتشاءمون بشهر صفر؛ لأنه يأتي بعد المحرم، والمحرم كانت العرب تعظمه فلا تتقاتل فيه، الأشهر الحرم آخرها محرم؛ فإذا انتهى محرم بدأت القتالات، فيقولون: جاءنا شهر الشؤم والحروب والفتن، فقال: ولا صفر، ليس فيه شؤم إنما أفعالكم أنتم، اتركوا هذه الفتن، وهذه الأمور وهو يبعد عنكم؛ ﴿ قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ أَئِن ذُكِّرْتُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس:١٩] فهي من أفعالكم وليس لأن الشهر مشؤوم.

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ».

هنا قضية: ضد الشؤم الفأل.

قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ».

قال: تسمع كلمة طيبة، ولذلك يوم الحديبية لما جاءهم سهيل بن عمرو، قال: «**سَهُلَ أَمْرُكُمْ**»[٢٢٢] الحمد لله، فأل؛ فانشرحت صدور الصحابة لأنهم كانوا في أزمة وقلق، ذهب عنهم هذا الجزع أو الغم، وتفاءلوا به، وليس الفأل أن يربط به أنه حصل الخير، لأ، إنما هو يزيد التوكل، ولذلك لاحظ بعض العلماء ملحظًا عجيبًا في قوله: «**ويعجبني الفأل**»[٢٢٣].

---

(٢٢٢) ذكره ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٧).

(٢٢٣) سبق تخريجه.

يقول ابن القيم [٢٢٤]: (وَلَيْسَ فِي الْإِعْجَاب بالفأل ومحبته شيءٌ من الشّرك، بل ذَلِك إبانةٌ عَن مُقْتَضى الطبيعة وَمُوجب الْفطْرَة الإنسانية الَّتِي تميل إِلَى ما يلائمها ويوافقها مِمَّا ينفعها كَمَا أخْبرهُم أَنه حبب إِلَيْهِ من الدُّنْيَا النِّسَاء وَالطّيب).

وقال ابن حجر [٢٢٥]: (قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَإِنَّمَا كَانَ ﷺ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ لِأَنَّ التَّشَاؤُمَ سُوءُ ظَنٍّ بِاللهِ تَعَالَى بِغَيْرِ سَبَبٍ مُحَقَّقٍ وَالتَّفَاؤُلُ حُسْنُ ظَنٍّ بِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ).

فالله أذن لنا بذلك، وفيه حسن ظن بالله، وليس المعنى أن الإنسان يتوكل على هذا الشيء الذي استبشر به.

وهناك مسألة يفعلها بعض الناس: أنه يفتح المصحف وينظر ماذا يرى أو يسمع أو يضع يده؛ كلمة خير أو كلمة شر؛ لأ، هذا منهي عنه، هذا نوع من الكهانة، رجعنا إلى فعل الكهنة، وما الذي في المصحف حتى يعلم به الغيب، لكن لو كان الإنسان يترقب شيئًا أو كذا فسمع شيئًا مصادفة فليطمئن وليستبشر من الله الخير لأنه حسن ظن بالله، هذا هو.

وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ .

يقول العلماء: الصواب عن عروة بن عامر.

قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا: الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ؛ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

يعني لو حصل للإنسان، الطيرة نوعان:

منها ما هو شؤم، وهذا منهي عنه.

ومنها ما هو -في الجملة يدخل فيها-: يبتغي الإنسان، الفأل، وهذا مأذون به.

قال: «وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا» لأن المسلم متوكل على الله، فإذا صادف أنه تشاءم بشيء، العرب كانوا إذا عرض لهم الغراب تشاءموا، ورجعوا، إذا هربت أو نفجت أمامه أرنب تشاءموا، حتى كان بعض الناس

---

(٢٢٤) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (٢/ ٢٤٤).

(٢٢٥) «فتح الباري» (١٠/ ٢١٥).

يقولون: عرضه عرضة أرنب، يعني مشؤوم، هذا غير صحيح، هذا من التطير، لأن الأرنب عندهم مثل الغراب إذا نفجت أمامه يحصل له شيء.

وبعض الرافضة: العطاس، إذا عطس مرة واحدة تشاءم، وإذا عطس عطستين فرح!، فإذا أراد أن يسافر وعطس مرة واحدة، وإذا أراد أن يسافر ورأى روية بعض الناس، يقول: خلاص. الرؤية تنفع شيئًا؟ تأتي بشيء؟ قال النبي ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلُمًا يَخَافُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ» [٢٢٦]، توكل على الله، ولا بأس أن يبذل الأسباب، لكن هي التي تضر أو كذا؟ يبذل الأسباب ويحتاط عن الأشياء التي قد يفرط بها.

فهنا يقول النبي: « فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ » النفس البشرية كما في حديث ابن مسعود قال النبي: «الطيرة شرك، الطيرة شرك»، ويكره شيئًا؛ ينقبض من شيء إلا أن الله يذهبه بالتوكل، يعزم ويتوكل.

متى تقع الطيرة؟

«ما أمضاك أو ردك».

كانوا إذا رأوا الغراب أو الطير ذهب إلى اليمين فرحوا ومضوا في طريقهم، وإذا رأوه ذهب إلى الشمال تشاءموا ورجعوا، هذه الطيرة.

لما رآه إلى اليمين مضى، طيرة، حتى ولو كان؛ لأنه توكل على هذا الشيء؛ طيرة، ليست قضية فأل؛ انشرح صدره فقط، وعلم أنه لا يقدم ولا يؤخر، فهنا هذا هو الفرق.

يقول النبي ﷺ: «فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ؛ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ»

الحسنات الأشياء الحسنة، ليس المقصود من الحسنات: الأجور، لأ، الحسنات كل ما تحبه.

«وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ»

كل ما يسوء، توكلنا على الله.

«وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»

احفظ هذا الذكر.

---

(٢٢٦) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ (٢٣٩٢)، ومسلم: كتاب الرؤيا (٢٢٦١) من حديث أبي قتادة.

يقول ابن مسعود: «وَمَا مِنَّا إِلَّا؛ وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

يعني وما منا إلا، هذا من كلام ابن مسعود، ليس من كلام النبي ﷺ، ليس للنبي ﷺ يقع في نفسه شيء؛ لأ، هذا من كلام ابن مسعود؛ لأن الناس هكذا، ولكن الله يذهبه بالتوكل، فإذا عرض للمؤمن شيء من هذا وتوكل على الله، فهذا هو الإيمان، ويقول: « اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » ويتوكل على الله و يمضي، حتى ولو أصابه ما يكره لا يربطه بالشيء الذي كرهه؛ لأ، من الذي جاء بالسيئة؛ ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء:٨٠] ، الله قادر على كل شيء، ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٩]، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٧٨] ، يعني من السيئات أو الحسنات من عند الله قدرًا تقديرًا.

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ:

«مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ»، الشرك الأصغر.

قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ يعني: يتوب أو يمنع منه حتى لا يقع في ذلك.

قَالَ: «أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

يعني طيرك هنا القدر، تسمية على القدر، كما مر معنا، كان ابن عباس في تفسير ألا إن طائركم عند الله، قال : قدركم، يعني هذا المقصود، ولا طير إلا طيرك، يعني ولا قدر قضاء إلا قضاؤك.

«وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» ، فلا نعبد إلا أنت.

هذا أيضًا تحفظه تقول: «اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ» لا يأتي بالحسنات إلا أنت، «وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ» ولا يقدر السيئات إلا أنت، نفس المعنى الأول، «وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» ولا حول ولا قوة إلا بك.

إذا نظرت في الحديثين تجد معناهما واحد.

وَلَهُ يعني أحمد.

مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ ﷺ، يعني عن النبي.

«إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»

هذا تفسير وضابط لمعنى الطيرة، ضابط حتى تفسر الطيرة المنهي عنها ما هي؟ ما أمضاك أو ردك، ليس أن يقع في النفس شيء، إنما إن كان مضى لأجل هذا الشيء فهذا طيرة، أو رجع لأجل هذا الشيء هذا طيرة.

ولذلك يقول الشارح: (**هذا حد الطيرة المنهي عنها؛ لأنها ما أوجب للإنسان أن يمضي لما يريده ولو من الفأل**).

لا يقول: هذا والله فأل، وأنا استبشرت سأمضي! نقول: لا، لأنك مضيت توكلًا عليه، ليس فقط استبشار، الفأل هو استبشار، لولا هذا الفأل هل تمضي؟ هنا القضية، لولا هذا الفأل هل تمضي في هذا الشيء؟ لا.

قال: (**فإن الفأل إنما يستحب لما فيه من البشارة والملائمة للنفس**) لأن النفس تحب البشارات في الخير؛ (فأما أن يعتمد عليه ويمضي لأجله مع نسيان التوكل على الله فإن ذلك من الطيرة، وكذلك لو سمع ما يكره ويتشاءم به ورده عن حاجة فإن ذلك أيضًا من الطيرة).

هذا هو ضابط هذه المسألة.



المجلس الخامس

بَابٌ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيم

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: «قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ». انْتَهَى [٢٢٧].

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ. ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا [٢٢٨].

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ [٢٢٩].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ [٢٣٠].

الشرح:

هذا الباب أورده المصنف بعد ما تعلق بالسحر والطيرة والكهانة، أورده تتمةً، وفصله عن ذلك لأن الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية هو مراد المصنف، وهو كما يقول الشارح الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ثلاثة أقسام، والمصنف ذكر فيه الأدلة التي فيها التشديد وهو قوله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

---

(٢٢٧) ذكره البخاري تعليقًا: كتاب بدء الخلق، باب في النجوم (فتح الباري: ٦/ ٢٩٦).

(٢٢٨) انظر: «فتح الباري» لابن رجب (٢/ ٢٩٦).

(٢٢٩) انظر: «فتح الباري» لابن رجب (٣/ ١٤٢).

(٢٣٠) أخرجه أحمد (١٩٥٦٩)، وقال الألباني: ضعيف بهذا التمام انظر: الضعيفة (١٤٦٣).

وأورد هذا في هذا الباب؛ لأنه تقدم معنا أن من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»، هذا هو الشاهد من الحديث مع أن هذا ليس فيه لفظ التنجيم، فيه ذكر السحر.

ثم ذكر كلام أهل العلم في قضية تعلم منازل القمر، وهو نوع من التنجيم، ومنهم من منعه ومنه من رخص فيه، وهذا المنع والترخيص على سبيل التفصيل في الجائز والممنوع، فمنهم من منع، إما منع من النوع المحرم، والذي أراد به النبي ﷺ قوله: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ؛ زَادَ مَا زَادَ»[٢٣١] أو أراد هذا وسد الذريعة أيضًا، يغلق الباب كليةً، يعني لا يكون فيه مدخل إلى علم التنجيم، وهذا الظاهر أنه مذهب قتادة، لذلك قال: وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّص ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ. فهم إما منعوا الجانب المحذور، وإما أرادوا الجانب المحذور والوسيلة إليه من باب سد الذرائع؛ لأن من دخل في ذلك فإنه قل أن ينجو من فساد شيء من عقيدته أو من الشكوك في ذلك؛ لكثرة ما يلتبس عليه.

والذين أجازوه أجازوا علم معرفة ما يسمى **بعلم التسيير**: معرفة منازل القمر ومعرفة التواريخ والفصول، هذا لا بأس به، يعرف به دخول الفصل وخروجه، كتأريخ فقط، هذا الذي أجازوه، ليس هذا على سبيل جواز علم التنجيم مطلقًا أو المنع منه مطلقًا، إنما هذا على سبيل التفصيل.

الشارح صاحب «تيسير العزيز الحميد»[٢٣٢]: **(التنجيم على ثلاثة أقسام: أحدها: ما هو كفر بإجماع المسلمين)**، يعني علماء المسلمين **(وهو القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة وهذا كفر بإجماع المسلمين)** وهذا قول أكثر الفلاسفة، **(وهذا قول الصابئة المنجمين)** ولذلك عبدة الصابئة عبدوا النجوم، كما في قصة إبراهيم في مناظرته ، وهذا كفر بإجماع المسلمين؛ لأنه نسبه الفعل والخلق والإيجاد لغير الله.

(الثاني: الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك) الاستدلال على الحوادث الأرضية من سعدٍ ونحسٍ وجدبٍ وقحطٍ ونحو ذلك؛ استدلال فقط،

---

(٢٣١) أخرجه أبو داود : كتاب الطب ، باب في النجوم (٣٩٠٥)، وابن ماجه : كتاب الأدب ، باب تعلم النجوم (٣٧٢٦)، وأحمد (٢٨٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٧٤).

(٢٣٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص: ٣٧٨).

(ويقول: إن ذلك بتقدير الله ومشيئته) يعني قالوا: إن الله هو الخالق الموجد والمقدر، ولكن هذه هي الأسباب. **(فلا ريب في تحريم ذلك، واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك. وينبغي أن يقطع بكفره)** الذي يمارسه ويعلم الناس ويقول: إذا اقترن كذا مع كذا سينزل المطر ويكون نحسًا، وإذا اقترن هذا مع هذا ستكون سنة جدب أو قحط أو خصب ونحو ذلك، وينسبون هذا أن الله هو الخالق القادر المدبر المنشئ، وهي هذه الأسباب، فرقه عن الأول؛ الأول يقول: النجوم والاقترانات هي الخالقة والموجدة، والثاني يقول: الله هو الخالق الموجد، وهذا كفر بالأسباب.

هذا يسميه العلماء علم التأثير؛ التنجيم، وهو داخل في النوع الأول من حيث المسمى، لكن الأول كفر بالإجماع ،وهذا معصية وكبيرة؛ لأنه نوع من الكفر الأصغر، كما في حديث خالد بن زيد، باب ما جاء في الأنواء، أن النبي ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَمَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي، وَمَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ**»(٢٣٣).

كما سيأتي في الباب الذي بعده، يعني مطرنا بنوء كذا وكذا؛ هو السبب.

هذا بالنسبة للنوعين المحرمين.

النوع الثالث: هو الذي ذكره المصنف عن الإمام أحمد، وعن قتادة، يقول الشارح: **(الثالث: ما ذكره المصنف في تعلم المنازل)**. يسميه العلماء: **علم التسيير**: معرفة سير الأفلاك وطلوعها، يقولون: سهيل يظهر في شهر كذا، والثريا في كذا، والجوزاء في كذا، معرفة تواريخ.

بل وما يناسب من حيث الزراعة ونحوها، كمعرفة الأجواء المناسبة، فهذه هي التي حصل فيها هذا الخلاف.

قال: **وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ.**

هو قتادة بن دعامة، وسفيان بن عيينة أبو محمد.

ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا.

---

(٢٣٣) أخرجه البخاري : كتاب الجمعة ، باب قول الله تعالى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} (١٠٨٣)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (٧١)، من حديث زيد بن خالد الجهني.

حرب معروف، من أصحاب الإمام أحمد له كتاب في السنة، وكتاب في الفقه يروي فيه عن أحمد وإسحاق.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ.

على هذا السبيل.

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: فقط.

«زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ».

من جعلها مؤثرة أو علامة على النفع والضر وغير ذلك تكلف ما لا علم له، ومن جعلها لأجل أن يهتدي بها: معرفة الجدي، القطب، ويدل على الشمال، وسهيل يدل على الجنوب جهة اليمن، ونحو ذلك، هذه علامات، كما قال عز وجل: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل:١٦]، رخص الله في ذلك. وقال: ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك:٥]، وقال: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات:٦]، جعل الكواكب زينة، ﴿ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴾ [الصافات:٧]، رجوم للشياطين، هذه هي التي ذكرها الله في القرآن، هذا هو، فيقول قتادة: هذه، ثم علامات يهتدى بها.

ومعرفة المنازل إن كان لأجل علامات الاهتداء فلا بأس بها، حتى قتادة؛ لكن الظاهر أن قتادة لا يرى جواز معرفة منازل القمر والنجوم؛ لهذا الشيء، أما معرفة العلامات: الشمال من الجنوب وكذا، فهذه يرخص فيها.

يقول ابن رجب [(٢٣٤)] : **(والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير، فإنه باطل محرم قليله وكثيره).**

هذا الذي قلنا أنها : تؤثر في الخلق والإيجاد، إما بنفسها فهذا كفر بإجماع المسلمين، وإما بأمر الله وقدره وهي السبب فهذا محرم لا ريب في تحريمه وأنه من الكفر الأصغر.

---

(٢٣٤) «فضل علم السلف على الخلف» ص/ ٧، ونقله في «تيسير العزيز الحميد» ص/ ٣٨٥.

قال ابن رجب: (**وأما علم التسيير، فتعلم ما يحتاج إليه للاهتداء، ومعرفة القبلة، والطرق جائز عند الجمهور**)، معرفة الجهات (**وما زاد عليه لا حاجة إليه لشغله عما هو أهم منه، وربما أدى تدقيق النظر فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين، كما وقع من أهل هذا العلم قديمًا وحديثًا**).

يأتي ويقول: هذا المحراب متجه إلى كذا، والذي ينبغي بمعرفة كذا ، ويدققون جدًا، عندهم حسابات وموازين الاسترلاب ونحوه؛ حتى يصبحوا يشككون في قبله المسلمين ، والنبي ﷺ سَهَّل هذا الأمر قال: «**مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ**» (٢٣٥)، تيسير الأمر أنه سهل لا يحتاج إلى هذا التدقيق؛ لصعوبة الأمر، الأعرابي في باديته كيف يعرف القبلة؟ هل عنده بوصله واسترلاب؟

هذا مشرق الشمس، وهذا مغربها، والمقصود من الحديث من جهة الشمال مكة، فيتجه، والحمد لله الأمر سهل.

قال: (**وذلك يفضي اعتقاده إلى خطإ السلف في صلاتهم وهو باطل. انتهى مختصرًا**) هذا كلام ابن رجب.

مثله التدقيق في قضية دخول الشهور الهلالية ورمضان والحج، والنبي ﷺ قال: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ**» (٢٣٦) أحالنا على الرؤية وما أحالنا على الحساب الفلكي الذي ربما العرب كلها ما كانت تعرفه في زمان النبي ﷺ، كان يعرفه طوائف من الفرس والروم، والذين يعرفونه طائفة قليلة علماء متخصصون، فما يحال هذا الأمر العام الذي يحتاجه الإنسان في باديته يحال على قليل، لذلك قال: «**إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا**» يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، وَمَرَّةً ثَلاَثِينَ

---

(٢٣٥) أخرجه الترمذي: كتاب الصلاة ، باب ما جاء أن بين المشرق والمغرب قبلة (٣٤٢) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب القبلة (١٠١١) وصححه الألباني في أصل صفة صلاة النبي ﷺ (١/ ٦٩)، والإرواء (٢٩٢).

(٢٣٦) أخرجه البخاري : كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا» (١٩٠٩) ومسلم : كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يومًا (١٠٨٠).

[٢٣٧]، يعني الحساب الفلكي ما هو الحساب العددي، فالحساب العددي يعرفونه؛ يعدون، لكن لا نحسب ولا نكتب، «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ»، هذه هي الأحكام الشرعية، ما تحتاج إلى تدقيق، حتى ولو تعلم الناس وصاروا كلهم يحسنون هذا العلم، فهو ملغي شرعًا، هذه أحكام الله عز وجل، فالملغي شرعًا لا عبرة فيه ولو أتقنه الناس؛ لأنه ألغي شرعًا، ولا يمكن أصلًا أن يتقنه جميع الناس.

المهم هذا المقصود من علم التنجيم، والتفصيل فيه.

قال : «مُصَدِّق بِالسِّحْرِ»؛ لأن التنجيم نوع من السحر، كما في الحديث «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ؛ زَادَ مَا زَادَ» [٢٣٨]، والسحر مر معنا أنه شرك، كما قال ﷺ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ» [٢٣٩].

---

(٢٣٧) أخرجه البخاري : كتاب الصوم ، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان (١٩٠٠)، ومسلم : كتاب الصيام ، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال (١٠٨٠).

(٢٣٨) أخرجه أبو داود : كتاب الطب ، باب في النجوم (٣٩٠٥)، وابن ماجه : كتاب الأدب ، باب تعلم النجوم (٣٧٢٦)، وأحمد (٢٨٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٧٤).

(٢٣٩) أخرجه النسائي : كتاب تحريم الدم ، باب الحكم في السحرة (٤٠٧٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف النسائي».

بَابٌ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»، وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا؛ تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٠).

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» (٢٤١).

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا؛ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٤٢).

الشرح:

هذا الباب، قال: **بَابٌ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ** يعني من التشديد والتغليظ.

والاستسقاء هو طلب السقيا أو النسبة.

والأنواء: جمع نوء، والنوء أصله أنه إذا غاب القمر أو غاب نجم ناء آخر مكانه؛ ظهر؛ فينسبون سبب نزول المطر إلى هذا النوء، فيقولون: نوء الجوزاء، نوء الثريا وهكذا.

لذلك أورد المصنف قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

---

(٢٤٠) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة (٩٣٤).

(٢٤١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب قول الله تعالى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} (١٠٨٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (٧١).

(٢٤٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (٧٣).

كيف تكذبون؟ الرزق نزول المطر وأورد الآية من حديث ابن عباس في الصحيحين، قال: وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا؛ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

أورد النبي ﷺ أن هذه الآية نزلت في ذلك، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة:٧٦] ثم قال: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة:٨٢]، ما هو الرزق؟ قال ابن عباس: هي هذه الآية؛ نزول المطر؛ تكذبون بنسبتها لغير الله، هذا المعنى من حيث عموم اللفظ.

والقول الثاني: قول الحسن البصري، أن الآية في نزول القرآن؛ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة:٧٧]، ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ من نزول القرآن ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ به؛ ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ قال: مواقع تنجيم القرآن؛ يعني ينزل منجمًا على الأحداث والوقائع.

والظاهر –والله أعلم– أنه شامل للمعنين؛ لأن القاعدة عند العلماء أن سبب النزول يدخل دخولًا أوليًا في المعنى، وعموم اللفظ يشمل المعاني الداخلة في اللفظ.

فسبب النزول: هو استسقائهم بالأنواء.

وعموم اللفظ: شامل لتنجيم القرآن نزوله منجمًا، والنجوم التي هي في السماء.

فهذا من بلاغة القرآن، ومن وجوه الإعجاز في القرآن؛ أن اللفظ صالح للمعاني الداخلة فيه؛ بدلًا من أن تنزل آيات في كل شيء؛ تصبح آية شاملة لأشياء.

وممن قال بهذا علي بن أبي طالب: قال ﴿ رِزْقَكُمْ ﴾ شكركم، ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ تقولون بنوء كذا وكذا، بدلًا أن يشكروا الله ويقولوا: بفضل الله وبرحمته، قالوا: بنوء كذا وكذا.

والقضية نسبة المطر إلى الأنواء على ثلاثة أنواع، بإدخال نوع ثالث ذكره الفقهاء، وإن كان قد يفرد عنها:

الأول:

أن يقول: مطرنا بنوء كذا وكذا، أي هو الموجد، مثل قضية الصابئة وغيرهم الذين يقولون: إن النجوم موجبة وخالقة.

فهذا كفر؛ لأن الأنواء والنجوم لا تخلق ولا توجد.

الثاني:

أن ينسب إليه نسبة السبب مع الاعتقاد أن الله هو منزل المطر والخالق له، يقولون: بسبب نوء كذا كان كذا وكذا، فهذه هي التي قال فيها النبي ﷺ قال الله: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**»، فهذا كفر أصغر.

الثالث:

غير هذه، لكنه يذكره الفقهاء إذا ذكروا باب الاستسقاء وتكلموا على باب الصلاة، يقولون: ويحرم أن يقول مطرنا بنوء كذا وكذا، ويجوز: في نوء كذا وكذا.

لأن الباء أصلها للسببية، يعني مطرنا بسبب نوء كذا وكذا؛ وهذا محرم.

وفي، ظرفية، ظرف زمان، أي كأنك تقول: في شهر كذا وكذا، مطرنا في شهر كذا وكذا، فإذا قلت في نوء الثريا، أي في الشهر الذي ناءت فيها الثريا، في الوقت في الزمن، يقولون: يجوز لمن يعرف الفرق بين الظرفية والسببية، أما الذي لا يفرق بينهما وكلها عنده بمعنى واحد بمعنى السببية، فهذا لا، لأن العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني، فقد يقول القائل: مطرنا في نوء كذا وكذا، وهو يقصد باء السببية، ويقول الكوفيون: أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض.

أورد فيه أيضًا حديث **أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»**.

لازالت الناس متمسكة بهذا وهي على الإسلام، لم يكفروا ويشركوا، كما قال النبي ﷺ، لازال الناس يفخرون بالأحساب.

الأحساب: هو ما يحصله الإنسان من المفاخر، الأحساب ما يحسب له من الجاه والمال، قد يكون الإنسان حسيبًا وليس بنسيب، ليس له نسب ينتسب إليه وهو حسيب ذو جاه ومنصب ومكانة؛ فهذا الحسب، كما قيل: الحسب المال، يعني عند الناس، يحسبون لصاحبه الحساب، يُعَدّ الرجل: يحسب، يفتخرون بالأحساب.

الطعن في الأنساب: الأنساب أنساب الناس أو أنساب القبائل.

أنساب الناس، إذا انتسب الإنسان إلى قبيلة أو إلى أحد قال: لا، هذا ليس منهم؛ هذا يطعن في الأنساب، الأنساب المعروفة، دعك من الكذابين، أن ينتسب الكذاب الذي ينتسب إلى أحد كذبًا؛ هذا

يقال؛ لأنه ليس طعنًا للأنساب، لكن هذا توضيح للحقائق، لكن الكلام فيمن لا يعرف كذبه، وإنما شخص يريد أن يضع منه أو يحتقره فيقول: ليس من بني فلان.

والقسم الثاني: الطعن في الأنساب: الاحتقار، أن يحتقره، يقول: هذه قبيلة محتقرة وضيعة، أو أسرة وضيعة، فيطعن بها.

هذا كله من أمر الجاهلية.

والاستسقاء بالنجوم: مطرنا بنوء كذا، وينتظرون متى ينوء هذا النوء، بدلًا من أن ينتظرون فرج الله ويصلون ويستسقون الله ويدعونه ينتظرون متى ينوء هذا النوء، متى يقترن القمر مع الثريا، متى يقترن مع الجوزاء، وهذا خطير جدًا، وهذا من أمر الجاهلية.

والنياحة: غالبًا تنوح المرأة على الميت، تعدد محاسنة، وتبكي بنياح ونحو ذلك؛ قَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا» لاحظ هذا مع أن النياحة كبيرة من الكبائر، قال: «إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا» فإذا تابت تاب الله عنها، وكذلك الذنوب، من تاب قبل الموت تاب الله عليه «تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ» سربال متسربلة، يعني الثوب الذي يلبسه الإنسان كاملًا عليه يتسربل عليه «سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ» القطران: قيل المراد به القطران الذي تطلي به الإبل الجرباء، شيء كالزيت المحروق، يخرج يسمي القطران، معروف؛ يداوي الجرب، وفيه حرارة على الجرب، لكنه يكون دواءً، هي كأنها جرباء يوم القيامة، نسأل الله السلامة والعافية.

وقال ابن عباس: القطران هنا هو القطر، ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ:١٢].

وقال تعالى: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف:٩٦].

القطر هو النحاس المذاب، ففسره ابن عباس بالنحاس المذاب، يعني كأن صنع لها ثوب من نحاس مصهور عليها والعياذ بالله، وهذا يدل على شدة العذاب، وهذا يدل على أنه كبيرة من الكبائر.

ومثله ما قرن معه، وهو: الاستسقاء بالنجوم، والفخر بالأحساب والطعن بالأنساب.

«وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» تجرب.

وحديث زيد بن خالد، واضح وتقدم الكلام فيه، وهو نسبة المطر إلى النجوم.

قضية النياحة على الميت والبكاء؛ يقول -رحمة الله عليه-: (**النياحة على الميت أي رفع الصوت بالندب عليه**) أن تقول: يا فلان، يا ذا فلان، يا كذا، يا غوثاه، ويعددون فَصَّل شيخ الإسلام كلامًا جميلًا؛ يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ [٢٤٣] : (**فأما البكاء من غير نياحة وندب وشق جيب فإنه على نوعين: المحرم**) هو ما كان فيه من شق جيوب، أو لطم خدود.

(**لَكِنَّ الْبُكَاءَ عَلَى الْمَيِّتِ عَلَى وَجْهِ الرَّحْمَةِ حَسَنٌ مُسْتَحَبٌّ**) مثل ما يبكي على الصبي الصغير فإنه حسن متحسب حال كونه خاليًا من اللطم والشق ونحو ذلك، كما قال النبي : «**إِنَّ العَيْنَ لَتَدْمَعَ، وَإِنَّ القَلْبَ لِيَحْزَنَ، وَإِنَّا لِفُرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ، لَمَحْزُونُونَ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبُّنَا**» [٢٤٤] فظهر الحزن، وبكى، وما يقول إلا ما يرضي الله، (**وَذَلِكَ لَا يُنَافِي الرِّضَا**) لأن العبد يرضى بقضاء الله ويحزن ويبكي؛ لكنه بهذا الصفة الذي هو على سبيل الرحمة والعطف والشفقة، قال: (**بِخِلَافِ الْبُكَاءِ عَلَيْهِ لِفَوَاتِ حَظِّهِ مِنْهُ**) فلا، مباح، ولكنه ليس من المستحب، فرق بين المباح والمستحب.

إذن عندنا مباح ومستحب ومحرم.

المحرم: النياحة وشق الجيوب إلخ.

المباح: أن يبكي الإنسان على موت زوجته، أو يبكي على فوات شيء من حظه من الدنيا، مصلحته.

فإن كان خاليًا من اللطم والجزع فهو مباح.

الكلام كله عن البكاء بغض النظر عن قضية الرضا والجزع التي يذكرها إنما هو على البكاء:

إن كان رحمة بالميت فهو مستحب؛ لأن النبي ﷺ بكى لما ظن أن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي مات بكى.

وقيل له يا رسول الله تبكي؟ فقال: «**إِنَّهَا رَحْمَةٌ وَضَعَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ مَنْ يَشَاء**» [٢٤٥].

---

(٢٤٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٧).

(٢٤٤) أخرجه البخاري : كتاب الجنائز ، باب قول النبي ﷺ إنا بك يا إبراهيم لمحزونون (١٣٠٣)، ومسلم : كتاب الفضائل ، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال (٢٣١٥)، من حديث أنس.

(٢٤٥) أخرجه أبو داود : كتاب الجنائز ، باب في البكاء على الميت (٣١٢٥).

ولما مات ابن ابنته دمعت عينه، ولما مات ابنه إبراهيم دمعت عينه.

في قضية «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»، يقول الشارح في شرحه [٢٤٦]: **(قوله: «مؤمن بي وكافر» المراد بالكفر هنا هو الأصغر بنسبة ذلك إلى غير الله وكفران نعمته، وإن كان يعتقد أن الله تعالى هو الخالق للمطر المنَزل له)** هذا هو: يعتقد ولكنه ينسبه إليه.

---

(٢٤٦) «تيسير العزيز الحميد» (ص: ٣٩٤).

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآيَةَ.

عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أَخْرَجَاهُ[247].

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[248].

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى ..» إِلَى آخِرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَى فِي اللهِ، وَعَادَى فِي اللهِ؛ فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ -وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ- حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا» رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ[249].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾، قَالَ: «الْمَوَدَّةُ».

الشرح:

هذا الباب حقه أن يسمى باب ما جاء في المحبة.

المحبة أنواع:

الأولى:

ما هو حب لله، وفي الله، ومنها محبة الله، وهذه كلها مشروعة.

---

(٢٤٧) أخرجه البخاري : كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٥)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ (٤٤).

(٢٤٨) أخرجه البخاري : كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان (١٦)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان (٤٣).

(٢٤٩) أخرجه العدني في «الإيمان» (ص ١٨).

القسم الثاني: شركية:

وهي محبة الله بمثل محبة الله.

الثالث: محبة محرمة:

المحبة التي توصل إلى العبد إلى فعل المحرم، كما في الحديث: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**» (٢٥٠).

القسم الرابع: المباحة.

أن يحب الطعام اللذيذ، ويحب زوجته ووالديه وأولاده في غير محرم.

لذلك المصنف أجمل الكلام قال:

بَابٌ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة:١٦٦].

هذه التي تقطعت بهم الأسباب كانت محبة فانقطعت يوم القيامة، لا تنفعهم، أما الأسباب الشرعية التي هي لله وفي الله ما تنقطع، ولذلك يشفع المؤمنون ببعضهم في بعض يوم القيامة، لأن المحبة بينهم لله وفي الله، كما قال الحسن البصري: «**تكثروا من إخوان الصدق فإنه لا يزال يشفع في أخيه**»، يعني قد يكون الأخ المؤمن الصادق له شفاعة عند الله يوم القيامة، ولذلك لما احتضر أبو الدرداء وبكى عنده صاحبه فقال ما يبكيك؟ قال: أبكي على فراقك، فقال: لو كانت لي شفاعة يوم القيامة لأشفعن لك، يعني لو كان لي يوم القيامة جاه عند الله سأشفع لك (٢٥١).

---

(٢٥٠) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٢٨٨٧).

(٢٥١) لم أقف عليه من حديث أبي الدرداء، وأخرجه مسلم (٢٩) عَنْ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَهْلًا، لِمَ تَبْكِي؟ فَوَاللهِ لَئِنْ اسْتُشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا

وذلك أن أنسًا قال: سَأَلْتُ النبيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ. فَقَالَ: «**أَنَا فَاعِلٌ**». قَالَ: قلتُ: يَا رسول الله، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي على الصِّرَاطِ**». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «**فَاطلبني عِنْدَ المِيزَانِ**». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: «**فاطلبني عِنْدَ الحَوْضِ؛ فإني لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاث المَوَاطِنَ**» (٢٥٢) هذه الأماكن، يعني يوم القيامة.

فإذن هذه المحبة لها شيء من ذلك، لها أثر، لكنها تكون محبة في الله ولله.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

هنا حب الله هو حب العبادة، ليس حب الشهوة، وليس حب العشق، وليس حب الدنيا، الإنسان في الدنيا يحب الماء والطعام، هل محبته لله كمحبته للطعام والشراب؟ تعالى الله.

يحب زوجته شهوةٍ، ويعشق؟ هل يليق هذا مع الله؟

من جهل الصوفية أن يقول أنه يعشق الله، هذه الأشياء القبيحة ما تطلق في حق الله، يحب الله؛ يحبهم.. يحبونه، هذه التي دل الله عليه.

الولاية، وهو الغفور الودود، يحب أوليائه، يودهم؛ ويجعل لهم المودة في قلوب عباده، ويودنه، هذه الأشياء التي تطلق في حق الله؛ لأنه ليس فيها شيء من النقص.

المهم: كحب الله: المحبة الشرعية، محبة العبادة المشتملة على الذل والخضوع والتعظيم والخوف والرجاء والتذلل والتعبد ، لذلك المشركون يحبون أوثانهم كمحبة الله مشتملة على الخضوع والذل والتعظيم و الإخبات والخوف والتوكل؛ يخافون منها، ذكرنا لكم فيما مضى أن العبادة لها ثلاثة أركان من حيث كونها عبادة، ليس من قضية صحة وفساد: أنها اشتملت على المحبة والخوف والرجاء، فأي شيء اشتمل على محبة وخوف ورجاء فهو عبادة، فإن صرفت لله فهي عبادة لله، وإن صرفت للشياطين فهي عبادة، وإن صرفت للأوثان والطواغيت فهي عبادة، بعض النظر عن الصحة والفساد، يكون خالصًا صوابًا؛ شرطا: الإخلاص والمتابعة.

حَدَّثْتُكُمُوهُ، إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ، وَقَدِ أُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ**».

(٢٥٢) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (**دلت الآية على أن من أحب شيئًا كحب الله فقد اتخذه ندًا لله، وذلك هو الشرك الأكبر**) وكذلك ذكر هذا المصنف رحمه الله في المسائل.

وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

سماهم فاسقين، والفسق يطلق على فسق الكفر، وفسق المعاصي.

فسق الكفر، قال عن إبليس: ففسق عن أمر ربه، ففسقه فسق كفر.

وفسق الكبائر: هو ما دون الكفر، قال ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[٢٥٣].

المهم: إن كانت محبة شركية كمحبة الأوثان فهي فسق أكبر، لكن أنظر قال:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ ﴾ هل الإنسان يتعبد لهم، يحبهم محبة التعبد؟

لا؛ هي محبة تفويت الواجب، أن تخالط القلب، لأنها قد تخالط القلب فتفوت الواجب.

كمحبة الأموال والتجارة التي يخشى كسادها يقترف الربا أو يفعل بعض المحرمات لأجل أن يدخل الرشوة، وإلا لماذا بعض الناس يتعامل بالرشوة؟ لمحبة المال.

هذه من المحرمات، لا تصل إلى الفكر، فلذلك سماه فسق.

وجهاد في سبيله؛ لأنه قد يترك الجهاد الواجب، والمقصود به هنا الجهاد الواجب.

الأول: الآية في الشرك، في محبة العبادة.

الثاني: في محبة المعصية.

---

(٢٥٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله (٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: «سباب المسلم» (٦٤).

لاحظ ترتيب المصنف رحمه الله، الآية الأولى فيما هو عبادة وشرك أكبر، والآية الثانية فيما هو معصية وكبيرة؛ لأن الله قال: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ والفسوق لا يكون إلا في الكبائر.

خذوها قاعدةً:

لا يُسَمَّى المسلم فاسقًا إلا إذا اقترف الكبيرة ولم يتب منها، فإن تاب تاب الله عليه، وقد يتحول وليًا لله، أما الصغائر فلا يُسَمَّى صاحبها فاسقًا، يسمى عاصيًا.

قال عز وجل: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:٧]: قسمها ثلاثة أقسام: كفر، وفسوق، وعصيان، و العصيان ما دون الكبائر.

ثم قال: **عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». أَخْرَجَاهُ.**

هذا النفي للإيمان، لو فرض أن إنسان أحب نفسه وولده ووالديه على محبة النبي ﷺ ؛ فضلهم عليه، والمحبة المقصودة هنا، يقول البيضاوي رَحِمَهُ اللهُ في «شرح مشكاة المصابيح» وغيره من أهل العلم: **(المحبة العقلية، ليست المحبة القلبية الشوقية)**، لأن الإنسان قد لا يجد الشوق، لكن المحبة العقلية مثل محبة الداء، ضرب لها أمثلة، محبة الدواء المر، المريض يريده ويدفع الثمن الغالي، وأحيانا تجرى له عملية ويقطع منه ويضرب بإبرة مؤلمة؛ لأنها يبحث يريد الشفاء، يريد ما وراء ذلك، ولكنه لا يحبه محبة ذوق، فلا يريد الألم من الإبرة، ولا يريد مرارة الدواء، ولا يريد ألم الجرح، فإن ما هي المحبة التي عنده؟ الإرادة التي يريدها؟

المحبة العقلية؛ التي دل عليها العقل؛ لأن وراءها مصلحة، وليست المحبة الذوقية.

قال العلماء المحبة التي يدل عليها العقل؛ لأنك تعلم أن طاعته ﷺ وامتثال أمره أنفع لك في دينك وفي دنياك، فتمتثله، ثم تتطور مع المؤمن إلى أن يتذوقها قال النبي ﷺ: **«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا»** (٢٥٤) يجد الذوق، وهذا يجده الإنسان، انظر

---

(٢٥٤) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا (٣٤)، من حديث العباس بن عبد المطلب.

كيف يتلذذ في صيام رمضان، وكيف يجد فرحه إذا أفطر، ألا يجد هذه اللذة مع الجوع؟ تطور، لكن المنافق الذي لا يريد الصوم يجد الألم فقط، ما يجد اللذة، وتنازعه نفسه وقد يفطر بعض الأيام، الفرق بينهما أن هذا ترقى حتى وجد لذته في نفسه.

المقصود هنا: هذا الحديث دل على محبة الرسول ﷺ، وأنها مما أمر الله به، وليس منهي عنها.

«لا يؤمن»، قال العلماء: الإتيان بكمال الإيمان الواجب، لأنه قد يعصي الإنسان الرسول ﷺ، وقدم هواه على طاعة الرسول ﷺ، هذه معصية، وليست بكفر، لكن لو وقع في الكفر فهذا باب آخر.

لا يؤمن كمال الإيمان الواجب، وهو فعل الواجبات.

وَلَهُمَا أي للبخاري ومسلم.

عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ من كن فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وهذا إذا بلغ الإنسان إلى هذا الحد وجد حلاوة الإيمان، أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، يرى شخصًا من الناس ليس بينه وبينه مصالح ولا صداقات، لأن الإنسان مع الصديق يجد توافق الأرواح، فالأرواح جنود مجندة، مع المصالح يجد من أحسن إليه، كما قيل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

هذا يجده الناس.

أو الصور الجميلة، في الوجوه الحسان، يجد.

لكن شخص ليس فيه من هذه الأشياء؛ تحبه لأنه مسلم؛ لأنه مؤمن؛ لأنه صادق فيه صفات الإيمان؛ هذه لذة الإيمان، هذا طعم الإيمان الذي تجده.

الشاهد من هذا أن المقصود: المحبة منها ما هو مع الله ، و منها ما هو في معصية الله، ومنها ما هو لله وفي الله كمحبة الرسول ومحبة المرء يحبه لله وهكذا.

هذه كلها تدل على أن المحبة فيها هذا التفصيل.

ثم أورد حديث ابن عباس: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَى فِي اللهِ، وَعَادَى فِي اللهِ؛ فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ.

كيف تكون وليًا لله؟

أن تكون هكذا، لله وفي الله عملك.

وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ»

قد يكون مصليًا صائمًا ولكنه للهوى، يحب للهوى ويبغض للهوى، في نفسه.

«وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا»

إن كان يعطيه منها؛ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة:٥٨] ، هذه صفات المنافقين، أما المؤمنين: لله وفي الله.

«وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا»

يعني محبة الدنيا، كما قال الله : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة:١٦٦] ، ولذلك أورد بعدها قوله: المودة.

قال الشارح (٢٥٥) عن ابن القيم يقول: (**المحبة قسمان، مشتركة وخاصة**) الخاصة نوع واحد.

قال: (**فالمشتركة: ثلاثة أنواع:**

أحدها: محبة طبيعية، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، ونحو ذلك. وهذه لا تستلزم التعظيم.

الثاني: محبة رحمة وإشفاق، كمحبة الوالد لولده الطفل، وهذه أيضًا لا تستلزم التعظيم.

الثالث: محبة أنس وألف، وهي محبة المشتركين في صناعة، أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر لبعضهم بعضًا) لأن الناس قد يكون بينهم شراكة فيصير بيهم ود (**وكمحبة الإخوة، بعضهم بعضًا.**

فهذه الأنواع الثلاثة، لا تستلزم التعظيم) ليس فيها التعظيم الشركي، (**التي تصلح للخلق، بعضهم من بعض ووجودها فيهم لا يكون شركا في محبة الله**)

هذا الذي في قوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ ﴾ [التوبة:٢٤].

---

(٢٥٥) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص: ٢٩٥)، ونقله في «تيسير العزيز الحميد» (ص: ٤٠٢).

قال: (أما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده ومتى أحب العبد بها غيره كان شركًا لا يغفره الله، فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم، وكمال الطاعة وإيثاره على غيره.

فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً، وهى التي سوَّى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] ومتى أحب العبد بها غيره فقد أشرك الشرك الأكبر) هذا كلام ابن القيم من أراد أن ينقله يجده في الشرح.

قال المصنف في مسائله:

١١- أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ؛ فَهُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.

بَابٌ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلِهُ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الآيَةَ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»[٢٥٦].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ[٢٥٧].

الشرح:

هذا الباب أيضًا على نفس النمط في الباب السابق، الأول في المحبة، والثاني في الخوف، ولم يترجم عليه المصنف وإنما أورد الآيات والأحاديث الدالة على ذلك.

قال: **بَابٌ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:** ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾.

أي يخفوكم بأوليائه، يعظم أوليائه في أنفسكم.

كما قال ابن القيم: جميع المفسرين على هذا المعنى؛ يخوف أولياءه أي يخفوكم أولياءه يعظم أولياءه في أنفسكم وأعينكم.

ولما كان الخوف أيضًا:

---

(٢٥٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٢١/ ٢٠٧)، وقال الألباني في الضعيفة (١٤٨٢): موضوع.

(٢٥٧) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٤٧) رقم (٢٧٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٣١١).

أولًا: خوف من الله فهو عبادة، ولا يجوز صرفه لغير الله، وهو المتضمن للخضوع والتذلل وأنه ما أراده نافذ؛ صرف للأصنام خوف منها؛ تضر وتنفع من دون الله، فهذا هو الشرك.

النوع الثاني: الخوف من غير الله بغير شرك.

إنما لضعف التوكل، فهذا معصية.

الثالث: الخوف الجبلي الطبيعي.

كمن يخاف من السبع، إذا جاءه سبع في مكان ليس معه أحد يخاف، إذا أحاط به العدو يخاف، ذكر الله عن موسى قوله: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص:٢١]، وهذا الخوف الجبلي الطبيعي موجود، جَبَلَ الله الناس عليه، ولا يمكن أن يجبل الله الناس على شيءٍ فطريٍّ ويجعلهم مُحَرَّمًا عليهم؛ تكليف بما لا يطاق.

إذن المصنف لما كان التقسيم هكذا، أورد الآيات ليبين أن الخوف مراتب:

فإن كان لله فهو عبودية؛ تعبد لله ﷻ ؛ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات:٤٠] هذا هو، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٤٦] عبودية.

قال: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]، لا تخافوا الأعداء ولا الشياطين ولا الأصنام وخافوني وحدي ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، فهذا يدل على أن هذا الأمر متعلق بالإيمان، فإن كان خوف عبادة فهو شرك مضاد للإيمان، وإن كان خوف معصية فهو كما في الحديث: ««مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» والله لا يسخط على العبد إلا بالمعصية، هو أن يعصي الله فيخاف من الناس مذمة أو عقوبة ويعصي الله، فهذا هو النوع الثاني، وهو خوف معصية؛ فسق ليس كفرًا، لأن الكفر هو خوف العبودية، ويسميه العلماء خوف السر: هو أن يعتقد في الصنم أو في الولي أو في المقبور سرًا يضره ويعتقد أن في الجن أو في الشياطين سرًا فيذبح لها، لخوفه، ويأتون إلى الوادي ويقولون: يا سيد هذا الوادي إنا نعوذ بك من سفهاء قومك، ويذبحون له.

قال عز وجل عن حكاية مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]، كانوا في رهق الخوف، يخوفونهم، تتغول لهم الأغاويل، قال ﷺ: «لا غول»؛ هذا الذي يعتقده العرب نوع من الشياطين تظهر لهم في الأدوية وتضرهم، يعني لا تضره الغول.

ولذلك جاءت الأدعية والتحصينات لأجل أن يتحصن بالله ويعتصم به ولا يضره شيء، لكن شخص تقول له: هذه التعاويذ والتحاصين الشرعية، ولا يثق بالله إذن في نفسه شرك، التوكل معدوم صار؛ لأن العبد، هل لو قال التعويذات التي يتعوذ بها المؤمن، وأصابه شيء، من الذي أصابه وقدر ذلك؟

هو الله، لا يأتي ويقول: ما نفعتني هذه الأشياء، نقول الله هو المقدر، مثل الدواء، يأخذ المريض الدواء وهو مجرب ومعروف ويتفق عليه الأطباء أنه يشفي، فيأخذه ولا يشفي، قدر بإذن الله؛ لأن الدواء سبب وليس خالقًا للشفاء، والموجب للشفاء هو الله عز وجل، ومثله هذه التعويذات، والعبد إذا أخلص في دعائه وتعوذه فإن الله ينفعه بها.

وَقَوْلِهُ: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الآيَةَ.

هذا هو الذي إيمانه تام، هذا يدل على أن الخشية تمام الإيمان، إذا لم يخش إلا الله فقد حقق تمام الإيمان، فإذا خشي غير الله معه، فإن كان في العبودية فهو شرك، وإن كان في معاصي دون العبودية فهو فسق.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الآيَةَ.

فتنة الناس إذا عذبوه وفتنوه عن دينه جعله كعذاب الله فيتقيهم بعذاب الله، هل عذاب الناس كعذاب الله؟ عذاب الناس أقصى ما فيه أن يكون القتل، وإذا قتلوه فهو شهيد دخل الجنة، لكن عذاب الله في الشرك خالد مخلد في الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢] ، فعذابه أشد، نسأل الله العافية والسلامة.

فهذا جعل فتنة الناس الذين فتنوه عن دينه كعذاب الله فأطاعهم ووقع في الشرك، ومر معنا حديث دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب، و الذي دخل النار قرب ذبابًا فخلوا سبيله

فمات فدخل النار، والأول: قال ما كنت لأقرب شيئًا لغير الله فقتلوه فدخل الجنة، أقصى ما عذبوه به القتل، وجزاؤه دخل الجنة، هذا مطلوب المؤمنين، وإن كان العبد يسأل الله العافية والسلامة، لكن إذا ابتلي قال ﷺ: «لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا» (٢٥٨).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ مَرْفُوعًا يعني من كلام النبي ﷺ لكن إسناده ضعيف.

«إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ» الإيمان يكون ضعيفًا، ليس واثقًا وموقنًا.

«أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ» هذا إن كان من كلام النبي ﷺ أو من كلام أبي سعيد الخدري وهو الأقوى فهذا هو الفقه في كتاب الله وسنة رسوله؛ لأن من كان يرضي الناس بسخط الله فهذا ضعف يقين، ويحمد الله على رزق الله، الأقدار هي رزق الله، لكن يحمد الناس ينسبها إليهم دون الله وينسى، وأما أن يثني على من أحسن إليه فقد أمر النبي ﷺ بذلك، فقال: «مَنْ صَنَعَ لَكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» (٢٥٩).

وكذلك قال: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ» (٢٦٠) يعني الذي لا يشكر الناس على حسن صنيعهم لا يشكر الله أو أن الله لا يشكره، ليس هذا المقصود بأن تحمدهم على رزق الله، تنسب إليهم المحامد إذا أحسنوا لكن تنسبها لله، فالله هو المعطي، في قلبك أن الله هو المعطي وهم ما قصروا معك ، جزاهم الله خيرا، وتثني عليهم، لكن الحمد لله، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١].

«وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ»

---

(٢٥٨) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَابٌ: لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ (٣٠٢٦)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، بَابُ كَرَاهَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ (١٧٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢٥٩) أخرجه أبو داود : كتاب الزكاة ، باب عطية من سأل بالله (١٦٧٢)، والنسائي : كتاب الزكاة ، باب من سأل بالله عز وجل (٢٥٦٧)، من حديث ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٢١).

(٢٦٠) أخرجه الترمذي : كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (١٨٧٨)، وأبو داود : كتاب الأدب، باب في شكر المعروف (٤٨١١)، من حديث أبي سعيد، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» بلفظ: «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ».

الله هو الذي لم يقدر ذلك، تقوم تذهب وتقول: السبب فلان وفلان، انظر هل الله قدر أم لم يقدر؟

«إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»

كما قال النبي ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفَ»[(٢٦١)].

«وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[(٢٦٢)] هذا حديث عظيم جدًا، لو الأمة كلها اجتمعت على أن يضروك والله لم يشأ ذلك لا يمكن، لن يصلوا إليك.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ» .

يعني ولو سخط الناس، المهم أنه يرضي الله، وليس المقصود أن يسخط الناس يتعمد أن يغضب الناس؛ لأ، المقصود أنه إذا تعارض رضا الله ورضا الناس قدم رضا الله، فإن الله سيرضي عنه وسيرضي عنه الناس.

«وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ».

يُقَدِّم رضاهم.

هذا كله ليُبَيِّن أن هذا الخوف الذي يخافه الناس: إما من النقد أو من العذاب أو من نقص الحَظِّ من الدنيا أو غير ذلك كله بيد الله، من توكل على الله تمام التوكل فقد كفاه الله، ولذلك أردفه بالباب الذي يدل على التوكل.

---

(٢٦١) أخرجه الترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الشيخ الألباني : كتاب «التوسل» (٣٥).

(٢٦٢) أخرجه أحمد (٢٦٦٦)، وصحيح ابن ماجه للألباني (٢٢٦).

بَابٌ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ؛ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا، وَقَالُوْا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ [٢٦٣].

الشرح:

هذا الباب في التوكل، ولما كان التوكل أقسامًا لم يذكر المصنف فيه ترجمة تحدد الحكم فقال:

بَابٌ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.

هذا يدل على أن التوكل من الإيمان؛ لأنه تفويض القلب؛ لأنه اعتماد.

يقول ابن القيم: (**فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان**) لأنه قال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾، على الله توكلوا وحده.

يقول: (**فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل**).

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ ﴾، يقول العلماء: هذه تدل على تقديم التوكل على الله؛ لأن هذه الصيغة تدل على الحصر، ما قال: توكلوا على الله، قال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ ﴾؛ صيغة حصر، يقولون: تدل على أن التوكل على غيره شرك؛ لأنه حصر التوكل فيه، الذي هو تفويض القلب وتعلق القلب، التوكل الذي هو شرك هو الذي فيه: تعلق القلب، وأن هذا المُتَوَكَّل عليه نافع ضار، يمكنه بالنفع والضر، ولذلك أورد المصنف هذه الآية.

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ وعلى ربهم يتوكلون.

---

(٢٦٣) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب {إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم} الآية (٤٥٦٣).

إنما المؤمنون، مدحهم الله بذلك، المؤمنون فقط، أو المؤمنون الخلص.

وَقَوْلُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

الحسب هو الكافي، أي : كافيك الله وكافي من اتبعك من المؤمنين، ولذلك ابن القيم نبه في زاد المعاد أن من فهم من الآية أن حسبك الله وحسبك المؤمنين هذا غلط؛ لأن الله حسب النبي وحده، حسبك الله وحسب المؤمنين معك، أي كافيك ويكفي المؤمنين.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

الله أكبر، كافيه، من توكل على الله حق التوكل كافيه، لكن هذا مع بذل الأسباب، ليس توكلًا بلا بذل الأسباب، لأن بذل الأسباب من التوكل.

الآن شخص ظمآن يكاد يهلك من العطش، نقول له اشرب الماء، يقول: لا أنا متوكل على الله! هل يرضى الله بذلك؟ هل هذا من التوكل على الله؟ هذا هو السبب، ولذلك أباح الله أكل الميتة للمضطر، الميتة محرمة، وأبيحت للمضطر للضرورة، الذي ما أكل الميتة ما هو متوكل على الله، العلماء يقولون: يحرم عليه أن يهلك نفسه، وليس ذلك من التوكل، لابد أن يفقه هذا، لأن بعض الجهلة من المتصوفة يقولون: نحن متوكلون على الله ولا يبذلون الأسباب، هذا غير صحيح، الأسباب من التوكل، من الأسباب: الدعاء.

انظر إلى هنا: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ؛ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا، وَقَالُوْا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

زادهم إيمانًا؛ لأنهم علموا أن الله معهم، وكما قال النبي ﷺ: «وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[٢٦٤]، وزادهم إيمانًا لأن الله وعدهم أن الأعداء سيؤذونهم ويجتمعون عليهم وسينصرهم الله عليهم، وأن هذا مما أخبر به الله عز وجل ورسوله؛ فزادهم إيمانًا، لكن ماذا

---

(٢٦٤) أخرجه أحمد (٢٦٦٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٢٦).

قالوا؟ قالوا: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ»، هذا دعاء ولجوء وتفويض. هذا من بذل الأسباب لكن لو جزع، وتسخط ولم يقل ذلك الدعاء، هل يكون متوكلًا؟ لا يكون.

فإذن بذل السبب، ولذلك هذه القصة في يوم أحد لما ذهب المشركون وأرسلوا؛ رأوا وفدًا من عبد القيس جاءوا إلى المدينة وواعدهم في حمراء الأسد، وأتي النبي ﷺ إلى ذلك المكان ونهد المسلمين من أحد وهم في جراحاتهم، فلما جاءوا فإذا دخل الركب من عبد القيس فقالوا: إن أبا سفيان يقول: إني آت إليكم، سأجمع إليكم وآتيكم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقذف الله الرعب في قلوب قريش، فهربوا.

لما توكل على الله قذف الله الرعب في قلوبهم.

وكما قال عز وجل: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال:١٧]، عن سلمة بن الأكوع قال: لَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. (٢٦٥)

قال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ من الذي رفع الرمل ورماه؟ النبي ﷺ.

ويوم أحد خرج النبي ﷺ وقد لبس درعين، ظاهر بين درعين؛ اتقاءً للسهام والنبال والسيوف والرماح؛ هل هذا ضد التوكل؟ لا.

الدعاء الذي ندعوا لله به، أليس من التوكل؟ بلى، من التوكل، وهو سببٌ، وهكذا.

فمن ظَنَّ أن بذل الأسباب خلاف التوكل فقد أخطأ.

بخلاف المعتزلة القدرية جعلوا الأسباب هي الموجبة للأقدار، وألغوا التوكل وقالوا: الاعتماد على الأسباب؛ يبذل الإنسان الأسباب، وهؤلاء أشركوا في الأسباب.

وأولئك الجبرية ومنهم الصوفية عطلوا الأسباب.

والحق بين ذلك وذلك؛ ليس إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؛ لأن من جعل الأسباب موجبةً فقد أشرك في الربوبية، وهذا مذهب القدرية المعتزلة نفاة القدر، يقولون: كل شيءٍ المُوجب له السبب.

---

(٢٦٥) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، بَابٌ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ (١٧٧٧).

وقد أخطأوا في ذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء:٦٩] من الذي سلب منها خاصية الإحراق؟ هو الله.

وكم من شيء كاد أن يكون على إنسان، وأنجاه الله منه، سبحانه وتعالى.

المهم أن هذا التوكل لا ينافي بذل الأسباب المشروعة، لا يأتي شخص يذهب إلى السحرة والكهنة ويقول: أنا أبذل الأسباب وأنا متوكل على الله. نقول: هذا ممنوع.

مثل: لو شرب الشرب ليروي من الظمأ، عطشان ويشرب السم، يقول: هذا سبب من الأسباب، نقول: هذا ما هو سبب حقيقي هذا سبب للموت.

فالسبب المشروع هو الذي جعله الله حسًا أو شرعًا.

حسًا: في الحسِّيَّات التي عرفنا أنها سبب.

وشرعًا: في الشرعيات التي دل الشرع على أنها سبب؛ كالرقية للمريض، والدعاء والصلاة، والاستسقاء سبب لنزول المطر، وهكذا.

الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ تكلم كلامًا جميلًا على قضية التوكل على غير الله، يقول [٢٦٦]: **(التوكل على غير الله قسمان:**

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرِّزْق والشفاعة، فهذا شرك أكبر فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى).

توكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

(الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية، كمن يتوكل على أمير أو سلطان، فيما جعله الله بيده من الرِّزْق أو دفع الأذى ونحو ذلك. فهذا نوع شرك خفي) هذا نوع شرك أصغر، أسباب ظاهره وهو متوكل عليه لأنه هو الذي كافيه هذا الشيء، ويأتيه برزقه وهي أسباب ظاهرة حسية معروفة يراها الإنسان، ما دام أن القلب تعلق بغير الله فهذا نوع شرك، فإن كانت أسباب ظاهرة يراها فهذا شرك

---

(٢٦٦) «تيسير العزيز الحميد» (ص: ٤٢٨).

أصغر، وإن كان بغير أسباب؛ توكل على الأموات أن يشفي مريضه ويدفع عنه ويحفظه؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنها ليس لها شيء من السبب الذي يدعوا إلى إضافة الشيء إلى السبب.

ثم قال في نوعٍ ثالث: (**والوكالة الجائزة هي تَوْكِيل الإنسان في فعل مقدور عليه** نيابة عنه).

مثل: شخص يوكل شخص أن يذهب إلى مكان يقضي له الحاجة الفلانية؛ نيابة عنه فيما يستطيع؛ كأن يقول: أوصل هذا الشيء إلى فلان، هذا توكيل. أشتر لي نيابة عني؛ هذه الوكالة المعروفة عند الناس.

هذه يقول إن كانت توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، (**ولكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكله، بل يتوكل على الله ويعتمد عليه في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو بنائبه، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب**). هذا كلام المصنف.

يعني الوكالة الجائزة، والتوكيل الجائز في توكيل إنسانًا، ما يوكل ملكًا غائبًا يوكل جبرائيل؛ هذا غيب ما يمكن، أو يوكل جنيًا كما يفعل بعض الجهلة يستعين بالجن في كذا، هذا توكل على غير الله.

يوكل إنسانًا فيما هو قادر عليه، أن ينجزه، لكن ليس له أن يعتمد في قلبه عليه؛ لأنه فلان ابن فلان، كمثل الآن: قضايا المُحَصِّلين والذين يأتون بوساطات يوكل، أو يطلب منه الشفاعة ويوكله، أو محامين أو غير ذلك؛ إن كان فلانًا لو وساطات وشفاعات وأمور قوية تجد في نفسه نوع اعتماد، تفويض؛ فلان جرب، وفلان لا.

مثله الرقية على المرضى: هذه الرقية مشروعة، الراقي مأذون له في ذلك بالقرآن فيأتي إليه فيقولون: فلان أبدًا، إذا قرأ على المريض شفي، فيحصل؛ هذا جائز من أصله؛ لكن انظر إلى التفويض القلبي، وتقول له يا فلان: اقرأ على نفسك آية الكرسي والمعوذات وكذا، ما يطمئن، فتعلق الآن بالشخص، وهذه هي المشكلة.

يقول الشيخ: بل يتوكل على الله في تيسيره، يعني يوكله حسًا ويفوض الأمر على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه، وذلك من جملة الأسباب الذي يجوز فعلها؛ هذا التوكيل، بل يعتمد على المسبب عز وجل الذي أوجد السبب والمُسبب.

السبب: هو الوسيلة، الشخص الذي توكله.

والمسبب: المحصول الذي تحصله.

في كلام للشيخ عبد الرحمن بن سعدي جميلٌ جدًا أقرأه عليكم لفائدته، يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه [٢٦٧]، يقول: (**التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان. وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه ويتم توحيده، والعبد يضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه.**

حقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله) هذا علم يستقر في نفسك.

قال: (**فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده، في فعل الأسباب النافعة**).

لا يترك الأسباب ، كما قال عمر لما رأي رجلًا في المسجد جالس، ولا يطلب الرزق ولا شيء، قال: قم إن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، فطرده من المسجد ليذهب يطلب السبب.

والنبي ﷺ رأى رجلًا انقطع للعبادة فسأل عنه، فقيل: هذا فلان تعبد، انقطع للعبادة وأخوه يقوم بشأنه، ينفق عليه، قال: أخوه خير منه [٢٦٨].

لأن الأخ متصدق، متوكل على الله، لأن الذي يبذل ويذهب ويعمل، متوكل على الله، لأنه يبذل الأسباب وقلبه ينتظر الرزق من الله، وهذا على من توكل؟ توكل على أخيه، بأنه يأتيه بالطعام، فقال النبي : هو خير منه.

---

(٢٦٧) « القول السديد» ص/ ١١٧.

(٢٦٨) لم أقف عليه، وروي نحوه عن عمر من غير أصل، وحكاه إبراهيم التيمي عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو من الإسرائيليات، وورد من مرسل أبي قلابة، أن رسول الله ﷺ كان يرفق بين القوم ، وأنه كان في رفقة من تلك الرفاق رجل يهتف به أصحابه ، فقالوا : يا رسول الله ، كان إذا نزلنا صلى ، وإذا سرنا قرأ ، قال ﷺ: فمن كان يكفيه علف بعيره ؟ قالوا : نحن ، فقال ﷺ: كلكم خير منه. ولم أقف له على سند.

وورد عكسه، وهو ما خرجه الترمذي (٢٣٤٥) عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ. وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

يقول: (وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة، فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، ليبشر بكفاية الله له ووعده المتوكلين، ومتى عَلَّق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وُكل إليه وخاب أمله).

كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا؛ وُكِلَ إِلَيْهِ**»(٢٦٩).

---

(٢٦٩) أخرجه الترمذي : كتاب الطب ، باب ما جاء في كراهية التعليق (٢٠٧٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٥٦).

بَابٌ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ الآيَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ؛ فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ» (٢٧٠).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ». رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ (٢٧١).

الشرح:

هذا الباب أراد المصنف به التنبيه على أن العبد يجمع بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، لا يتجرد منهما ويقول أنه عبد لله؛ لا، لو أن العبد لا يخاف من الله مطلقًا ويأمن مكر الله، فهذه حال الكافرين وليست حال المؤمنين، لأنهم يخسرون في الدنيا والآخرة، لابد من الخوف من الله، ولو أن العبد يأس وقنط من رحمة الله فهذه ليست حالة المؤمنين بل هي حال الضالين الكفار؛ لأنه: أين رحمة الله؟ نسيها.

ولذلك يكون العبد بين الخوف والرجاء.

ولذلك بعض العلماء يقول: لا يغلب أحدهما على الآخر لأنه لو غلب من عبد الله بالخوف فقط فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب فقط فهو صوفي، والمؤمن من جمع هذه كلها؛ يحب الله ويخاف من الله ويرجوه، يتعبد له محبة وخوفًا ورجاءً، ولذلك وصفهم الله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] لما ذكر الأنبياء، و زكريا وآل بيته.

---

(٢٧٠) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٠٢٣)، والبيهقي في الشعب (٢٨٧).

(٢٧١) أخرجه عبد الرزاق (١٩٧٠١)، وابن أبي الدنيا في «التوبة» (٣١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٨٤).

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٦١].

هذه صفات عباد الله.

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣].

صفات العبادة: الخاشعين المخبتين، خوف ورجاء.

وهنا يقول: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾.

لا يقنط إلا هذا.

ففيها التنبيه على ذلك.

أورد حديث ابن عباس؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ؛ فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ».

ذكر جزءًا منها، وإلا ففي الأحاديث الأخرى وفي الآيات بيان لأنواع الشرك، كالسبع الموبقات ونحوها.

ولذلك قالوا لابن عباس: الكبائر سبع؟ قال: هي إلى السبعمائة أقرب.

كثيرة في القرآن والسنة، ولكن النبي ﷺ ينبه على ما يحتاجه الناس في كل وقت، مرةً يذكر كذا، ومرةً يذكر كذا.

فذكر منها: اليأس من روح الله، من رحمته وعوده على عباده.

والأمن من مكر الله.

هذا ييأس كليًا، وهذا يأمن كليًا، فهذه أكبر الكبائر؛ بل العبد جامع بينهما.

يقول الحسن البصري في كلامٍ جميل: **من وسع الله عليه فلم ير أنه يُمكر به فلا رأي له، ومن قتر عليه ولم ير أنه ينظر له فلا رأي له.**

صدق رَحِمَهُ اللهُ.

العبد وسع الله عليه من المال والخير وظن أن هذا رضًا ونسي؛ هذا لا رأي له، لأن الله يمتحن العبد، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥]، قد يكون مكر؛ قال عز وجل: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ [الأعراف:١٨٣]، أي : أمهل. فهو قد يكون من الكيد، قد يكون من فتنة الدنيا أن تفتح له.

وكذلك من قتر الله عليه، فقير ما عنده، ويظن أن الله لا ينظر له، سينظر في مصالحه، فلا رأي له، نسي أن الله معه، نسي أنه عبد من عباد الله لا يتركه لا يخذله أبدًا.

قال قتادة: **ما أخذ الله قومًا قط إلا عند سلوتهم وغرتهم نعمتهم؛ فلا تغتروا؛ فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون.**

اللهم عفوك؛ نسأل الله العافية والسلامة.

وهذا الباب ذكره المؤلف لأن له تعلق بالتوحيد من حيث أنه إن كان أمنًا كليًا من مكر الله فهذه حالة الكافرين، شرك؛ فإنه لا يأمن كليًا من مكر الله؛ إلا أنه ملحد لا يؤمن بالله أو أنه توكل على غير الله، مثل ما قال قارون لما قال له قومه: ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص:٧٨].

فإذن العبد قد يأتيه هذا مع أنه قال: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [القصص:٧٦] كان في زمن موسى.

الشيء الثاني: إن كان ييأس من رحمة الله كليًا فهذا نعوذ بالله فيه شركٌ.

وإن كان فيه من هذا وهذا، فيه يأس من جانب وأمن من جانب، فهذا فيه خلل في التوحيد، خلل في الإيمان، فعنده نقص في كمال التوحيد الواجب.



المجلس السادس

بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾.

قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ» (٢٧٢).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ» (٢٧٣).

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» (٢٧٤).

وَعَنْ أَنَسٍ ﵁؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢٧٥).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٧٦).

---

(٢٧٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢١)، والبيهقي في « الكبرى» (٤/ ٦٦)، وفي «شعب الإيمان» (٩٩٧٦).

(٢٧٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة (٦٧).

(٢٧٤) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز ، باب ليس منا من ضرب الخدود (١٢٩٧)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب تحريم ضرب الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية (١٠٣).

(٢٧٥) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد ، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٦)، وابن ماجه : كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء (٤٠٣١)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢١١٠).

(٢٧٦) أخرجه الترمذي : كتاب الزهد ، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٦)، وابن ماجه : كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء (٤٠٣١)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢١١٠).

الشرح:

هذا الباب ترجم عليه المصنف قال: **بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ**، وعلاقته بكتاب التوحيد أن العبد إذا لم يصبر سيوصله ذلك إلى الجزع والتسخط وعدم الرضا عن ربه، وذلك يخالف التسليم لأمر الله القدري، وذلك خلل في الإيمان؛ قد يصل إلى خلل أكبر يخرج العبد من الإيمان، وقد يكون دون ذلك: كبيرة من الكبائر يضعف الإيمان؛ وهذا علاقته بكتاب التوحيد.

ومن جهة أنه قد يصل الجزع بالعبد وعدم الصبر على أقدار الله أن يجزع ويلجأ إلى غير الله، كما يصنع من يلجأ إلى السحرة والكهنة يتقرب إلى الشياطين ليدفع عنه القدر، فما الذي يحمل الذين يتقربون إلى الشياطين إلى ذلك؟ خوفًا من آذاهم، ودفع العين عنهم.

ما الذي يحمل من يحمل التولة والأوتار إلا لصد العين في زعمهم.

وما الذي يحملهم على الذهاب إلى السحرة والكهنة لإخراج الجن إذا كان فيه مس أو نحو ذلك.

وبعضهم يذهب إلى القبور ويتقرب إليهم ويطوف بهم لأجل شفاء المريض.

كل ذلك لأنه لم يصبر على أقدار الله؛ فلجأ إلى المحرمات وإلى ما يضاد التوحيد من الشرك الأكبر أو ما ينقصه من الشرك الأصغر ؛ ولذلك كأن المصنف رحمه الله لما تقدم بالأبواب السابقة التي فيها التوكل على الله أردفها بهذا الباب الذي فيه الصبر على أقدار الله؛ لأن الإنسان إن لم يكن متوكلًا على الله، ولم يكن صابرًا على أقدار الله سيقع في الشرك الأكبر أو الأصغر، إما ما يضاد التوحيد من أصله: الشرك الأكبر، أو ما يضاد كماله الواجب: من الشرك الأصغر والكبائر، فأدخل هذا الباب لأجل أن يفقهه المؤمن وأن يعلمه، قال: **بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ**.

يقول العلماء: **الصبر ثلاثة أقسام**:

١ - **صبر على طاعة الله**.

٢ - **صبر عن معاصي الله**: إذا حرمت عليه الأشياء المحرمة عليه يصبر عنها لله، مثل الصبر في الصيام يسمى الصبر، وشهر الصيام يسمى شهر الصبر؛ لأنه صبر على طاعة الله من حيث الامتثال، وصبر عن معصية الله من حيث أنه لا يفعل المحرم بالفطر أو المنهيات.

٣ - **صبر على أقدار الله المؤلمة**؛ كل قدرٍ مؤلمٍ يُقَدِّره الله على العبد يؤلمه فيجب عليه الصبر؛ وضده الجزع.

على كلٍّ المصنف ترجم بهذا الباب لأن أقدار الله وما يقدره الله على العبد يصبر عليها.

وأورد الأدلة على أن الصبر من الإيمان.

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾.

هذه الآية يقول عز وجل: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١]، كلمة مصيبة هنا نكرة في سياق قوله : ما أصاب، في سياق النفي أو في سياق إذا كانت (ما) هنا إما نافية وإما موصولة، يعني الذي أصاب من مصيبة فبإذن الله، فكل ذلك يفيد العموم؛ أي مصيبة؛ جلت أو حقرت، عظمت أو صغرت، حتى ما يناله الإنسان من ألم الشوكة أو من ألم الجوع، أو عظمت: كمصيبة الموت والفقد ونحوها، أو غير ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٦].

قال العلماء: أصابتهم مصيبة، أي مصيبة كبرت أم صغرت، يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فينال ذلك الأجر: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٧]، ﴿ صَلَوَٰتٌ ﴾: ثناء من الله، ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾: ينزل الله عليهم الرحمة، ويرحمهم ويعينهم، ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾: ثبت الله قلوبهم بالهداية لما استسلموا لله، وقالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: نحن مملكون لله، نحن مماليك لله يفعل فينا ما يشاء، ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: لن نفر منه حتى في الدنيا مرجعنا إليه، فإذا استحضر العبد هذه الأشياء، وأنه عبد لله يتصرف الله فيه كيف يشاء، بعدله عز وجل؛ لا يظلم ربك أحدًا، علم أن الله لا يظلم، وأننا مماليك لله، عند ذلك يسلم العبد.

هذه الآية: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ، إلا بقدر الله، كل مصيبة جلت أو صغرت، إلا بإذن الله الإذن القدري.

لأن الإذن: إما إذن قدري، وإما إذن شرعي.

الإذن الشرعي:

ما أمر الله به، أو أباحه، هذا مأذون به شرعًا.

والإذن القدري:

ما قدره الله.

قال عز وجل: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدْر:٤] في ليلة القدر، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي بأمر ربهم؛ الأذن القدري أو إذنه الشرعي، لأنها كانت تنزل على النبي ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدْر:١]، فكانت فيه الأوامر، وتنزل بالقرآن.

وتكلمنا في درس سابق القدر العمري والقدر الحولي، وهذه المقادير.

نعيدها: **المقادير**:

القدر الأزلي أو القديم:

الذي قدره الله لما خلق السماوات والأرض، «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ» قبل خلق السماوات والأرض «فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[٢٧٧].

قال عز وجل: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢] أي: في كتاب مبين.

قال عز وجل: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر:٥٢]، في كتب مكتوبة.

فكل شيء من أفعال الناس أو من المقادير أو الأشياء التي يخلقها الله مكتوبة في اللوح المحفوظ.

هذا هو التقدير الأول.

التقدير الحولي أو العمري أو اليومي:

لأنها مقادير.

الحولي:

ما يكون كل سنة، ينزل يستنسخ من اللوح المحفوظ في بيت العزة، ما يكون في هذه السنة.

قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدْر:١]، هذه سورة القدر، فيها ذكر القدر الحولي، في السنة، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ

---

(٢٧٧) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء (٢١٥٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٨).

أَمۡرٍ﴾ تنزل من كل تقدير حولي يستنسخ من اللوح المحفوظ، وما يكون في بيت العزة في السماء الدنيا، ثم ينزل على كل بالقدر اليومي.

قال عز وجل: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن:٢٩] يستنسخ كل يوم من بيت العزة، ينسخ مقادير كل يوم، والله علم بذلك قبل خلق الخلق وقدره، هذه الثلاثة المقادير، الأقلام.

القدر الرابع: القدر العمري:

متعلق بالإنسان.

قال النبي ﷺ في خلق الإنسان: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ» أربعين وأربعين وأربعين مائة وعشرين.

«ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ تُكْتَبُ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»(٢٧٨) يستنسخ.

قال ﷺ: «وَكَّلَ اللهُ تَعَالَى بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ. فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ: أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»(٢٧٩) يقول: رب رزقه؟ فيقول رزقه كذا. يقول: رب رزقه؟ يقول كذا. يقول: رب عمله؟ يقول: عمله كذا، يقول: رب شقي من الكفار أو سعيد من المؤمنين؟ فيقول: كذا، فيكتب، قال النبي ﷺ: «رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(٢٨٠).

هذه المقادير الأربعة؛ الأقلام.

---

(٢٧٨) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢٠٨)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٣).

(٢٧٩) أخرجه البخاري: كتاب القدر، باب في القدر (٦٥٩٥)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٢٦٤٦).

(٢٨٠) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، وصححه الألباني في كتاب «التوسل» (٣٥).

فمنها القدر: قال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [التغابن:١١] أي بقدر الله ، ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١] ، من يؤمن بالله أنه هو الخالق المقدر الذي قدر ذلك يهد قلبه بالإيمان والطمأنينة؛ لأنه مؤمن بالله وبقدر الله.

قال ابن عباس: يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطأه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما في حديث ابن عباس في المسند والسنن أن النبي ﷺ قال له: «يَا غُلَامُ إِنِّي مُعْلِمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وإذا سألت فسأل اللهَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ» مهما بذلوا من الأسباب إن لم يقدره الله لن تنفع هذه الأسباب، «وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفَ»(٢٨١) يعني أقلام المقادير كتبت، والصحف التي كتبت فيها المقادير جفت وانتهى.

ثم قال: «وَأَنَّ النَّصرَ مَعَ الصَّبرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» (٢٨٢).

هذه الأشياء إذا عرفها العبد؛ أن كل شيء بقضاء وقدر وأن الأمر بيد الله، سيقول: ماذا أفعل؟ «وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» يعني: إذا جاءك عسر فاعلم أن الله جعل معه يسرًا، أو يسرين، كما في قوله عز وجل: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح:٦].

قال ابن عباس: لن يغلب عسر يسرين؛ لأن قوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ، ثم قال: العسر﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ هذا مُعَرَّف، هو العسر الأول، ثم قال: يسرًا، نكرة، هذا يسر جديد غير اليسر الأول، فكل عسر معه يسران؛ هذا فرج من الله.

« وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ» إذا وُجد الكرب معه الفرج، لن يأتيك كرب مجردًا؛ هذا وعد الله.

---

(٢٨١) أخرجه الترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الشيخ الألباني : كتاب «التوسل» (٣٥).

(٢٨٢) أخرجه أحمد (٢٦٦٦)، وصحيح ابن ماجه للألباني (٢٢٦).

فإذا كان العبد يعلم أن كل شيء بقدر، وأن الكرب معه فرج، وأن الصبر معه نصر، الصبر على أقدار الله معه نصر، وأن العسر مع يسر بل يسران، عند ذلك يكون منشرح الصدر مطمئن البال، يصبر وينتظر الفرج من الله، وهذا وعد الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ.

قَالَ عَلْقَمَةُ: علقمة: من تلاميذ ابن مسعود، فقهاء الكوفة.

«هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ».

لأنها ليست من عند غيره، وإن كانت على أيدي الناس، من ظلم أو غيره، فيصبر لأنها من عند الله.

الناس الآن إذا كان السبب خفي مثل مرض أو كذا، تجده يقول: اصبر، أما إذا رأى موجود: أن شخصًا ظلمه أو اعتدى عليه ما يصبر على القدر من جهة القدر؛ نعم دافع عن نفسك؛ احمها، هذه حقوقك التي أمرك الله بها، الدفاع عن النفس أو حمايتها مأذون به شرعًا، بل مطلوب شرعًا.

قال عز وجل: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة:١٩٤].

قال عز وجل: ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾ [البقرة:١٩٠]: أي ولا تزيدوا.

المهم: الصبر، فتجد الإنسان إذا اعتدى عليه أحد ما يصبر، يجزع ويتسخط، ويصبح لأنه يرى المتسبب أمامه، نسي المُقَدِّر والمسبب عز وجل، فلا تجده يتوب ويستغفر ويندم، ويعالج نفسه من أنه سلط عليه بذنوبه، لا يعالج هذه الأشياء، بل ينظر إلى التظلم وينسى أن ما أصابك لم يكن ليخطأك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وينسى أن ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى:٣٠].

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ [النساء:٧٩]؛ بذنوبك، هذه ينساها الإنسان.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».

هنا أراد المصنف الدليل هو: النياحة على الميت، الميت إذا مات هل يمكن أن يسترجع، إذا ناح عليه أهل الأرض كلهم يمكن يحيا؟ لا، والناس يعرفون ذلك ومع ذلك ينوحون.

ما قال البكاء، فالبكاء والحزن مشروع.

إذا تعدى الحدود: ناح أو شق، أو دعا بالويل والثبور ونحو ذلك هذا هو الممنوع الذي لا ينفع؛ حتى نقول بذله الإنسان لأجل أن ينتفع به، ولا يسلي، بل يزيد الحزن.

الذي قد يخفف المصيبة من البكاء ودمع العين أذن به شرعًا، لأنه يخفف ويدل على قيمة الميت؛ يعني لو أن الناس منعوا من البكاء ومن أن يتأثروا على ميتهم، هذا يصبح جيفة كأنه بهيمة ماتت، لكن الله أذن لنا أن نبكي ليظهر أنه له قيمة، كرامة المؤمن؛ لكن بحدود وهو ألا يصل إلى حد أن يسخط على قدر الله، ويجزع منه، من النياحة وشق الجيوب؛ فهذا أورده للدليل على أنه من أمر الجاهلية، قال: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ» سماه كفرًا، لكن العلماء يقولون: هو كفر أصغر، من قبيل الذنوب والمعاصي الكبائر، وليس أنه شرك بالله.

قال: وَلَهُمَا أي في الصحيحين.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

ضرب الخدود جزعًا، وهذا كانت تفعله النساء من العرب، تضرب الخدود بكاءً، تلطم، وهذا يسمونه اللطم، هذا يقول النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا» وهذه الصيغة تدل على أنه كبيرة وتبرأ منه النبي ﷺ، فليست من الإسلام، بل هي من أخلاق الجاهلية.

«وَشَقَّ الْجُيُوبَ» تشق المرأة جيبها، وقد يفعله بعض الرجال؛ لأجل وقوع المصيبة، ماذا الذي ينفع هذا؟ يدفع المصيبة؟ المصيبة نزلت والذي قدرها أنزلها.

«وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»

عصبيات أهل الجاهلية، يا آل فلان ، عصبية قبلية أو عصبية مذهبية، أو عصبية وطنية، أو عصبية إقليمية، أو غير ذلك، يتعصب بعضهم لبعض، وينصر بعضهم بعضًا على الظلم والخطأ .

قال النبي ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ مِنْ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»[(٢٨٣)] .

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، دعاهم باسم الأنصار لينصروه؛ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، دعاهم باسم

---

(٢٨٣) أخرجه البخاري : كتاب المظالم والغضب ، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا (٢٤٤٣).

المهاجرين لينصروه؛ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» (٢٨٤) .

هل مسمى المهاجرين والأنصار جاهلية؟

هذا مسمى إسلامي شريف، مدح الله أهله، لكن لما حوله هذان الرجلان إلى دعوى عصبية سماه النبي ﷺ جاهلية، فانتبهوا أيها الأخوة، مهما كان الاسم شريفًا إذا دعي للعصبية تحول إلى جاهلية، وفي هذا الحديث عبرة.

يقول شيخ الإسلام (٢٨٥): («اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» فقوله: «هما بهم كفر» أي: هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس، فنفس الخصلتين كُفْرٌ حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس لكن ليس كل مَنْ قام به شعبةٌ من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا حتى يقوم به أصل الإيمان، وفَرْقٌ بين الكفر المعرف باللام كما في قوله ﷺ: «ليس بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أوِ الشِّرْكِ إلا تَرْكُ الصَّلَاةِ» (٢٨٦) وبين كفر منكر في الإثبات).

يعني هنا قوله ﷺ: «ثنتان في الناس هما بهم كفر»، كلمة كفر نكرة جاءت في سياق الإثبات تفيد الإطلاق يعني: كفر مجرد عن كونه الكفر الأكبر؛ فهي كفر مطلق وليس مطلق الكفر لأن مطلق الكفر هو كفر الشرك الأعظم، أما لو جاءت سياق النفي فتفيد العموم.

هذا معنى كلام شيخ الإسلام.

كما لو اتصف رجل من الكفار بصفة من شعب الإيمان؛ أما فيهم رجل صادق اللهجة، أمين، يستحي؟ هذه من شعب الإيمان، لكنه فاقد لأصل الإيمان، فلا تدخله في الإيمان.

---

(٢٨٤) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ [ص:١٥٤] أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ، إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ} (٤٩٠٥)، ومسلم : كتاب البر والصلة، بَابُ نَصْرِ الْأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا (٢٥٨٤).

(٢٨٥) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٣٧).

(٢٨٦) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨٢).

كما أن المؤمن قد يكون فيه بعض صفات النفاق من الكذب ونحو ذلك، أو بعض صفات الكفار، لكن معه أصل الإيمان ثابت، فلا يخرج من الملة بذلك، لكنه على فعل من أفعال الكفار موعود بالعقوبة أو يعفو الله عنه.

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

هذا الحديث رواه الترمذي، وصححه الحاكم وابن حبان وهو كذلك.

وهذا يدل على أن العبد يستحضر ما جعل على ما يسوؤه من القدر من الأجر، يقول: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا**» إذا أذنب تعجل له العقوبة لأجل أن لا يحاسب بها في الآخرة، فلأي شيء تفزعون أنتم؟ تفزعون للاستغفار والتوبة؛ حتى تخفف عنكم الذنوب بدون أن تعجل العقوبة، فافزعوا إلى التوبة والاستغفار وطلب العفو.

ولذلك قال النبي ﷺ: «**سَلُوا اللهَ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاةِ**»(٢٨٧).

فهذا الحديث يدل على أن العبد إذا نزلت به مصيبة أنها:

أولًا: يعلم أنها نزلت بذنب فليتب منه.

ثانيًا: أنها خير له، يقول النبي ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّمَا أَمْرُهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ**»(٢٨٨).

وأخبر النبي ﷺ أنه «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»(٢٨٩).

---

(٢٨٧) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، بَاب فِي فَضْلِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَمَا ذُكِرَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ (٣٥٥٨)، وابن ماجه: كتاب الدعوات، بَابُ الدُّعَاءِ بِالْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ (٣٨٤٩) من حديث أبي بكر الصديق، وصححه الألباني في الإرواء (٩١٧).

(٢٨٨) أخرجه مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩)، من حديث صهيب الرومي .

(٢٨٩) أخرجه البخاري: كتاب المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم : كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (٢٥٧٣)، من حديث أبي هريرة ومن حديث أبي سعيد.

قد يتعب الإنسان أحيانًا في مصالحة الشخصية يكفر الله عنه، حتى الشوكة يشاكها؛ إلا كفر الله عنه من خطاياه.

فهذا دال على فضل ما يصاب به الإنسان من حيث الأجر فلا يجزع، هذا الذي أراده المصنف.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وهذا أيضًا من حديث أنس.

«إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ».

السَّخَط أو السُّخْط، كلاهما صحيح.

وهذا يدل على أن العبد إذا أصيب ببلاء عظيم، فليعلم أن الجزاء والأجر من الله عظيم، ولا يذهب يجزع ويتسخط فيذهب أجره، فتكون عقوبة له؛ نسأل الله العافية والسلامة.

ومع ذلك ينبغي للعبد أن يسأل الله العافية، لا يسأل الله البلاء، فإنه لا يدري هل يصبر أم يجزع؟

قال النبي ﷺ: «لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا»[٢٩٠].

الإنسان لا يتمنى لقاء العدو مع أنه جهاد في سبيل الله؛ لكن لا يتمناه لأنه بلاء: هل يفر؟ هل يخلص؟ هل يثبت؟ أم بعكس ذلك؟

لكن إذا ابتليتم بهم فاثبتوا.

(٢٩٠) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَابٌ: لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ (٣٠٢٦)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، بَابُ كَرَاهَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ (١٧٤١) من حديث أبي هريرة.

بَابٌ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآيَةَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ؛ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢٩٢).

الشرح:

هذا **بَابٌ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ**، الظاهر -والله أعلم- أن المصنف أراد يسير الرياء؛ لأن الرياء نوعان:

الرياء الأكبر: هو أن يؤمن في الظاهر يرائي الناس ويبطن الكفر، هذا رياء المنافقين.

قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

مع أنه قال عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

هذا الرياء الأكبر: الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر، في الظاهر: مؤمنون، وفي الباطن: كافرون.

لكن هذا ليس مراد المصنف.

مراده: يسير الرياء الذي يقع فيه المسلم من حيث أنه قد يفعل العلم، كما مر معنا أحاديث وهذا الحديث الذي هنا.

أورد المصنف:

قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآيَةَ.

---

(٢٩١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (٢٩٨٥).

(٢٩٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الريا والسمعة (٤٢٠٤)، وأحمد (١١٢٥٢)، من حديث أبي سعيد الخدري، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٣٣٣).

فمن كان يرجوا لقاء ربه: المؤمن، فليعمل عملا صالحًا: هو الموافق للسنة، العمل الصالح هو ما أمر الله به، والذي نهي الله عنه ليس بصالح، ما لم يشرعه ليس بصالح، لو كان صالحًا لأمر به وشرعه، إذن الموافق للسنة، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، هذا هو التوحيد والإخلاص، الإخلاص في العمل، ضد الرياء.

ثم أورد ما يفسر ذلك قال: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا، أي عن النبي ﷺ.

«قَالَ اللهُ تَعَالَى» هذا ما يسمى الحديث القدسي، الحديث الإلهي.

«أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

وهذا لا يحصل غالبًا أن يعمل العمل لله ولغيره إلا في ما هو من نوع الرياء؛ غالبًا، وإلا قد يقع في الأكبر أن يذبح لله ولغيره، أن يذبح لله وللصنم، وهذا شرك أكبر.

لكن المقصود هنا: أن الغالب أن الإنسان يعمل العمل أصلًا لله ويشرك فيه غيره؛ فسره الحديث الذي بعده:

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا من قول النبي ﷺ.

«أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟»

أي من فتنة المسيح الدجال؛ أن يفتن الإنسان؛ أخوف منه؛ لأن هذا دائمًا فتنة مع الإنسان؛ فتنة الرياء.

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ؛ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ».

لمن صلى هو أصلًا؟

لله، خرج للمسجد لله، ولو صلى منفردًا في خلاء وبرية صلى لله؛ لكنه إذا نظر إليه الرجل زين صلاته؛ هنا أدخل في العبادة شيئًا خطيرًا.

هنا كلام جميل للحافظ ابن رجب حول قضية الرياء في «جامع العلوم والحكم» [٢٩٣]، يقول -رحمة الله عليه-: (وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَمَلَ لِغَيْرِ اللهِ أَقْسَامٌ: فَتَارَةً) هذا الأول: (يَكُونُ رِيَاءً مَحْضًا، بِحَيْثُ لَا

(٢٩٣) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٧٩).

يُرَادُ بِهِ سِوَى مُرَاءَاتِ الْمَخْلُوقِينَ لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ، كَحَالِ الْمُنَافِقِينَ فِي صَلَاتِهِمْ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:١٤٢].

هذا القسم الأول: الرياء المحض.

قال: (وَهَذَا الرِّيَاءُ الْمَحْضُ لَا يَكَادُ يَصْدُرُ مِنْ مُؤْمِنٍ فِي فَرْضِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ)

أن يصلي أصلًا رياءً؛ لا يريد أن يصلي لكن يصلي لأجل الناس، هذا ما يمكن يكون مؤمن، ما يفعله إلا المنافق الكافر.

قال: (وَقَدْ يَصْدُرُ فِي الصَّدَقَةِ الْوَاجِبَةِ أَوِ الْحَجِّ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، أَوِ الَّتِي يَتَعَدَّى نَفْعُهَا)

قد هذه الإنسان يصدر منه مثل هذا الشيء، يتصدق وينسى النية، يرى الناس يتصدقون فيحرج ويدفع، هذا يحصل لماذا؟ لأن هناك داع وظرف دعاه لهذا الشيء.

الحج: قد يحج لأن الناس يلومون عليه، أنه ما حج، وأخر الحج، فيكون الباعث له ليست الرغبة في الحج، هذا يصدر، لذلك قال: (**وقد يصدر**) ليس أنه حلال هذا الفعل، لكن المقصود أن الإنسان الذي هو مؤمن ليس من المنافقين المشركين قد يقع في هذا من هذه الجهة من هذه الحيثية، لكن الصلاة والصيام ؛ أن يصوم رمضان لغير الله؛ المؤمن ما يمكن، يصوم المنافق رياءً.

الأعمال التي يتعدى نفعها، يقدم خدمات للناس، هذه قد يصدر من المسلم المؤمن أشياءً من هذا رياءً، قد يقع منه، أن يعمل العمل كله أصلًا لأجل يمدح، هذا قد، لأن الباعث الاجتماعي يفرض بعض هذه الأشياء.

قال: (فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ فِيهَا عَزِيزٌ، وَهَذَا الْعَمَلُ) يعني: أن يكون الرياء محضًا، لم يفعله لله أصلًا، يقول: **(وَهَذَا الْعَمَلُ لَا يَشُكُّ مُسْلِمٌ أَنَّهُ حَابِطٌ وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَ مِنَ اللهِ وَالْعُقُوبَةَ)**.

إذا وقع في هذا الشيء الذي هو رياءً محض، وليس فيه لله شيء.

قال الثاني: **(وَتَارَةً يَكُونُ الْعَمَلُ لِلَّهِ، وَيُشَارِكُهُ الرِّيَاءُ)** هو أصلًا العلم لله ويشاركه الرياء، يدخل عليه الرياء؛ بدأ الآن في التفصيل، قال: **(فَإِنْ شَارَكَهُ مِنْ أَصْلِهِ)** كبر للصلاة والرياء داخل معه، هو أصلًا يصلي لله، لكن من أصل إنشاء تكبيرة الصلاة وهو دخل معه مراءاة الناس، قال: **(فَالنُّصُوصُ**

الصَّحِيحَةُ تَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِهِ وَحُبُوطِهِ أَيْضًا) ثم ذكر بعض الأحاديث، منها: **(عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ صَامَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئًا، فَإِنَّ جُدَّةَ عَمَلِهِ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ لِشَرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِهِ أَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ»** (٢٩٤))

وهذا فيه تفصيل: قد يكون شركًا أكبرًا، وقد يكون شركًا أصغرًا؛ حسب تفصيل الرياء.

ثم قال رحمه الله: **(وَأَمَّا إِنْ كَانَ أَصْلُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، ثُمَّ طَرَأَتْ عَلَيْهِ نِيَّةُ الرِّيَاءِ)** دخلت فيما بعد **(فَإِنْ كَانَ خَاطِرًا وَدَفَعَهُ، فَلَا يَضُرُّهُ بِغَيْرِ خِلَافٍ)** خطر عليه الرياء ثم دفعه، اتقى الله ودفعه، فلا يضره بغير خلاف، اتفق الفقهاء على أن هذا لا يضر؛ لأنه جاهد نفسه، عرض له الشيطان وجاهد نفسه، الشيطان معه والنفس أمارة بالسوء والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، هنا المجاهدة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

أحسن وجاهد، فهذا معفو عنه، والمجاهدة أجر له.

قال: **(وَإِنِ اسْتَرْسَلَ مَعَهُ، فَهَلْ يُحْبَطُ بِهِ عَمَلُهُ أَمْ لَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ وَيُجَازَى عَلَى أَصْلِ نِيَّتِهِ؟)** إن كان صلى لله من أصل الصلاة، ثم دخل عليه الرياء فاسترسل معه، بدأ يرائي، وكمل المرآة، يقول أنا صليت لله لكن زين هذا لأجل فلان يمدحه، فلان إذا شاف صلاته زين؛ حسنه، يعينونه على هذا المسجد ولا شيء، هذا تحول؛ الصلاة لله من أصلها لكن تحولت فيها الرياء، يقول: هل يحبط أما لا؟ فيجازى على أصل نيته وهو أنه لله، قال: **(فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ قَدْ حَكَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، وَرَجَّحَا أَنَّ عَمَلَهُ لَا يَبْطُلُ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ يُجَازَى بِنِيَّتِهِ الْأُولَى)**.

هنا الآن نظروا إلى بطلان العمل بغض النظر عن: هل هو محسن أو مسيء؟ هو مسيئ، والعمل هذا إساءة؛ الرياء، لكن هل يبطل عمله ويقول الله: هو للذي أشرك وليس له منه شيء، يقولون: العمل من أصله لا يبطل، لكن ما دخل عليه من باطلٍ هذا هو الملغي، الرياء هو الملغي، ويتوب إلى الله من ذلك.

هذا بالنسبة إلى تفصيل قضية الرياء.

---

(٢٩٤) أخرجه أحمد (١٧١٤٠) وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٩).

ثم أردفه المصنف بباب مشابه لهذا الباب، وهو: **بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا**، أراد بعمله الدنيا ولم يقصد الرياء ، هذا هو الفرق بينهما، هو يشبهه.

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِه الدُّنْيَا

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ الآيَتَيْنِ.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ» (٢٩٥).

الشرح:

هذا الباب، يقول صاحب الشرح صاحب «تيسير العزيز الحميد» (٢٩٦): **(قد ظن بعض الناس أن هذا الباب داخل في الرياء، وأن هذا مجرد تكرير فأخطأ، بل المراد بهذا أن يعمل الإنسان عملاً صالحًا يريد به الدنيا كالذي يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك)**

الأول عمل لأجل أن يراه الناس ويمدحوه، لأن الرياء مأخوذ من الرؤية، قال النبي ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» (٢٩٧) فضحه، نسأل الله العافية والسلامة.

أما هذا: إنما يعمل العمل ويريد به الدنيا دون الآخرة، قد يريد الدنيا من الله، يعمل العمل لله ويريد الدنيا ولا يريد الآخرة، وهذا أنواع سنذكرها من كلام المصنف نفسه رحمه الله.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ الآيَتَيْنِ.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود:١٦] أحبط أعمالهم، وليس لهم في الآخرة إلا النار، والذي ليس لهم في الآخرة إلا النار فهؤلاء الكفار؛ لكن من كان يريد الحياة

---

(٢٩٥) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٢٨٨٧).

(٢٩٦) «تيسير العزيز الحميد» (ص: ٤٦١).

(٢٩٧) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة (٦٤٩٩)، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (٢٩٨٧)، من حديث جندب.

الدنيا بعمله كله، أو يريد الحياة الدنيا ببعض العمل؛ فهي محتملة للوجهين، فإن كان يريد بإسلامه وبصلاته وبأعماله الدنيا فقط فهذا كافر، وإن كان مؤمنًا في جزء؛ لأنه آمن في جزء وكفر في جزء، طلب من الله الدنيا فقط، فهو كالكافر بالآخرة، ومن أراد بجزء من عمله الدنيا، مؤمن وكذا لكنه عمل أشياء من أجل الدنيا، فهذا تعس عبد الدينار، فهذا شيء جزئي.

ولذلك المصنف أورد آية: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾ ، هذا الكافر.

وأورد حديثا للذي فيه جزءٌ من عمله، مؤمن ويعمل أشياء لأجل الدرهم.

فإذن الباب محتمل لهذين الأمرين، وكل ذلك محرم؛

أما الأول: فهو كفر وشرك؛ لأنه محبط للعمل، الذي يحبط عمله كله هو الكافر.

أما المؤمن فلا يحبط عمله قد ينقص أجره، قد يعاقب، أما الذي يحبط عمله كله فهو الكفر.

المصنف سئل عن هذه الآية فأجاب بجواب قد لا تجده في غيره من الكلام، جمع أقوال السلف كلهم، قال رحمه الله [(٢٩٨)]: (**وقد سئل شيخ الإسلام المصنف عن معنى هذه الآية فأجاب بما ملخصه: ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم، ولا يعرفون معناه.**

فمن ذلك:

العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله، من صدقةٍ وصلاةٍ وإحسان إلى الناس، وترك ظلمٍ، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان، أو يتركه خالصًا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحِفظ ماله وتَنْمِيته، أو حفظه أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ولا هِمَّة له في طلب الجنة، والهَرَب من النار، فهذا يُعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس).

هذا الصنف في الآية معنى من معاني الآية ذكره ابن عباس، والمعنى هذا والمعاني التي سيذكرها المصنف عن السلف، هي استنباطات من معاني يسميها العلماء اختلاف تنوع في التفسير، وهو إلى الاستنباط أقرب، أن يؤخذ من معنى الآية شيء ينطبق على شيء فيذكره.

---

(٢٩٨) «تيسير العزيز الحميد» (ص: ٤٦٣).

المعنى الأول مما يدخل فيها: تفسير ابن عباس أنه يعمل العمل لله، ولا يريد ثوابه إلا في الدنيا، ولا يريد الآخرة، ليس له في الأخرة همة، فهذا ليس له في الأخرة نصيب، فإن استحكم على جميع أعماله، فتكون جميع أعماله كذلك، فليس له في الأخرة إلا النار، وهؤلاء الكفار، وإن كان بعض الأعمال دون بعض، فهذا على حديث تعس عبد الدينار، يعني بعض العمل يستحق عليه العقوبة.

ثم قال: **(النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذَكَر مجاهدٌ في الآية أنها نزلت فيه: وهو أن يعمل أعمالاً صالحةً، ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة)**.

يعمل الأعمال الصالحة لأجل الرياء وليس لأجل الأخرة، فهذا فيه شرك، الأول يعمل العمل لله ويريد الدنيا فقط، ليس فيه شرك، ولم يشرك مع الله غيره، لكنه ليس له في الأخرة إلا النار، لأن هذه همة الكفار.

والثاني: معه شرك الرياء، ولذلك قال المصنف: أكبر من الأول وأخوف.

(النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالًا مثل أن يحج لمالٍ يأخذه، لا لله، أو يهاجر لدنيا يُصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذُكر أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية. وكما يتعلم الرجل لأجل مَدْرَسَةِ أهله) أهله علماء ولهم مدارس تنسب إليهم، فإذا تعلم صار في مكان أبيه، فهذا منه، لا يتعلم لأجل الله وإنما لأجل المناصب، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرًا؛ هذا جزء من العمل، وليس الأول، ويشبه كلام ابن عباس، لكن كلام ابن عباس فيمن ليس له في الأخرة والجنة همة، إنما همته الدنيا فقط في جميع أعماله، أما هذا، فلا، بعض الأعمال كالحج أو إمامة المسجد أو تعلم القرآن لأجل وظيفة ويصير له شأن، فهذا نوع من تحصيل حظ الدنيا بعمل الأخرة.

(النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يُكَفِّره كفرًا يُخرجه عن الإسلام)

يصلي ويصوم ويحج ويذبح لغير الله، هذا يحصل كثيرًا في الناس الذين فتنوا بعبادة القبور ودعائهم، تجده يصلي ويصوم ويقوم الليل ويقرأ القرآن، ومع ذلك تجده يذبح لغير الله، ويذبح للجن، ويظن أنه مؤمن، فهذا ليس له في الأخرة من نصيب، مثل ما ذكر الله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية:٤]، قال عمر بن الخطاب في راهبٍ من رهبان النصارى هؤلاء هم، منقطع عن الدنيا لله، لكنه على الكفر والشرك.

يقول الشيخ: (**مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفرٌ أو شركٌ أكبرُ يُخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعةً خالصةً، يُريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمالٍ تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم.**

فهذا النوع أيضًا قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره.

وكان السلف يخافون منها)

يعني هذه الآية، فلا يأتي الإنسان ويجعلها فقط على الكفار وينسى نفسه، انتبه هذه الآية تجد السلف فسروها في:

١ . أناس أخلصوا لله لكن عندهم ما يجعلها، وهو إرادة الدنيا، إما أرادة تامة، فليس له في الأخرة من همة.

٢ . وإما إرادة جزئية لبعض الأعمال.

٣. وإما مخلص لله لكنه يقع في أعمال شركية.

٤ . إما الرياء.

هذه خلاصة الأربعة الأقوال التي دارت عليها فتاوى السلف في تفسير هذه الآية، نسأل الله أن يحمينا والمسلمين من هذه الأعمال الباطلة.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ».

هذا دعاء من التعاسة، دعاء عليه بالهلاك، تعس أي هلك.

وسماه عبدًا لأن قلبه تعلق به.

لأن العبودية يقولون: تعبيد الطرق، طريق معبدة، لأنها ذللت للناس، لماذا سمي العبد الرقيق عبدًا؛ لأنه مذلل لسيده، فهو معلق قلبه بالدرهم و الدينار فصار كالعبد له.

«تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ».

الخميصة ثوب من خز: من حرير، يعني فيه حرير وغيره، يسمى الخز، أو نوع من الثياب المخططة المعلمة لها أشكال.

يكون متعلق في تجمل الملابس ونحوه.

«تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ».

الخميلة: القطيفة، كل شيء له خمل، في الفرش هذا له خمل، المخمل الذي له خمل.

يعني فراش المترفين.

«إِنْ أُعْطِي رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ».

أي: انقلب.

«وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ».

فلا انْتَقَش، أو فلا انْتُقِش، أي: إذا أصابته شوكة ما استطاع أن ينقشها بالمنقاش، من الضعف. أو فلا انتُقش: أي لم يكن معه من يعينه.

تعس، دعا عليه النبي ﷺ.

«طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّة قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ».

ليس له جاه عند المسؤولين، إن شفع لم يُشفع ليس له قيمة يشفع للناس ويتوسط، يدل على أنه عامل لله، مجاهد في سبيل الله فقط، لا لأجل الجاه والمناصب.

أراد النبي ﷺ في هذا الحديث أنه قد يكون إقبال الإنسان على الدنيا يوصله إلى هذا الحد من العبودية لها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [(٢٩٩)]: **(وَهَذِه الْأُمُور نَوْعَانِ:**

مِنْهَا مَا يحْتَاج العَبْد إِلَيْهِ كَمَا يحْتَاج إِلَيْهِ من طَعَامه وَشَرَابه ومسكنه ومنكحه وَنَحْو ذَلِك فَهَذَا يَطْلُبهُ من الله، ويرغب إِلَيْهِ فِيهِ فَيكون المَال عِنْده يَسْتَعْمِلهُ فِي حَاجته بِمَنْزِلَة حِمَاره الَّذِي يَرْكَبه، وبِسَاطه

---

(٢٩٩) «العبودية» (ص: ٩٢).

الَّذِي يجلس عَلَيْهِ، بل بِمَنْزِلَة الكنيف الَّذِي يقْضى فِيهِ حَاجته من غير أَن يستعبده فَيكون ﴿هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [١٩-٢١ المعارج]).

العبد مع المال كما يقولون: في يده ليس في قلبه، لا بأس، أطلبه، ممن تسأله؟ من الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧] اسأل الله.

وإذا كان المال معه يستخدمه، أنت الآن تستخدم سيارتك وتركبها، فأنت تركبها وتشعر بأنها وسيلة لك، يقول: اجعل المال في نفسك هكذا.

أما أن تكون للمال عبدًا، فهذا هو الذي يصل بالإنسان أن يمنع الزكاة، لأنه هلوع، ويخشى الفقر، جعل فقره بين عينيه، يجمع ولا ينفق ولا يعطي، فهذا من عبوديته للمال؛ لأنه غير متوكل على الله، لو كان متوكل على الله: فالذي أتاك هذا المال سيؤتيك في بدله، قال النبي ﷺ لبلال: «أَنْفِقْ بِلَالُ وَلَا تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا»[٣٠٠].

وقال لأسماء: «لَا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْك»[٣٠١].

وعن عَائِشَة قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ، مَا فَعَلَتِ الذَّهَبُ؟» فَجَاءَتْ مَا بَيْنَ الْخَمْسَةِ إِلَى السَّبْعَةِ، أَوِ الثَّمَانِيَةِ، أَوِ تِسْعَةِ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: «مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ لَقِيَهُ، وَهَذِهِ عِنْدَهُ أَنْفِقِيهَا يَا عَائِشَةُ»[٣٠٢].

يعني في سبيل الله، ما المقصود التبذير، المقصود الحقوق سواءً للفقراء أو لأهل البيت، ينفق الإنسان، ولا يخش من الله الإقلال، فإنه سيعطيك.

---

(٣٠٠) أخرجه البزار (٩٨٩٣)، وأبو يعلى (٦٠٤٠) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٦١).

(٣٠١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالشَّفَاعَةِ فِيهَا (١٤٣٣) من حديث أسماء.

(٣٠٢) أخرجه أحمد (٢٤٢٢٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٥٣).

قال عز وجل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥] هو القابض الباسط عز وجل، وإذا أقرضت الله أعادها لك أضعافًا كثيرة، الربا محرم إلا مع الله، الربا هو الزيادة، محرم بين الناس لكن مع الله فيضاعفه لك أضعافًا كثيرة، والربا مع الله هو الصدقة، تتصدق فيضاعفها الله له مضاعفة.

يعني الذي يحتاج إليه من ماله ومكسبه وحاجة الطعام هي التي يحرص عليها، ولكن يجعلها كاللباس الذي يلبسه، وكالفراش الذي يجلس عليه، ولا يجعله في قلبه؛ لأن الله أخرجها متاعًا له أصلًا، الله أخرج هذه الدنيا وما فيها متاعًا لك.

قال: (وَمِنْهَا مَا لَا يحْتَاج العَبْد إِلَيْهِ فَهَذَا [لَا] يَنْبَغِي لَهُ أَن يعلق قلبه بِهِ؛ فَإِذا عَلَّق قلبه بِهِ صَار مُستعبَدًا لَهُ) إذا زاد، أما أن يكون له ميل إلى كثرة المال بالحلال فلا بأس، أما إذا تعلق صار عبدًا لها، سيقصر في الحقوق، وسيضيع حق الله بحرصه عليها، **(وَرُبمَا صَار مُعْتَمَدًا على غير الله)** وربما صار مستعبدًا متعمدًا على غير الله فيها، تجده يتوكل على غير الله في تحصيلها والمحافظة عليها، **(فَلَا يبْقى مَعَه حَقِيقَة الْعِبَادَة لله وَلَا حَقِيقَة التَّوَكُّل عَلَيْهِ)** يعني وصل إلى درجات خطيرة، **(بل فِيهِ شُعْبَة من الْعِبَادَة لغير الله)** صرف شعبة من العبادة لغير الله **(وَشعْبَة من التَّوَكُّل على غير الله)** وصرف شيء من التوكل على غير الله **(وَهَذَا من أَحَق النَّاس بقوله ﷺ: «تعس عبد الدِّرْهَم تعس عبد الدِّينَار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة» وَهَذَا هُوَ عبد هَذِه الْأُمُور فَإِنَّهُ لَو طلبَهَا من الله فَإِن الله إِذا أعطَاهُ إِيَّاه رَضِي وَإِن مَنعه إِيَّاه سخط)** تجده سخطه ورضاه متعلق على حصول الدنيا: إذا أعطي من الدنيا مطمئن البال، وإذا لم يعط من الدنيا ساخط البال كسيف لا يرضى، **(وَإِنَّمَا عبد الله من يُرْضِيه مَا يُرْضِي الله ويُسخطه مَا يُسْخط الله، وَيُحب مَا أَحَبَّه الله وَرَسُوله وَيُبغض مَا أَبغضه الله وَرَسُوله ويُوالي أَوْلِيَاء الله ويُعادي أَعدَاء الله تَعَالَى وَهَذَا هُوَ الَّذِي اسْتكْمل الْإِيمَان)** هذا كلام الشيخ رحمة الله عليه.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ!»(٣٠٣).

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ؛ يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْفِتْنَةُ الشِّرْكُ؛ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ»(٣٠٤).

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيَة، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ(٣٠٥).

---

(٣٠٣) لم أجده بهذا اللفظ، ولعل المؤلف تبع شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في نقلهم بهذا اللفظ كما في «مجموع الفتاوى» (٢٦/ ٥٠)، وكما في زاد المعاد (٢/ ١٧٦). لكن رواه أحمد (٣١٢١) بلفظ آخر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «تَمَتَّعَ النَّبِيُّ ﷺ» فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا يَقُولُ عُرَيَّةُ؟ قَالَ: يَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. ورواه أحمد (٢٢٧٧) عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَالَ عُرْوَةُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: حَتَّى مَتَى تُضِلُّ النَّاسَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: مَا ذَاكَ يَا عُرَيَّةُ؟ قَالَ: تَأْمُرُنَا بِالْعُمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، وَقَدْ نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «قَدْ فَعَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ» فَقَالَ عُرْوَةُ: «هُمَا كَانَا أَتْبَعَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَعْلَمَ بِهِ مِنْكَ».

(٣٠٤) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ١٠٤) قال: حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجا، قال: حدثنا أبو نصر عصمة بن أبي عصمة بن الحكم، قال: حدثنا أبو العباس الفضل بن زياد، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعا، ثم جعل يتلو: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)، وذكره شيخ الإسلام في «الصارم المسلول» (١/ ٥٩).

(٣٠٥) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، ومن سورة التوبة (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٣).

الشرح:

هذا الباب له علاقة بكتاب التوحيد أنه من الطاعة ما يكون شركًا، ولذلك المصنف رحمه الله في الرسالة المفيدة لما ذكر أنواع الشرك قال:

أنواع الشرك الأكبر أربعة أنواع، منها:

شرك الطاعة: وهو الطاعة التي فسرها هنا في هذا الباب؛ لأن طاعة غير الله نوعان: شركية، ومحرمة، وإلا فهناك طاعة مباحة، كطاعة الزوجة لزوجها، طاعة الابن لأبيه؛ الطاعة فيما هو مباح.

المقصود هنا الطاعة المحرمة، قال: **بَابٌ مَنْ أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ، أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ؛ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ؛** هذا تفسير هذه الطاعة؛ لأنه ما هي الطاعة الشركية؟

هو أن يطيعهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال إذا علم ذلك؛ أما الجاهل فلا، لأن الجاهل الله يقول: ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣]، وفرض الجاهل مع العالم التقليد: ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، فسأل عن شيء، قالوا: هذا حلال، فهنا الواجب عليه أن يفعله على أنه حلال، ما الواجب عليه إذا قال : هذا حرام؟ أن يتركه على أنه حرام.

يجب عليه طاعته.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩]، العلماء في العلم والشرع، وفي تدبير أمور الدولة الأمراء.

لذل هنا قال: **بَابٌ مَنْ أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ، أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ.**

أما إذا أطاعهم في معصية الله، ولم يحل ما حرم الله، إنما أمروه بمعصية وهو يدري أنها معصية، وهم لم يقولوا: هذه حلال، إنما أمروه عصيانًا، فَجَرَةٌ، فهذا لم يتخذهم أربابًا، هذا عاص، وهم عصاة، كما فسرها المصنف هنا كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية كما سنذكره.

قال: **فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ.**

يعني قوله: عز وجل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[التوبة:٣١]، فكيف عبدوا الأحبار، فسرها النبي ﷺ في حديث عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، أنه لما جاء وكان نصرانيًا، تعرفون حاتم الطائي المشهور، هذا ابنه عدي، وكان زعيم قومه من طيء، فلما أسلم سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآيَة، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ.

ظن أن هذه العبادة هي أن يسجد لهم ويفعل ذلك الذي هي عبادة معروفة.

قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ»،

وهو معروف؛ تعرفونه، يعرف أنهم أحلوا الحلال.

«وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ».

هذه عبادة التشريع، وهو الذي يسمى عند بعض الناس بالحاكمية، عبادة التشريع، وهي الحقيقة داخلة في الإلهية لأنهم تعبدوا لغير الله بالطاعة فهي داخلة في توحيد الألوهية من هذا الجانب.

ومن الجانب الآخر اتخذوهم أربابًا جعلوهم متصرفين في التشريع، فهي داخلة أيضًا في توحيد الربوبية.

لأن التصرف في التشريع لله عز وجل، فإذا جعلت له أن يشرع فقد جعلته ربًا، ولذلك قال الله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ﴾ [التوبة:٣١]، الأحبار: العلماء والرهبان: العباد.

فهنا هذه الآية هذا هو تفسيرها.

أما قول ابن عباس: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ».

متى تنزل الحجارة من السماء؟

عندما يغضب الله على العباد بغضب عظيم؛ كفر ونحوه.

«أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَر!».

في قضية التمتع في الحج، كان يقول لهم: حج رسول الله ﷺ، وأمر بالتمتع ، ويقولون: أبو بكر يجب الإفراد أو الإقران ولا تمتع، وعمر يقول هكذا، فكان يتعجب من ذلك.

الآن الناس كانوا يناظرونه في ذلك، منهم عروة بن الزبير، وهم لا يرون المقابلة، يرون أن تفسير أبي بكر وعمر، وفهمهما لفعل النبي ﷺ، وقد حجا معه وهم رجال وعلماء وكبار، أولى من فهم ابن

عباس إذ كان يوم الحج قد ناهز الحلم يوم حجة الوداع، ابن أربعة عشر أو دونها، كما في الحديث، قال: جِئْتُ أَنَا وَالفَضْلُ، يَوْمَ عَرَفَةَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَنَحْنُ عَلَى أَتَانٍ فَمَرَرْنَا عَلَى بَعْضِ الصَّفِّ فَنَزَلْنَا عَنْهَا وَتَرَكْنَاهَا تَرْتَفِعُ، فَلَمْ يَقُلْ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا (٣٠٦)، فهو قد ناهز الاحتلام، وهذا الذي جعل الناس لا يقولون بقوله، ولو كان يستدل بفعل النبي ﷺ، ويقولون: أبو بكر وعمر وعثمان الذين حجوا مع رسول الله، وهم أدرى بالنسك؛ كانوا يقولون: يجب الإفراد. فغضب ابن عباس، قابلوا قول النبي ﷺ بقول أبي بكر وعمر فيقول: **يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء.**

وهذا أورده المصنف في بيان عظم معارضة قول الرسول ﷺ بأقوال العلماء؛ إذا كان هذا في قول أبي بكر وعمر؛ خشي ابن عباس على الناس فكيف بقول الفقهاء من بعدهم، وهذا الذي أورده الشيخ وكان موجودًا ولا يزال، من الناس من يقول: إمام المذهب ولا يخرج عنه ولو أتيت بآية من القرآن أو بحديث من السنة، ويقول: أبدًا؛ الإمام أعلم بكتاب الله منك.

طيب: هذه الآية أنت مخاطب بها، أين سمعنا وأطعنا.

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

هذه قضية ترك الكتاب والسنة ومتابعة المذهب، ولذلك يقول الشافعي: **قد اتفق العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ فلا يحل له أن يتبع غيره.**

وكان يقول: **إذا صح الحديث فهو مذهبي.**

ويقول: **إذا رأيتم قولي يخالف قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط**، يعني جانب الحائط وخذوا بقول رسول الله ﷺ.

وهكذا قال الإمام مالك، والإمام أبي حنيفة، والإمام أحمد.

هنا أورد كلام الإمام أحمد: «**عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ؛ يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ**»

---

(٣٠٦) أخرجه البخاري : كتاب العلم ، باب متى يصح سماع الصغير (٧٦)، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب سترة المصلي (٥٠٤).

سفيان الثوري، كان له مذهب يسمى مذهب الثورية، مثل مذهب المالكية ومذهب الشافعية، وكان إمامًا له مذهب مشهور في الكوفة، في الكوفة كانت هناك مدارس، مدرسة أبي حنيفة، ومدرسة الثوري، ومدرسة ابن أبي ليلى، هؤلاء الفقهاء، ولهم أتباع، بقي مذهب أبي حنفية من الكوفيين، ومذهب الثوري وابن أبي ليلى انقرضا.

هذا في زمان الإمام أحمد فيقول: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ» وهم علماء، يعرفون الإسناد وصحته، فالذي يعرف الإسناد وصحته هم علماء الحديث؛ فيقول: تعرفون صحته عن النبي ﷺ وأن هذا الحديث ثابت عن النبي ﷺ، فكيف تتركون حديث النبي ﷺ إلى رأي سفيان، وتقلدون سفيان، والإمام أحمد يعظم سفيان جدًا، حتى يضرب المثل بأحمد في تشبهه بسفيان، لأنه درس على وكيع وعبد الرحمن بن مهدي تلاميذ سفيان، شيوخه تلاميذ سفيان الثوري، يقول:

«وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْفِتْنَةُ الشِّرْكُ».

هذا الشاهد من إيراد هذا الأمر في هذا الباب؛ أن الإنسان لعله إذا رد بعض قوله ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك، لأنه صار معه تشريك في التشريع؛ نص عليه النبي ﷺ وجاء في الآية وتأخذ بقول الثوري أو مالك أو أحمد، ولذلك كان الإمام أحمد شديدًا على من يقلده.

لما سأله أبو داود الإمام المعروف صاحب السنن تلميذ الإمام أحمد، وله مسائل قال: هل أقلد مالكًا؟ هل أقلد الأوزاعي؟ لما كان ينهاهم عن تقليدهم، فقال: لا تقلد. قال: **لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا تقلد الأوزاعي ولا تقلد الثوري وخذ من حيث أخذوا.**

أنت بلغت من العلم أنك حافظ، يحفظ أكثر من خمسمائة ألف حديث، ترجع تقلد، ما ينفع، ولا يحل له؛ لذلك العلماء يقولون: لا يحل للمجتهد أن يقلد مجتهدًا غيره إلا في الضرورة؛ إذا لم يتبين له الصواب، أو لم يتمكن من الاجتهاد والنظر بسبب العجلة؛ حل له التقليد لهذه الضرورة، متى يحل للمجتهد أن يقلد غيره؟

في الضرورة، متى الضرورة تكون؟

أن لا يتمكن من النظر؛ لأنه لم يصل إليه شيء.

أو يضيق عليه الوقت، يريد أن يعمل الآن، وليس عنده راجح فيقول: مذهب الإمام أحمد كذا فيتبعه.

أو يحتاج إليها في فيتا، يضطر أن يفتي من يحتاجه في تلك الحالة وليس له دليل، ففي الحالة هذه يقلد.

فيه ضرورة.

وشبهه ابن القيم رحمه الله بأكل لحم الميتة.

أما من ليس أهلًا للاجتهاد فالواجب في حقه التقليد؛ انتبهوا يا إخوان، لأن الله يقول: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣]، لا يأتي يفرض، يأتيك الذي لا يعلم شيئًا ويجتهد، مثل ما يقول ابن حزم: يجب الاجتهاد ولو على العامي! وهذه طامة، العامي كيف يعرف، وكيف يفهم هذا الدليل حتى يأخذ منه؟ كيف يعلم العام من الخاص، والمقيد من المطلق والناسخ من المنسوخ؟!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير هذه الآية : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١] [٣٠٧]: **(وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا - حَيْثُ أَطَاعُوهُمْ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ يَكُونُونَ عَلَى وَجْهَيْنِ:**

(أَحَدُهُمَا) : أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بَدَّلُوا دِينَ اللهِ فَيَتْبَعُونَهُمْ عَلَى التَّبْدِيلِ فَيَعْتَقِدُونَ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْرِيمَ مَا أَحَلَّ اللهُ اتِّبَاعًا لِرُؤَسَائِهِمْ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ خَالَفُوا دِينَ الرُّسُلِ فَهَذَا كُفْرٌ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ شِرْكًا -وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا يُصَلُّونَ لَهُمْ وَيَسْجُدُونَ لَهُمْ-) مثل ما قال عدي: إنا لم نعبدهم.

(وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ اعْتِقَادُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَتَحْلِيلِ الْحَرَامِ ثَابِتًا) يعرف أن الخمر حرام، فيقول له : اشرب الخمر فيشرب، وهو يدري أنها حرام واعتقاده أنها حرام.

قال: **(لَكِنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُسْلِمُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ الْمَعَاصِي الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَعَاصٍ؛ فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حُكْمُ أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ)** أي ليسوا مشركين ولم يعبدوهم، وإنما عصوا ربهم.

---

(٣٠٧) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٧٠).

ثم يقول: (**ثُمَّ ذَلِكَ الْمُحَرِّمُ لِلْحَلَالِ وَالْمُحَلِّلُ لِلْحَرَامِ إنْ كَانَ مُجْتَهِدًا قَصْدُهُ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ لَكِنْ خَفِيَ عَلَيْهِ الْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَقَدْ اتَّقَى اللهَ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَهَذَا لَا يُؤَاخِذُهُ اللهُ بِخَطَئِهِ بَلْ يُثِيبُهُ عَلَى اجْتِهَادِهِ الَّذِي أَطَاعَ بِهِ رَبَّهُ.**

وَلَكِنْ مَنْ عَلِمَ أَنَّ هَذَا خَطَأٌ فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ عَلَى خَطَئِهِ وَعَدَلَ عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ فَهَذَا لَهُ نَصِيبٌ مِنْ هَذَا الشِّرْكِ الَّذِي ذَمَّهُ اللهُ) وهذه ترجع إلى قضية اتباع العلماء.

المجتهد إذا أخطأ فله أجر واحد، وإذا أصاب له أجران بنص حديث النبي ﷺ في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص، لكن المتبع إذا علم إن أخطأ وخالف الحق ومع ذلك تعصب له وتبعه واعتقد أن هذا حلال وأن شيخه أعلم به من ذلك فيكون له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله.

قال: (**وَأَمَّا إنْ كَانَ الْمُتَّبِعُ لِلْمُجْتَهِدِ عَاجِزًا عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ عَلَى التَّفْصِيلِ**) من هذا؟

العامي، أو المقلد؛ لأن فيه من طلبة العلم من هو أرفع من العامي، ومتفقه ويدرس الفقه، لكنه غير مجتهد، فهذا لا يعرف تفاصيل الأحكام.

يقول: (**وَأَمَّا إنْ كَانَ الْمُتَّبِعُ لِلْمُجْتَهِدِ عَاجِزًا عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ عَلَى التَّفْصِيلِ وَقَدْ فَعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِثْلُهُ مِنْ الِاجْتِهَادِ فِي التَّقْلِيدِ؛ فَهَذَا لَا يُؤَاخَذُ إنْ أَخْطَأَ كَمَا فِي الْقِبْلَةِ.**

وَأَمَّا إنْ قَلَّدَ شَخْصًا دُونَ نَظِيرِهِ بِمُجَرَّدِ هَوَاهُ وَنَصَرَهُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ أَنَّ مَعَهُ الْحَقَّ) عصبية يعني(**فَهَذَا مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ**) عصبية المذاهب.

(**وَإِنْ كَانَ مَتْبُوعُهُ مُصِيبًا؛ لَمْ يَكُنْ عَمَلُهُ صَالِحًا**).

لنفرض أنه تعصب لإمام من الأئمة والإمام مصيب الحق، هو يقول: لم يكن عمله صالحًا؛ لأنه لم يتعصب للحق؛ تعصب للإمام، قال: (**وَإِنْ كَانَ مَتْبُوعُهُ مُخْطِئًا؛ كَانَ آثِمًا**) يعني في طاعته (**كَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ؛ فَإِنْ أَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ وَإِنْ أَخْطَأَ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**) انتهى كلام شيخ الإسلام وهو من أنفس الكلام ذكره في كتاب الإيمان رحمة الله عليه.

فهذا خلاصة الأمر: ذكر الشيخ أربعة حالات، خلاصتها:

يطيعه في تحليل الحرام أو تحليل الحلال معتقدًا هذا التحليل وهذا التحريم؛ فهذا شرك.

الثاني: أن يطيعه في المعصية ويعتقد أن الحرام حرام وأن الحلال حلال، لكنه يطيعهم في المعصية واعتقاده وإيمانه بأحكام الشرع ثابتة، فهذا له نصيبه من العصاة.

الثالث: أن يكون متبعًا للمجتهد من الفقهاء وهو يعرف خطأه واتبعه على ذلك فهذا له نصيبه من ذلك الشرك؛ لأنه يعرف أنه أخطأ واعتقد حل ما يحلل.

الرابع: أن يكون المتبع جاهلًا في الدليل، إما مقلدًا أو عاميًا فهذا إن كان لم يعلم خطأ صاحبه أو قلده لأن هذا وسعه؛ سأل الشيخ فقال افعل هذا، يجب عليه. فهذا ليس عليه شيء لأن الله قال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

أما إن كان متعصبًا لهذا الشيخ أو لهذا المذهب لا يأخذ إلا بعزائمه وإلا برخصه تعصبًا مقيتًا، فهذا له نصيبه من الحمية الجاهلية؛ يخشى عليه.

هذا خلاصة كلام الشيخ.

هنا كلمة جميلة للمصنف في المسائل:

٥- تَغَيُّرُ اَلْأَحْوَالِ إِلَى هَذِهِ اَلْغَايَةِ، حَتَّى صَارَ عِنْدَ اَلْأَكْثَرِ عِبَادَةُ اَلرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، وَتَسْمِيَتُهَا وِلَايَةً، وَعِبَادَةُ اَلْأَحْبَارِ هِيَ اَلْعِلْمُ وَالْفِقْهُ، ثُمَّ تَغَيَّرَتْ الْحَالُ إِلَى أَنَّ عُبِدَ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَعُبِدَ بِالْمَعْنَى اَلثَّانِي مَنْ هُوَ مِنَ اَلْجَاهِلِينَ.

يقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتخذوا أحبارهم، أصبح يقول: من يعبد الأولياء ويطوف بقبورهم ويذبح لهم ويعتقد بهم؛ إلى أن يعبد الرهبان الأولياء، باسم الولاية، ما يقول: رهبان، يقول : ولي، هذا اتخذوهم أربابًا من دون الله.

النوع الثاني: الفقهاء، بالتعصب لهم واعتقاد ما أحلوه فهو الحلال، وما حرموه فهو الحرام، وسموه الفقه، وهو التعصب. هذا مقصود الشيخ.

المجلس السابع

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ الآيَاتِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآيَةَ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[(٣٠٨)].

قَالَ النَّوَوِيُّ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ».

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ، فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ؛ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ؛ فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الآيَةَ[(٣٠٩)].

---

(٣٠٨) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٤)، والنسوي في «الأربعين» (٩)، وأبو الفضل المقرئ في «أحاديث في ذم الكلام وأهله» (٣١٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (١٥).

(٣٠٩) أخرجه الطبري في «التفسير» (٨/ ٥٠٨) رقم (٩٨٩١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص ١٠٧). وسنده صحيح إلى الشعبي لكنه مرسل.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَه.[٣١٠]

الشرح:

هذا الباب هو كالتتمة التذييل للاب الذي قبله، إلا أنه أخص في قضية الحكم بغير ما أنزل الله.

الباب الذي قبله فيمن من أطاع العلماء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، وهذا يكون في الاعتقاد؛ مسألة التحريم والتحليل في الاعتقاد؛ يحرمون فيحرم ويحللون فيحلل مع علمه بحكم الله ورسوله في ذلك.

هذا الباب في الحكم بغير ما أنزل الله، وبغير سنة رسوله ﷺ، فهو تابعٌ للباب الأول إلا أنه أخص في قضية الحكم والتحاكم.

ولذلك قال المصنف: **بَابٌ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾.

من الطواغيت التي ذكره المصنف في آخر رسالة ثلاثة الأصول: من حكم بغير ما أنزل الله.

وكانت عند العرب قديمًا طواغيت: كهان يحتكمون إليها للفصل فيما بينهم فيما يختلفون فيه، وكان عندهم طواغيت حكام يحكمون فيما بينهم يحكمون بالأعراف والعادات، وهو ما يعرف بالسُّلُوم: السلم والعادة، وهذه في عرف الشرع طواغيت؛ لأنها حكم بغير ما أنزل الله؛ يُتْرك الشرعُ ويُؤتى إلى هذه الأحكام.

---

(٣١٠) قصة التحاكم إلى كعب بن الأشرف بدون ذكر عمر أخرجها الطبري في «التفسير» (٨/ ٥٠٨) رقم (٩٨٩٨)، بسنده عن ابن عباس، و (٩٩٠٠) عن الربيع بين أنس، و(٩٩٠١) عن مجاهد. وقصة عمر وضربه بالسيف وقتله عزاه ابن حجر في الفتح للكلبي في تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس وقال في «الفتح» (٥/ ٤٦) : (وهذا الإسناد وأن كان ضعيفا لكن تقوى بطريق مجاهد ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد). لكن ليس في قصة مجاهد ضرب عمر بالسيف وقتله للرجل.

أورد المصنف الآيات التي تدل على أن هذا اتخاذ لهم آلهة معبودة من دون الله؛ لكنها آلهة في التحاكم وفي الحكم، وليس في الصلاة والصوم، مثل حديث عدي بن حاتم الذي مر معنا في الباب السابق؛ **أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآيَة، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»**. [(٣١١)]

هنا كذلك: قال في صفة هؤلاء، وصفهم بأنهم منافقون: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ زَعْمٌ، كَذِب؛ لأن الزعم يطلق على الدعوى الادعاء، ويطلق على الكذب، من ادعى شيئًا ولو صادقًا يقال: زعم. ومن كذب وادعى شيئًا كاذبًا يقال: زعم.

فهؤلاء يزعمون، يدعون أنهم آمنوا بما أنزل إليك؛ هذا القرآن.

قال عز وجل: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [المائدة:٤٩]، هذا الذي ينبغي، لا يُحْكَم بغيره.

قال عز وجل: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧].

فوصفهم بالكفر والظلم والفسق، وهذا كلها أوصاف تطلق على الكافر وعلى العاصي عصيانًا شديدًا عظيمًا، ولذلك قال ابن عباس: **ظلم دون ظلم، وكفر دون كفر، وفسق دون فسق**، لما احتجت الخوارج بهذه الآية في غير مساقها.

احتجوا بها في تكفير علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتحكيم الحكمين: أبي موسى وعمرو بن العاص، لما رفع أهل الشام المصاحف، وقالوا: نريد أن نتحاكم، فقال علي بن أبي طالب للناس: إنها خدعة، والحرب خدعة، إن هؤلاء القوم ما أرادوا التحاكم، ولو أرادو التحاكم لأذعنوا من أول الأمر واستسلموا للخليفة وانتهت القضية؛ فأبت الخوارج قالوا: يطلبون التحاكم نتحاكم، فلما طلبوا

---

(٣١١) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، ومن سورة التوبة (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٣).

التحاكم، قالوا: ارسلوا منكم حكمًا ومنا حكم، فأرسل نائبًا أبا موسى، وهم أرسلوا عمرو بن العاص، فلما تحاكموا واتفقوا على أن كل منهم يخلع من بجهته، ويختار المسلمون لهم رجلًا، قالت الخوارج لعليٍّ: رضيت بحكم الرجال، والله يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، فناظرهم ابن عباس في ذلك، وقال: هذه ليست في هذه، كفر دون كفر، هذه الآية ليست في هذا الباب، إنما هي فيمن لم يحكم بالرشوة؛ أخذ بالرشوة وحكم بغير ما أنزل الله؛ فهو كفر أصغر؛ كفر دون كفر، فقالوا له:

إِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللهِ، وقَالَ اللهُ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧] مَا شَأْنُ الرِّجَالِ وَالْحُكْمِ [بَعْدَ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ]؟.

قالوا: وَأَمَّا الثَّانِيَةُ، فَإِنَّهُ قَاتَلَ، وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ؛ إِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّ سِبَاهُمْ، وَلَئِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ، مَا حَلَّ سِبَاهُمْ وَلَا قِتَالُهُمْ.

قَالُوا: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ.

قال ابن عباس لَهُمْ: أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَرُدُّ قَوْلَكُمْ أَتَرْجِعُونَ ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

قُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكُمْ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللهِ، فَإِنِّي أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِ اللهِ أَنْ قَدْ صَيَّرَ اللهُ حُكْمَهُ إِلَى الرِّجَالِ فِي ثَمَنِ رُبْعِ دِرْهَمٍ [فِي أَرْنَبٍ] [وَنَحْوِهَا مِنَ الصَّيْدِ]، فَأَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَحْكُمُوا فِيهِ ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:٩٥]، وَكَانَ مِنْ حُكْمِ اللهِ أَنَّهُ صَيَّرَهُ إِلَى الرِّجَالِ يَحْكُمُونَ فِيهِ، ، وَلَوْ شَاءَ لَحَكَمَ فِيهِ، فَجَازَ مِنْ حُكْمِ الرِّجَالِ، أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ أَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيِّنِ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ أَفْضَلُ أَوْ فِي أَرْنَبٍ؟

قَالُوا: بَلَى، بَلْ، هَذَا أَفْضَلُ.

وَقَالَ فِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [النساء:٣٥] فَنَشَدْتُكُمْ بِاللهِ، حُكْمُ الرِّجَالِ فِي صَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ [وَأَنْفُسِهِم] أَفْضَلُ مِنْ حُكْمِهِمْ فِي بُضْعِ امْرَأَةٍ؟

قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلْ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ.

قال: [فَجَعَلَ اللهُ حُكْمَ الرِّجَالِ سُنَّةً مَأْمُونَةً] ؛ خَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

فالله أمر بحكم الرجال، وأعاد إليهم التحاكم والنظر.

قُلْتُ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ، أَفَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ، أَمْ تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا وَهِيَ أُمُّكُمْ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْهَا مَا نَسْتَحِلُّ مِنْ غَيْرِهَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ قُلْتُمْ: لَيْسَتْ بِأُمِّنَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ [وَخَرَجْتُمْ مِنَ الإِسْلَامِ إِنَّ اللهَ يَقُولُ:] ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب:٦] فَأَنْتُمْ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ [فَاخْتَارُوا أَيَّتَهُمَا شِئْتُمْ] ، فَأْتُوا مِنْهَا بِمَخْرَجٍ، أَفَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟

فقال لهم: ويحكم ومن منكم يرضى أن تكون عائشة في سبيه وهي أم المؤمنين وزوج النبي ﷺ، يطأوها ويستحلها، لما كان يوم الجمل؛ هذا قتال بين المسلمين ليس فيه سبي.

قَالُوا: نَعَمْ.

[قال]: وَأَمَّا [قَوْلُكم] مَحَا نَفْسِهِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَنَا آتِيكُمْ بِمَا تَرْضَوْنَ إن نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ صَالَحَ الْمُشْرِكِينَ [سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَأَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ][عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا] فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «**اكْتُبْ يَا عَلِيُّ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**».

قَالُوا: [لا نعلم أنك رسول الله، و]لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ [مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ و] مَا قَاتَلْنَاكَ، [وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ].

أبت قريش، وقالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، باسمك واسم أبيك.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**امْحُ يَا عَلِيُّ، اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، [وَاللهُ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ حَقًّا وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي] امْحُ يَا عَلِيُّ، وَاكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**».

فقال النبي ﷺ لعليٍ: امحها، فأبى علي، فأخذها النبي ومحاها بيده، كلمة (رسول الله).

وَاللهِ، لَرَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ، وَقَدْ مَحَا نَفْسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَحْوُهُ نَفْسَهُ ذَلِكَ مَحَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ، وَخَرَجَ سَائِرُهُمْ، فَقُتِلُوا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ، فَقَتَلَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ. (٣١٢)

الشاهد: أنه قال لهم، لما قالوا له هذه الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، قال: «كفر دون كفر»؛ لا تنزلوها.

ولذلك قال عبد الله بن عمر: ذهبوا إلى آيات نزلت في الكافرين فأنزلوها على المؤمنين.

ولذلك مسألة الحكم بغير ما أنزل الله قسمها العلماء إلى أربعة أقسام:

ثلاثة متفق على أنه كفر مخرج من الملة.

قالوا: أن يحكم بغير ما أنزل الله على أنه أفضل من حكم الله ورسوله، من اعتقد أنه أفضل من حكم الله ورسوله كفر، **هذا الأول**.

الثاني: أن يحكم بغير ما أنزل الله على أنه مثله، مثل حكم الله ورسوله، سواء؛ ليس بأفضل، فهذا كفر؛ لأنه ساوى حكم الطواغيت بحكم الله ورسوله.

الثالث: أن يعتقد أن حكم الله ورسوله أفضل إلا أنه يرى جواز الحكم بغير ما أنزل الله، ولا بأس به؛ مباح؛ فهذا كفر لأنه استباحة ما حرم الله.

الرابع، قالوا: أن يعتقد أن حكم الله ورسوله أفضل، وأنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله، إلا أنه يحكم به للهوى، واضح؟

هذا محل الخلاف بين العلماء:

---

(٣١٢)خرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٠/ ١٥٧) (١٨٦٧٨)، وأحمد (٣١٨٧) -المرفوع فقط دون القصة-، والفسوي في «المعرفة» (٢/ ٥٢٢)، والنسائي في «الكبرى» والسياق له (٨٧٢١)، من طريق عكرمة بن عمارٍ، عن أبي زميلٍ سماك بن الوليد الحنفي، عن ابن عباسٍ به. قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥٩) (١٠٤٥٠): رواه الطبراني وأحمد بعضه ورجالهما رجال الصحيح.

منهم من قال: فيه تفصيل.

ومنهم من قال: لا.

منهم من قال: هذا كفر دون كفر.

لذلك علماء الإسلام، أهل السنة أقصد، فيه على ثلاثة مذاهب:

مذهب التفصيل:

من قال بالتفصيل، أهل السنة، منهم من قال: إن كان يتخذه قانونًا ونظامًا عامًا محل ومكان حكم الكتاب والسنة ، مثل القوانين الوضعية؛ فهذا كفر أكبر؛ لأنه أزاح حكم الله وحكم رسوله بدون تفصيل؛ قالوا: لأنه لا يمكن أن يكون يعتقد أنه أفضل وأنه أحسن وأحكم ومع ذلك ينظمه.

وممن قال بهذا على هذا الترتيب، أنه يجعله قانونًا عامًا.

ممن قال به ابن كثير في تفسيره رحمه الله ، والشيخ أحمد شاكر من المتأخرين في حاشيته عليه: عمدة التفسير، وكثير من أئمة الدعوة منهم الشيخ: محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في رسالته تحكيم القوانين، والشيخ ابن عثيمين.

قالوا: هذا لا يمكن أن يجعل هذا النظام وهذا القانون وهو يعتقد أنه أفضل؛ هذه دعوى كذب؛ يزعمون، يستدلون بمثل هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:٦٠] .

القسم الثاني من العلماء من قال:

لا، إنه يدخل في هذا العموم؛ قول ابن عباس: كفر دون كفر؛ لأنه قد يكون مضطرًا لذلك، خائفًا لم يستطع أن يحكم، خاصة بعض الدول ما يستطيع، يزاح، تبطش به دول كبرى؛ قد.

ومثل له شيخ الإسلام ابن تيمية بالنجاشي في قومه، قال: لم يكن قادرًا أن يحكم، مع أنه مسلم، في المجلد الخامس من منهاج السنة النبوية، ذكر هذا.

وممن يقول بهذا القول من المتأخرين: الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، و الشيخ الألباني، وينسبه بعضهم لشيخ الإسلام ابن تيمية على هذه الجملة التي ذكرها في منهاج السنة.

والقول الثالث:

التوقف، وهذا ما صرح به شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال لما ذكر هذه الأقسام الأربعة، قال في الرابع هذا الذي يجعله مكان الشريعة مع أنه يعتقد أن الشريعة أفضل وأنه لا يجوز الحكم بغيرها إلخ ذلك، قال: فذلك الذي يحكم به الله يوم القيامة.

لم يحكم بأنه كافر، ولا أنه ليس بكافر.

طيب: من هو الكفر دون كفر؟

قالوا: الذي يحكم في القضية المعينة؛ الذي يأخذ الرشوة، ليس قانونًا، ولكن كلما تهيأت له رشوة أو هوى أو الحكم لصديقه أو كذا، ترك الحق وحكم بالباطل.

واضح، يا إخوان.

فهذه المسألة فيها هذا الكلام:

منهم من يجعل كلام ابن عباس: كفر دون كفر، عامًا، منهم ابن باز رحمه الله وغيره.

ومنهم من يجعله في التفصيل: يقول كلام ابن عباس في من يحكم ليس في قضية القانون العام؛ يقصد في أفراد القضايا، وممن ذكر هذا الشيخ ابن عثيمين في الجواب المختار عن المسائل المحتارة في رد المحتار.

المهم: هذه خلاصة مذهب علماء أهل السنة في هذه القضية.

فهذه الآيات في هذا الباب.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

بعدما أصلحها الله بالشريعة وبرسوله ﷺ، فمن إفسادها أن يحكم فيها بغير ما أنزل الله؛ لأنه إفساد بالمعاصي، ومن أعظم المعاصي الحكم بغير ما أنزل الله، الحكم بالطواغيت.

وهذا وجه إدخال المصنف لهذا الباب في هذا الكتاب؛ لأن الله سمى هؤلاء الحكام بغير ما أنزل الله من الكهان ونحوهم من حكام العرب قديمًا سماهم طواغيت.

ولذلك المصنف في آخر رسالة ثلاثة الأصول ذكر من رؤوس الطواغيت: قال: الخامس، من لم يحكم بما أنزل الله من الطواغيت، والمراد به من اتخذوها -الظاهر والله أعلم- عادةً، أما القضية المعينة وأفراد القضايا وفي الرشوة؛ يزيح عن الحكم فهذا من قبيل: كفر دون كفر باتفاق السلف.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾.

المنافقون لما يأتون بهذا يظنون أنه إصلاح، ولذلك وصف الله المنافقين لما يصدون عن حكم الله ورسوله قالوا: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء:٦٢]أن نوفق ونحسن في العمل ونوفق ما بين الشريعة وما أنزل على الرسول؛ لأنه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١] ما يريدون ما أنزل الله، وإذا عوتبوا، قالوا: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء:٦٢].

مثل الذي يقول: نوفق ما بين القوانين والشريعة ونحو ذلك؛ هذا من صفات المنافقين نسأل الله السلامة.

وَقَوْلُهُ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ الآيَةَ.

صريح؛ سماه حكمًا، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠]، الموقنون لا يرون حكمًا أحسن من حكم الله.

ثم ذكر الأدلة على ذلك، منها حديث:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».

قَالَ النَّوَوِيُّ يعني في الأربعين النووية.

«حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ».

الحجة لأبي الفتح بن نصر المقدسي، مطبوع المختصر، وهو من الكتب العظيمة في عقيدة السلف، من علماء الشافعية.

وكذلك صححه الحافظ أبو نعيم في كتاب الأربعين له، التي اشترط أن تكون أسانيدها صحيحة.

وأعله بعض العلماء منهم ابن رجب في شرح الأربعين.

ومعناه صحيح، دلت النصوص على معناه؛ لأنه لا يمكن لشخص أن يكون هواه مخالف للشريعة وهو مؤمن؛ لا يمكن ذلك.

لكن ما معنى قوله: لا يؤمن؟

الإيمان الكامل، كمال الواجب؛ لأن الإيمان ذكرنا هذا فيما مضى لكن نعيده:

نفي الإيمان في النصوص إما نفي للإيمان من أصله، وهذا إذا وقع الإنسان في الكفر، ينفي عنه الإيمان من أصله.

وإما أن ينفى عنه كمال الإيمان الواجب، يعني: الذي يجب عليه أن يتمه؛ أن يأتي بفرائض الإيمان.

وهذا مثل قوله ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[٣١٣].

فهذا المنفي الإيمان كمال الواجب.

ومنها نفي الإيمان المستحب، الكمال المستحب.

وهذا مثل قوله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٣١٤].

لأنه يصبح من سلامة صدره أن كل خير يحبه لنفسه يحبه للمؤمنين، هذه المنزلة تكون عند الذين كمل إيمانهم الكمال المستحب.

فهنا قوله: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».

يقول ابن رجب: أي لا يكون الإنسان مؤمنًا كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر الله به ويكره ما نهى عنه.

هذا هو المقصود.

الطالب: ما يدخل في القسم الرابع، اللي هو اتباع الهوى.

الشيخ: كيف اتباع الهوى؟

---

(٣١٣) أخرجه البخاري: كتاب الحدود، باب إثم الزناة (٦٨١٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (٥٧)، من حديث أبي هريرة.

(٣١٤) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٤٥)، من حديث أنس.

الطالب: أنه خروج عن الحكم وأنه لا يجوز الخروج عن الحكم؟

الشيخ: لا، معنى الكلام في الحديث بعموم؛ لكن إذا خصصناه في أشياء، مثلًا لو قلنا: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»، إذا كان هواه يحب عبادة الأصنام؛ هل نقول: لا يؤمن الإيمان الكمال الواجب؟

نقول: ليس بمؤمن أصلًا؛ إذا نظرنا في مثل هذه الجزئيات.

مثلًا: إذا نظرنا في جزئية أن يحب أن يتسوك دائمًا لكنه لم يحصل له ذلك، يتألم منه؛ فلا يحب أن يتسوك دائمًا، فهل نقول: لم يؤمن كمال الإيمان الواجب.

نقول: لا، كمال الإيمان المستحب لأنه لم يحب هذه السنة دائمًا، يعني: يصبح راغبًا بها.

ونفي المحبة لا يعني الكراهة؛ لابد أن تفهوا هذا.

لكن التفسير الذي ذكرناه قبل قليل هو في مجمل معنى الحديث، ومنه: هذا الباب؛ إن كان يكره حكم ما أنزل الله فهذا كاره لما أنزل الله كله، هذا ليس بمؤمن أصلًا، لكن لما صارت عليه قضية من القضايا وحكم عليه بها وكره هذا الحكم؛ لأنه ضده، ليس لأنه مُنزل؛ ولكن لأنه وجه الحكم عليه، وهو حكم حق، فكره لم يرده وغضب، فلا نقول ذلك.

ولكن نقول: الواجب أن يرضى، فهو لم يؤمن كمال الإيمان الواجب من هذا القبيل.

ثم ذكر قصة حديث نزول الآية:

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ، فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ؛ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ؛ فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الآيَةَ.

نزلت في المنافق الذي كره أن يذهب إلى الرسول وأراد التحاكم إلى اليهود، ثم ذهب إلى التحاكم إلى الكاهن؛ لأنه ذهب إلى حكام رتبوا أنفسهم للقضاء بين الناس؛ فهذا كفر.

لكن قضية الرشوة؛ لأجل الرشوة، هذه ليست بكفر أكبر باتفاق السلف؛ هذا من الكفر الأصغر.

أما أن يذهب إلى الطواغيت هذه؛ الكهنة، ويتحاكم عندهم وهو يعلم أنهم لا يحكمون أصلًا بما أنزل، فهذا رضًا بهم، فهذا كفر أكبر.

وفي الرجلين الذين تحاكموا فلم يرضى بحكم النبي ﷺ وترافعا إلى عمر، فضربه بالسيف، هذه القصة ضعيفة الإسناد، وإن كانت مشهورة، وهي دالة على أن عمر رضي الله عنه نظر إلى أن هذا الرجل كفر؛ استحل دمه بكفره بعدم رضاه بالترافع إلى النبي ﷺ؛ لأن الله يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

هذه في سياق الآيات هذه، في سياق نفس الآيات التي نزلت في نفس الرجل؛ لأنه لم يسلم، فهو لم يؤمن.

بَابُ مَنْ جحدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الآيَةَ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ؛ قَالَ عَلِيٌّ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟!»(٣١٥).

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ؛ اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: «مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ»(٣١٦).

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾(٣١٧).

الشرح:

هذا الباب كما ترون: **بَابُ مَنْ جحدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ.**

قلنا لكم: إن كتاب التوحيد مشتمل على جميع أنواع التوحيد: توحيد الربوبية، توحيد الأسماء والصفات، توحيد الإلهية.

وهذا الباب في توحيد الأسماء والصفات، وأن من جحدها فهو ملحد، تعلقه بهذا الباب أنه ملحد؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]، سماهم ملحدين، يميلون عنها.

وهنا قال: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ سماه كفرًا، وهذا وجه إيراده في كتاب التوحيد، لأن من جحد الأسماء والصفات كفر بالله.

---

(٣١٥) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم (١٢٧).

(٣١٦) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٤٢٣) رقم (٢٠٨٩٥).

(٣١٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٥).

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [الإسراء:١١٠].

وقال عز وجل: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠] فأنكروا، ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ﴾ ، أنكروا الرحمن، فبعض العرب من قريش تنكر ذلك، وكثير من العرب يقر باسم الرحمن.

يقول ابن كثير: (**الظاهر أنهم إنما جحدوا ذلك تعنتًا**) .

لكن يظهر أنه ليس بتعنت، وإنما لجهلهم باسم الرحمن والرحيم، بدليل أن سهيل بن عمرو العامري القرشي، في صلح الحديبية، وقال النبي ﷺ: «اكْتُبْ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ»، فقال: لا نعرف إلا رحمن اليمامة إلا مسيلمة الكذاب؛ كان يتسمى برحمان اليمامة، واسمه مسليمة؛ فقال: اكتب باسمك اللهم [(٣١٨)]. فهو لم يعرف اسم الرحمن .

ولذلك لما تسمى مسيلمة بهذا الاسم الذي اختصه الله بنفسه، ألبسه الله لباس الكذب، فصار لا يعرف إلا بمسيلمة الكذاب، وإلا هو كان رجلًا من أشراف العرب في جاهليتهم ، وكان زعيمًا من زعماء قومه، ولذلك اتبعوه، ولما ادعى النبوة قالوا: كذاب ربيعة أحب ألينا من صادق مضر ، وهم يعرفون أن النبي ﷺ صادق، لكنهم اتبعوه عصبية؛ لكن هل يعرف بغير اسم مسيلمة الكذاب؟

لا يعرف.

أبو جهل، كانت العرب تعرفه بأبي الحكم عمرو بن هشام المخزومي؛ لماذا يسمونه أبا الحكم؟

لأنه كان قاضيًا من قضاة العرب؛ يحكم بالطاغوت، ويحكم بالجاهلية؛ يتحاكمون إليه، ويعرفونه أبا الحكم، وكان إذا حكم فصل، فماذا يُعرف؟

أبو جهل، ذهب هذا الاسم؛ يلبسه الله بضده، لأنهم يجهرمون ويتسمون بما لا يستحقوه.

ولذلك في الحديث الذي سيأتينا، أَنَّهُ دخل رجل كَانَ يُكنى أَبَا الْحَكَمِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ**»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اِخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِي كِلَا

---

(٣١٨) أخرجه البخاري : كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (٢٧٣٤).

الْفَرِيقَيْنِ فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟»، قُلْتُ: شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» (٣١٩).

الشاهد أنه قال: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ، والذين يكفرون بأسماء الله، أصناف، وهم المعطلة في الحقيقة؛ لأنهم ينفون:

١ . منهم من ينفي الاسم.

٢ . ومنهم من ينفي حقيقة الاسم.

٣ . ومنهم من ينفي دلالة الاسم.

المعطلة النفاة، المخلية، يخلونهم من الأسماء؛ لأن التعطيل هو النفي والإخلاء، قال:

وجيد كجيد الرئم ليس بعاطل من الحلي

يعني ليس معطلة.

وامرؤ القيس يقول:

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل

يعني ليس بخال من الحلي، وإذا نصته رفعته ليس بفاحش، لان الريم عنقها جيد جميل، لكنها إذا نَصَّته أطول من بقية؛ جميل لكن ليس بفاحش الطول.

المقصود: أن التعطيل هو النفي والتخلية.

فالمعطلة منهم من يعطل الله من الأسماء:

هذا الجهم بن صفوان وأتباعه، ينفون الأسماء، يقولون: إضافة الأسماء إلى الله إضافة مجازية لا حقيقة، وليس له صفات، ولا تقول إن الله الرحمن، إنما على وجه المجاز، ليست حقيقة.

النوع الثاني من المعطلة: المعتزلة:

---

(٣١٩) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح (٤٩٥٥)، والنسائي: كتاب أداب القضاة، باب إذا حكموا رجلًا فقضى بينهم (٥٣٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي».

عطلوا الصفات وقالوا: إسماء محضة لا معاني لها تدل عليها من الصفات؛ ليس لها صفات؛ إنما هي أسماء محضة أعلام، فاسم الرحيم والعزيز والعليم هي بمعنى واحد فقط، وليس لها دلالات على الصفات، وينكرون الصفات.

والصنف الثالث: من أثبت بعض الصفات ونفى الأكثر:

وهم الأشاعرة ومن نحى نحوهم من الكلابية والماتريدية ونحو ذلك ؛ عطلوا أكثر الصفات ونفوها، وأثبتوا الأسماء وبعض الصفات.

المهم أن جحد الصفات الثابتة في القرآن والسنة هذا من الإلحاد.

ومن الإلحاد أيضًا: إلحاد المشبهة:

الذين قالوا صفات الله كصفات خلقه، قالوا: لا نعرف سمعًا ويدًا وبصرًا إلخ من صفات الله عز وجل إلا هذه المشاهدة.

فهم يشبهون الله بخلقه، يقولون: يد كيدي، وعين كعين، ونحو ذلك.

وهذا إلحاد وكفر؛ لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

ويقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤].

وقال: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] ليس له مثيل ونظير.

المهم أن: من جحد منها شيئًا فهو كافر بعد علمه؛ كما قال الشافعي: بعد علمه ومعرفته، وقبل التعليم والمعرفة لا يكفر؛ لأنه قد لا يبلغه العلم.

قال: وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ؛ قَالَ عَلِيٌّ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟!».

وهذا مثل ما روى مسلم عن ابن مسعود قال: «**مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً**» [٣٢٠].

(٣٢٠) أخرجه مسلم في المقدمة (١/ ١٠).

ولذلك كان الإمام مالك يكره تحديث العامة بأحاديث الصفات التي لا تبلغها عقولهم، ولهذا السلف يقولون: أمروها كما جاءت بلا كيف، لا تكيف، لا يجوز التكييف.

والإمام مالك دخل عليه رجل وهو في مجلسه، فسأله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] سأل عن الكيفية ، فأطرق حتى علاه الرحضاء العرق؛ لأنه سؤال شديد. فقال: الاستواء غير مجهول، وفي رواية: الاستواء معلوم، تعرفه العرب بلغتهم. والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب ولا أراك إلا مبتدعًا فأمر به فأخرج من المسجد.

وهذا مشهور عن الإمام مالك روي عنه بالأسانيد الصحيحة عن جماعة من أصحابه [(٣٢١)].

وروي هذا بأسانيد صحيحة عن شيخه ربيعة بن عبد الرحمن أنه سئل عن هذا فقال: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا الإيمان.

وروي بإسناد جيد عن أم سلمة رضي الله عنها.

وأما المرفوع إلى النبي ﷺ فإسناده ضعيف.

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛

هذا إسناد صحيح.

عن ابن عباس: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ؛ اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ.

صفات الله عز وجل.

فَقَالَ: «مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟

الفرق الخوف.

يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ».

المحكم : الآيات والأحاديث الواضحة، فالمحكم يطلق على الواضح وغير الناسخ والمقيد.

---

(٣٢١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٠٤)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٦٥)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١١٦)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص١١٩)، والذهبي في «العلو» (١٨١)، بلفظ: الكيفُ غير معقولٍ، والاستِواءُ غير مَجْهول، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بِدْعةٌ.

وأراد هنا: الواضح.

وعند المتشابه الذي يشتبه عليهم يهلكون، يقشعر فكأنه يستنكر ذلك؛ فقال: لماذا يخافون؟ آمنوا به.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

كله من عند الله، ليس بباطل، يفسر بعضه بعضًا، فنؤمن به كما أراد الله، كما قال الإمام أحمد: **آمنت بالله وما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.**

وقالها الإمام الشافعي رحمه الله.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد:٣٠].

لما سمعوا ذكره أنكروه عند كتابة بسم الله الرحمن الرحيم؛ ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد:٣٠].

الرحمن هو ربي آمنت به عز وجل.

بَابٌ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الآيَةَ

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي» (٣٢٢).

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا» (٣٢٣).

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا».

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ (٣٢٤) - بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ؛ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...» الْحَدِيثَ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ-: «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ».

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ».

الشرح:

هذا الباب يصلح أن يسمى: باب كفر النعمة؛ كفر النعمة سماه الله كفرًا، فهو داخل في الكفر الأصغر.

وكفر النعمة نوعان:

منه ما يصل إلى الكفر الأكبر، وهو أن يجحدها جحودًا تامة، كما قالوا: هذه بشفاعة آلهتنا، قال: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل:٨٣].

قال ابن قتيبة: **هذا بشفاعة آلهتنا.**

وهذا هو الشرك الأكبر.

لكن من لم يقل ذلك ولم يقصد ذلك، فيدخل في الشرك الأصغر بنسبة النعم إلى غير الله، والله يقول: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى:١١].

---

(٣٢٢) رواه ابن جرير في تفسيره عند الآية الكريمة من طريق ابن أبي نجيح وابن جريج.

(٣٢٣) رواه ابن جرير في تفسيره عند الآية الكريمة وسنده ضعيف.

(٣٢٤) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٣).

يعني انسبها إليه؛ لأن النعمة تقابل بالشكر.

قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].

كفرتم النعمة؛ سماه كفرًا.

وقال عز وجل: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم:٣٤] يجحدها.

وشكر النعمة يكون بالقلب واللسان والعمل.

أما بالقلب: فنسبتها في قلبه واعتقاده إلى الله عز وجل؛ إنها من الله، شعوره: فضل من الله.

وأما باللسان: فنسبتها إلى الله بحمد الله، هذا من الله، من فضل الله، آتاني الله، لولا الله وحده لكان كذا؛ ينسب النعم دائمًا إلى الله.

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى:١١] ، هذا هو المعنى، وليس فحدث بطرًا بها وكبرًا على الناس، ولذلك النبي ﷺ لما قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**» (٣٢٥)، ليس كبرًا ولا بطرًا وإنما إخبارًا بنعمة الله.

الثالث: شكرها بالعمل: مقابلة النعمة بالطاعة، وصرفها في الطاعة، وهذا كثير جدًا، وواسع، كل نعمة تقابلها بطاعة؛ بالشكر، ولذلك شرع سجود الشكر عند جديد النعمة، والصدقة، وغير ذلك من شكران النعم.

بضد ذلك: كفران النعم:

إما بقلبه يعتقد أنها من غير الله، أو يتوكل على الأسباب ويعتقد أنها هي الأسباب وينسى الله، فالغفلة هذه من جحدان النعم.

وإما بلسانه: ينسبها لغير الله، إما لقوته أو لجهده أو لحذقه.

---

(٣٢٥) أخرجه البخاري : كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٥)، ومسلم : كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ (٢٢٧٩).

أو يقول مثل ما قال مجاهد: قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي» ينسى الله.

يقول: ما معناه؛ لأن المصنف ذكره بالمعنى، واللفظ المروي عن مالك عند ابن جرير وغيره قال: هي المساكن والأنعام وسرابيل الثياب يعني ما يلبسه الإنسان، والحديد الذي يلبسه الإنسان يتقي به في الحرب، قال: يعرفه كفار قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا ورثناه عنهم.

أيضًا: هذا من كفر النعمة؛ ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣]؛ يجحدونها.

ولذلك الإنسان وصف بأنه لربه لكنود؛ جَحُود.

ثم يقول: وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا».

لولا فلان ما كان كذا، لولا فلان ما حَصَّلتُ كذا.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ – هو ابن تيمية في شرح حديث زيد بن خالد الذي مر معنا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...» يقول: «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ».

كثير من يضيف النعم إلى غير الله، وهذا شرك في الألفاظ.

قال المصنف: قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ».

يعني نجونا في البحر بجهد الملاح، غفلوا عن رحمة الله، من الذي أجرى الريح؟ هو الله.

من الذي علم الملاح الحذق وقوَّاه، وتلك الساعة لم يصبه بشيء؟

هو الله.

ماذا لو أغمي عن هذا الملاح تلك الساعة، أو جاءه شيء فأصبحوا بلا ملاح، أو لُبِّس عليه، فيقوم غيره فلا يعرف الشرق من الغرب فيتيه بهم في البحر؟

ومع ذلك ينسون يقولون: الملاح.

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت:٦٥] لما وجدوا أن الملاح لا خير فيه، والريح تهب من كله جهة، و الريح متلاطم؛ ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

لماذا ركبوا مع هذا الملاح إذا كان ما فيه خير؛ هم يعرفون أنه ملاح حاذق في البحر؛ يعرف الطريق، والبحر ليس فيه طريق، وهناك ملاحون مهرة، يعرفون؛ لكن تأتي ساعات لا يستطيع أن يتصرف؛ فإذا نجوا قالوا: الملاح. وإذا ضاقت بهم الأمور لجأوا إلى الله؛ دعوا الله مخلصين له الدين.

مثل هذه الألفاظ تجري على ألسنة كثير من الناس، كما يقول المصنف: وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيْرٍ؛ ينبغي للإنسان أن يتفطن لهذه الألفاظ.

تبقى قضية تفصيل أحكام هذه الألفاظ، لها تفاصيل:

المؤلف أوردها على أنه يحصل من الناس خلل فيها، تبقى قضية التفصيل في هذه الألفاظ، نذكر لكم كلام أهل العلم؛ لأن المقام مهم بيانه.

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في قوله: قوله: هذا مالي ورثته عن آبائي، يعني إنكار النعمة وإضافتها لغير الله، يقول [٣٢٦]: (**ظاهر هذه الكلمة أنه لا شيء فيها، فلو قال لك واحد: من أين لك هذا البيت؟ قلت: ورثته عن آبائي، فليس فيه شيء لأنه خبر محض.**

لكن مراد مجاهد أن يضيف القائل تملكه للمال إلى السبب الذي هو الإرث، متناسيا المسبب الذي هو الله).

هذه الحالة التي يحصل عند الناس؛ أن ينسى الله؛ ليس مجرد خبر.

يقول: (**فبتقدير الله عز وجل أنعم على آبائك وملكوا هذا البيت، وأضيف إلى ملكك عن طريق الإرث، فكيف تتناسى المسبب للأسباب القدرية والشرعية؟ فتضيف الأمر إلى ملك آبائك وإرثك إياه بعدهم؛ فمن هنا صار هذا القول نوعًا من كفر النعمة**).

أما إذا كان قصد الإنسان مجرد الخبر كما سبق، فلا شيء في ذلك.

ولهذا ثبت أن النبي ﷺ لما قيل له يوم الفتح: أتنزل في دارك غدًا؟ قال: وهل ترك عقيل لنا من دار أو رباع.

فبين النبي ﷺ أن هذه الدور انتقلت إلى عقيل بالإرث، فتبين أن هناك فرق بين إضافة الملك إلى الإنسان على سبيل الخبر، وبين إضافته إلى سببه متناسيًا المسبب وهو الله عز وجل؛ إذن هذا هو

---

(٣٢٦) مجموع رسائل وفتاوى العثيمين (١٠/ ٧٨٦).

المحذور لأن العرب في جاهليتها يكثر فيها الغفلة عن الله، فلذلك اعتمادهم على الأسباب عظيم جدًا، مثل بعض الناس في هذا الزمان؛ الواسطة، بعض الناس إذا عبر يقول: دبرت نفسي؛ كان معي واسطة، فلان دبرني، لولا فلان ما حصل هذا الشيء. نسي المقدر والمسبب الذي أعطاه الواسطة هذه ، والذي جعل الواسطة يتحمس يمشي معك من هو؟ من الذي سخر له؟ وجعله شهمًا يقوم معك؟

هو الله، هذا موجود في ألسنة الناس ما يزال، وهذا من هذا الباب.

وفي قول: وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا».

يقول الشيخ ابن عثيمين في شرح التوحيد [٣٢٧] :(**وهذا القول من قائله فيه تفصيل إن أراد به الخبر، وكان الخبر صدقا مطابقا للواقع، فهذا لا بأس به**)، إن كان يخبر أن فلان كذا، فهذا لا بأس، مثل ما قال النبي ﷺ عن عمه: «لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ» [٣٢٨]، لكن لو لم يرد الله ذلك ما كان ينفذ.

قال: (**وإن أراد بها السبب**) أضافه إلى السبب.

(**فلذلك ثلاث حالات**): انتبهوا يا إخوان: إضافة الأشياء إلى أسبابها لها ثلاثة حالات أحفظوها دائمًا معكم:

قال: (**الأولى: أن يكون سببًا خفيًّا لا تأثير له إطلاقًا، كأن يقول: لولا الولي الفلاني ما حصل كذا وكذا، فهذا شرك أكبر؛ لأنه يعتقد بهذا القول أنَّ لهذا الولي تصرفًا في الكون مع أنه ميتٌ، فهو تَصَرُّفٌ سِرِّيٌّ خفيٌّ**).

يضيف الأشياء إلى الأولياء؛ بركة الولي فلان، لولا وجود الولي فلان في البلد الفلانية لهلكوا أو لغرقوا، وتجدهم يقولون: هؤلاء أهل بلد مباركون ببركة الولي فلان.

هذا إضافة إلى سبب خفي.

---

(٣٢٧) مجموع رسائل وفتاوى العثيمين (١٠/ ٧٨٧).

(٣٢٨) أخرجه البخاري : كتاب الأدب ، باب كنية ا لمشرك (٦٢٠٨)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي ﷺ (٢٠٩).

لكن قوله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٣].

أضاف الله دفع البلاء عنهم بسبب استغفارهم، ووجود مسلمين في مكة ضعفاء يستغفرون، وبسبب وجود النبي ﷺ في مكة لم يهاجر؛ ماذا قالوا: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال:٣٢] فأنزل الله: ،﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ما ينزل عليهم العذاب وأنت فيهم، فدفع العذاب عنهم بسبب وجود النبي ﷺ بينهم، هذا سبب خفي لكن الله أخبرنا عنه، فعلمناه، فكيف نقول عن الولي فلان أنه سبب دفع البلاء عن البلد الفلاني، أو هو سبب شفاء المريض مثل ما يقوله الجهلة من عباد القبور والأولياء.

وهذا شرك أكبر.

يقول: (**الثانية: أن يضيفه إلى سببٍ صحيحٍ ثابتٍ شرعًا أو حسًّا، فهذا جائزٌ بشرط**)

أن يضيف الشيء إلى السبب، تقول: لولا الماء لعطشت، صحيح؛ من الذي جعل الماء يروي؟

الله، فهذا سبب حسي معروف، ولا شيء فيه، الله جعله كذلك.

حسًا: مثل الماء للظمأ.

شرعًا: مثل الهداية في القرآن.

«**وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنَّ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا، وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا**» (٣٢٩).

أضفناه إلى هداية القرآن.

وكقولنا: لولا رسول الله ما عرفنا الهدى.

من الذي جعله سبب للهداية؟

---

(٣٢٩) أخرجه البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب حفر الخندق (٢٨٣٧)، ومسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق (١٨٠٣).

الله، قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى:٥٢].

هذا سبب شرعي، جعله الله سببًا.

القرآن شفاء.

قال: (الثانية: أن يضيفه إلى سببٍ صحيحٍ ثابتٍ شرعًا أو حسًّا، فهذا جائزٌ بشرط)

ما هو الشرط؟

(أن لا يعتقد أن السبب مؤثر بنفسه، وأن لا يتناسى المنعم بذلك).

أن يضيف الشيء إلى سبب صحيح ثابت شرعًا أو حسًا فهذا جائز بثلاثة شروط:

الأول: أن يكون السبب صحيحًا.

الثاني: ألا يعتقد أنه مؤثر بنفسه.

الثالث: أن لا يتناسى المُسبب عز وجل، المُنعم.

(الثالثة: أن يضيفه إلى سببٍ ظاهرٍ، لكن لم يَثبت كونه سببًا لا شرعًا ولا حسًّا، فهذا نوعٌ من الشرك الأصغر، وذلك مثل: التولة، والقلائد التي يقال: إنها تمنع العين، وما أشبه ذلك؛ لأنه أثبت سببًا لم يجعله الله سببًا، فكان مُشاركًا لله في إثبات الأسباب).

فهذا شرك أصغر؛ لأنه أثبت سببًا لم يجعله الله سببًا.

وهذا خلاصة المسألة في إضافة الشيء إلى الأسباب.

بَابٌ قَوْلِ الله تعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ: «الأَنْدَادُ؛ هُوَ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ وَحَيَاتِكِ يَا فُلَانَةُ، وَحَيَاتِي، وَتَقُولَ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ». رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ [(٣٣٠)].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ [(٣٣١)].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا» [(٣٣٢)].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ [(٣٣٣)].

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: (أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ)، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: (بِاللهِ ثُمَّ بِكَ)، قَالَ: وَيَقُولُ: (لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ)، وَلَا تَقُولُوا: (لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ) [(٣٣٤)].

الشرح:

هذا الباب يصلح أن يسمى: باب في الشرك الأصغر، أو في الشرك الخفي؛ لأن المصنف ذكر فيه أشياء من الشرك الأصغر.

قال: **بَابٌ** قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

---

(٣٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٥٨) وسنده حسن.

(٣٣١) أخرجه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء (٣٢٥١)، والترمذي: أبواب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٥٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٠٤).

(٣٣٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٨/ ٤٦٩) رقم (١٥٩٢٩) وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٦٢).

(٣٣٣) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي (٤٩٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

(٣٣٤) أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢٧) رقم (١٩٨١١)، ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٤).

لأن قبلها يقول عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١] خلقكم ورزقكم، وأنتم تعلمون أنه الخالق الرازق فلا تجعلوا له أنداد.

والأنداد النظراء، يشاركونه.

لا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون أنه الذي خلقكم ورزقكم. فسرها العلماء بذلك.

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢].

من الذي يفعل هذا؟

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:٩]

﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧].

إذن: ما دام أنكم تعلمون؛ فلا تجعلوا لله أندادًا؛ هذا المعنى.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ: «الأَنْدَادُ؛ هُوَ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»

هنا ابن عباس فسر الآية بأعم من الشرك الأكبر.

أعم من أنها تفسر بالشرك الأكبر؛ أن يتخذوا أصنامًا وأندادًا، كذا فسرها ابن عباس، وهذه طريقة السلف؛ ما دام الآية تشمل ذلك يفسروا؛ ومر معنا حديث حذيفة أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى، فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾[٣٣٥]؛ فاستدل بآية نزلت في الشرك الأكبر على شيء من الشرك الأصغر.

ومثلها هنا؛ تنبيًا على أن عموم الآيات معمول به.

«الأَنْدَادُ؛ هُوَ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ»

ثم فسر خفاءه: النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل الشديدة؛ كيف ترى؟

---

(٣٣٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٤٧٣) رقم (١٢٨٩١) وسبق.

لا ترى؛ كذلك الشرك الخفي، ومر معنا حديث النبي ﷺ «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ»[٣٣٦].

ففسره هنا قال: «وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانَةُ، وَحَيَاتِي»

يعني يحلف بالحياة؛ وهذا موجود عند الناس.

ويحلف بالشرف، ويحلق بالكعبة، ويحلق بالنبي، وهذا من الشرك؛ الحلف بغير الله من الشرك والدليل على ذلك الحديث الذي أورده.

قال: «وَتَقُولَ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ».

كانت العرب تجعل الكلب إذا جاءت اللصوص نبحته.

وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللُّصُوصُ»

ينسبون إلى الكلب وإلى البط، وينسى الله.

ترون هذا الباب كالمكمل للباب الذي قبله.

«وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ»

التشريك بالواو الذي يقتضي المساواة؛ لأن الواو تقتضي المساواة.

قال: «لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا»

فلا تقل: لولا الله وفلان. قل: لولا الله وحده؛ لأنه هو المدبر وحده.

« هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ»؛ لكنه من الشرك الأصغر.

رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

في تفسيره، وسنده حسن.

وخفاءه -نعوذ بالله، ونسأل الله أن يعافينا وإياكم منه- شديد جدًا؛ ولذلك روى ابن نصر عن ابن مسعود أنه قال: «الرِّبَا بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، وَالشِّرْكُ مِثْلُ ذَلِكَ»[٣٣٧].

---

(٣٣٦) أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الريا والسمعة (٤٢٠٤)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٣٣٣).

(٣٣٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٢٠١٢) عن عبد الله موقوفًا. وأخرجه البزار (٥/ ٣١٨) رقم (١٩٣٥) عن عبد الله مرفوعًا، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٧٥) رقم (١٨٥٢).

أي : أبواب كثيرة، نسأل الله العافية والسلامة.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ.

الحديث هذا عن: عبد الله بن عمر بن الخطاب، نبه عليه الشارح وغيره.

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

كذلك صححه ابن حبان و غيرهم، ورواه أبو داود.

وفيه: أن الحلف كفر أو شرك.

يقول ابن عبد البر: (**لا يجوز الحلف بغير الله بإجماع**).

وقوله ﷺ: «**كفر أو أشرك**»، بعض العلماء أخذ بظاهر الحديث فقال: يكفر.

وقال بعضهم: لا يخرج عن الملة، وإنما هو كفر أصغر، وشرك أصغر.

لكن الحقيقة أن فيه تفصيل، ذكر العلماء أن الحلف بغير الله قسمان:

الأول: حلف على سبيل التأكيد:

وهو الذي يجرى على اللسان لمجرد التأكيد، قالوا: هذا هو الشرك الأصغر.

والثاني: حلف بغير الله على وجه التعظيم:

كحلف المشركين بأصنامهم، لما يقول: واللات والعزى.

كحلف الروافض والقبوريين بالأولياء.

والدليل على هذا أنه قد يحلف بالله كاذبًا، ولا يحلف بالحسين والعباس كاذبًا، إيت الرافضي بقضية، وقل له : أحلف بالله. يحلف لك بالله الإيمان المغلظة كاذبًا، أما الحسين والعباس وعلي وفاطمة فلا يحلف إلا صادقًا؛ لأنه يعظمهم أعظم من الله ويخشى منهم.

ومثلهم عباد القبور.

هذا الحلف ليس مجرد تأكيد للمحلوف له، هذا صار تعظيم وخوف ورجاء واعتقاد أنهم إذا حلف كاذبًا أنهم يضرونه؛ فهذا هو الكفر والشرك الأكبر.

فلذلك الحلف ينقسم إلى قسمين.

لكن أكثر ما يجري على ألسنة الناس من غير الرافضة أنه يكون مجرد تأكيد؛ يريد أن يؤكد؛ سهوًا يقول: والكعبة، وشرفي، وحياتي، بأبي وأمي. هذا أعظم من الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق ويظلم ويقتل؛ أعظم أثمًا؛ لأن هذا كبيرة، وهذا أكبر من هذه الكبيرة، وهو الشرك الأصغر.

وكلمة الشرك الأصغر لا تعنى معصية مجردة؛ بل هو أكبر الكبائر.

فالحلف بغير الله أعظم من قضية من يزني أو يسرق أو يقتل أو نحو ذلك؛ لأنه شرك.

ومر معنا أن بعض العلماء قال: لا يُعفى عنه إلا بالتوبة أو بالموازنة يوم القيامة، أو يعذب به ثم إذا عُذِّب قد يعفو الله عنه ويُخرجه، أما الزاني والشارب ونحوهم قد يعفو الله عنهم ويدخلهم الجنة.

وتقدم الكلام في هذه القضية.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا».

تأمل؛ وهذا جاء عن ابن عباس أيضًا، قال: لأن أحلف بالله مائة مرة فآثم خير من أن أحلف بغيره فأبر.

مائة يمين كذب بالله أحب إليه من يمين صادقة بغير الله.

هذا هو فقه الصحابة.

لماذا؟

لأن الحلف بغير الله كفرٌ؛ وهم بريئون من الكفر الأكبر أنهم يعظمونه، وإنما هو الحلف الذي على سبيل التأكيد، يعني الكفر الأصغر، وهذا أخطر من أن يحلف اليمين الغموس اليمين الكاذبة، صاحبها متوعد عليها أن يغمس في النار؛ لكنها تحت المشيئة، ليست كمثل الشرك الأصغر الذي كثير من العلماء يرى أنه ليس تحت المشيئة كشيخ الإسلام ابن تيمية والمصنف وغيرهم.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

هنا نوع آخر من الشرك الأصغر، وهو:

التشريك مع الله بحرف العطف الواو الذي يقتضي المساواة؛ لأن حروف العطف منها: الواو والفاء وثم.

الواو: يقتضي المساواة، أو يقتضي العطف لكنه تخيير.

والفاء: تقتضي الترتيب، المتوالي.

ثم: تقتضي الترتيب، التراخي.

فتقول: ما شاء الله ثم شاء فلان؛ فلا بأس؛ لأن الله أثبت مشيئة العبد، قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩] ، فأثبت لهم مشيئة لكن بعد مشيئته، فلا بأس.

وهنا قال النبي ﷺ قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا، فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ »(٣٣٨)

سماه النبي ﷺ ندية، أجعلتني لله ندًا؟

وفي حديث الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا: قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ: قُلْتُ إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُم تَقُولُونَ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ قَالُوا وَأَنْتُم لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُم تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنْ النَّصَارَى فَقُلْتُ إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ قَالُوا وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ وَأَنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا: فَلَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ» (٣٣٩).

هذا في المنام.

وفي رواية عند أحمد والطبراني: قال: «إني أسمعها منكم وإني أستحييكم، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد».

كيف يستحيي منهم؟

قال العلماء: لأنه لم ينه عنها، وكان يكرهها، فما دام أنه لم ينه عنها؛ فيستحيي أن ينهاهم عن شيء لم يأت فيه النهي والتحريم، فلما جاء النهي علم أنها لا ترضي الله فأنكرها عليهم ﷺ.

---

(٣٣٨) أخرجه مسلم : كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٧٠)

(٣٣٩) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٨).

يقول شيخ الإسلام [٣٤٠]: (لِأَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ وَالْحَلِفَ بِاَللهِ تَوْحِيدٌ، وَتَوْحِيدٌ مَعَهُ كَذِبٌ خَيْرٌ مِنْ شِرْكٍ مَعَهُ صِدْقٌ).

وقال[٣٤١]: (لِأَنَّ حَسَنَةَ التَّوْحِيدِ أَعْظَمُ مِنْ حَسَنَةِ الصِّدْقِ).

هذا صادق وحلف بغير الله، فهذا مشرك، وصدقه لا ينفعه إذا كان مشركًا.

وهذا موحد وعصى الله وحلف بالله كاذبًا، فمعه حسنة التوحيد.

قال: (**وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك**).

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُوْلَ الرَّجُلُ: (أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ)، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: (بِاللهِ ثُمَّ بِكَ).

يعني فيما هو من قدر الإنسان.

مر معنا قضية الاستعاذة بغير الله، تكون جائزة فيما يستطيعه الإنسان، أما إذا كان يعوذ بما لا يستطيع؛ كأن يعوذ بالقبر أو بالولي؛ هذا لا يستطيع، هذا شرك.

لكن الكلام فيمن يعوذ برجل يحميه من ظالم يقول: أنا أعوذ بالله ثم بك من هذا الظالم، فهذا لا بأس.

لماذا؟

لأنه قادر، ولأنه أتى بصيغة ثم التي تدل على الترتيب والتراخي.

أما أن يقول: أعوذ بالله وبك، هذا تشريك.

قَالَ: وَيَقُولُ: (لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ)، وَلَا تَقُولُوا: (لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ).

وهذا رواه عبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت.

---

(٣٤٠) «مجموع الفتاوى» (١/ ٨١).

(٣٤١) «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٥٥٢).

بَابٌ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِالله

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ [٣٤٢].

الشرح:

هذا تتمة للباب قبله في قضية تعظيم الله، وأورد فيه الحديث نفسه، حديث ابن عمر، قال: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»

لأن النبي ﷺ سمع رجلًا يحلف بأبيه، يقول: بأبي.

فقال: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»

وكان من عادة العرب أن يحلفوا بآبائهم، فهل الحلف بآبائهم هو على سبيل التعظيم الذي هو كتعظيمهم للأوثان؟

لا، بل للتأكيد المجرد، ليس لأنه يعظمه كالأوثان، فكان من قبيل الشرك الأصغر، جرى على ألسنة الصحابة، لأنهم لم ينهوا عنه في أول الأمر، إنما نهوا عن الشرك بالأصنام.

وقال ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ» [٣٤٣].

وقال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» [٣٤٤].

وقال: «مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ»

هذا فيه وجوب الصدق، وحرمة الكذب في الحلف بالله كذبًا، لكن هنا: «وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

---

(٣٤٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الكفارات، باب من حلف له بالله فليرض (٢١٠١)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٣٤٣) أخرجه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالله (٣٢٤٨)، والنسائي: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالأمهات (٣٧٦٩)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣٤١٨/ التحقيق الثاني).

(٣٤٤) أخرجه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء (٣٢٥١)، والترمذي: كتاب الأيمان والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٥٣٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٤٢).

وهو كما قال المصنف.

قال العلماء: «فليرض» هذا فيمن حلف له بالله في حالتين:

إذا حلف له في محل القضاء:

وحكم القاضي وجهت عليه الدعوى؛ لأن الإنسان إذا جاء عند القاضي وليس له بينه، أو شهود على خصمه، فيقول: أترضى باليمين، يدعي عليه؛ البينة على المدعي واليمين على من أنكر، فالمنكر هنا يحلف؛ فقد يكون كاذبًا ، وهو يعرف أنه كاذب، فحلف، قال: أحلف أيمان أن ليس لفلان عندي شيء، والقاضي قضاءً يحكم به.

لأن النبي ﷺ يقول: «الْبَيِّنَةُ عَلَى الْـمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ» (٣٤٥).

فهذا القاضي الآن سيحكم بأن فلان ليس عليه شيء، وصاحب الدعوى يعرف أنه كاذب، فهو الآن أمام شيئين:

هل يقبل بهذا الحكم، وهو حكم القاضي، هل هو الحكم الذي أمر الله به ورسوله في الظاهر؛ لأنه قال: البينة؟

القاضي ليس أمامه إلا هذا، فيقول: حكمت ببراءة فلان؛ وليس لك عليه شيء؛ لأن ليس له إلا اليمين؛ فالآن هذا هو الحكم في الظاهر، أما في الباطن فالظالم سيحاسب يوم القيامة، فماذا له؟

له الرضا بالحكم، يجب عليه أن يرضى بحكم الله؛ لأن هذا حكم الله الذي أمر به: «الْبَيِّنَةُ عَلَى الْـمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ» والقاضي ليس له علم الغيب، فماذا يصنع؟ يترك القضية ويقول: ما لكم عندي حكم؟ بل يجب عليه القضاء.

قال: «وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ»

يقول صاحب الشرح في تيسير العزيز الحميد (٣٤٦) : **(وحُدِّثْتُ عن المصنف أنه حمل حديث الباب على اليمين في الدعاوي، كمن يتحاكم عند الحاكم)** يعني القاضي **(فيحكم على خصمه باليمين، فيحلف فيجب عليه أن يرضى)**.

---

(٣٤٥) أخرجه البخاري تعليقًا : كتاب الشهادات ، باب ما جاء في البينة على المدعي، والترمذي : كتاب الأحكام ، باب ما جاء في أن البينة على المدعي... (١٣٤١)، (١٣٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٩٧).

لأن الرضا هنا ليس بذهاب ماله، وليس بتصديق خصمه، وإنما الرضا بالحكم الشرعي؛ لأن هذا حكم الله في الظاهر.

الحالة الثانية: أن لا تكون عند قضاء.

في حالات الاعتذارات بين الناس في الحقوق فيما بينهم، فحدث له أنه لم يقل هذا الشيء وتعذر منه، فهنا إن كان لا يعلم كذبه، لكن يتهمه أن يكذب، ما يعلم أنه يكذب، لكن يتهمه، وهو يعتذر ويحلف كذبًا؛ لا، في هذه الحالة يجب عليه أن يقبل حلفه، ويرضى بحلفه، لماذا؟

لأنه لا يعلم كذبه، وحلف، والأصل في المؤمن أنه صادق، ويكفيه أنه حلف بالله، وإن كان كاذبًا ستأتيه العقوبة، وسيعاقب عليها بسبب كذبه، فأنت أرض تعظيمًا لله ووجوب الإصلاح، وإن كان كاذبًا فستأتيه العقوبة، ولذلك قال: يجب أن يرضى.

يقول صاحب فتح المجيد [٣٤٧]: (**الثالثة: وعيد من لم يرض بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلفه، فلا ريب أنه يجب عليه الرضا**) هي القضية السابقة.

قال: (**وأما إذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك، فهذا من حق المسلم على المسلم أن يقبل منه إذا حلف له مُعتذرًا أو مُتبرئًا من تهمة، ومن حقه عليه أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه**)

أما إذا كان يعرف أنه كاذب، فلا يجب عليه أن يصدق الكاذب، هذا هو المقصود؛ لأنه ليست قضية حكم، وقد يقول: قبلت عنك لكن ما أصدقك.

النبي ﷺ يقول: «فليرض»، أما التصديق فلا.

ويجب عليه؛ لأن هذا الرجل الذي يحلف ويعتذر قد يكون شخصًا قال كلامًا وسبك فيه، ونقل الكلام، ثم جاء وحلف، وأنت تدري أنه كاذب، لكن لما حلف لك واعتذر؛ يكفي، ألا تقبل العذر؟

مسلم لا يقبل اعتذار من مسلم؟

معناه أنه متعنت.

هذا مقصود قوله: فليرض؛ لأنه يكفي أنه حلف.

---

(٣٤٦) «تيسير العزيز الحميد» (ص: ٥١٨).

(٣٤٧) «فتح المجيد» (ص: ٤١٨).

قال: (**كما في الأثر عن عمر رضي الله عنه: «ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملًا»**) ما دام أن لها محمل، وأنه اعتذر يكفي.

المهم: أراد الشيخ رحمه الله بهذا الباب أن يعظم الله بالرضا به، ولذلك في صحيح البخاري أن «**عِيسَى ابْن مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي**» [348].

آمنت بالله تعظيمًا لله، وشك في نظره لأنه ما تصور أن شخصًا يحلف كذبًا فقال: لعله شيء؛ أتى له بتأويل، لعله صادق، فقال: أمنت بالله، لم يتصور أن أحدًا يحلف بالله كذبًا.

وهذا من كمال الإيمان.

(٣٤٨) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ اللهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} (٣٤٤٤)، ومسلم: كتاب الفضائل، فضائل عيسى (٢٣٦٨) من حديث أبي هريرة.

بَابٌ قَوْلِ (مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ)

عَنْ قُتَيْلَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ [٣٤٩].

وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟! مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ» [٣٥٠].

وَلِابْنِ مَاجَهْ [٣٥١]، عَنِ الطُّفَيْلِ - أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا - قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ».

الشرح:

هذا الباب قال: **بَابٌ قَوْلِ (مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ)**، أنه من الشرك الأصغر إن كان على سبيل اللفظ.

وقوله: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»

---

(٣٤٩) أخرجه النسائي: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة (٣٧٧٣)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي».

(٣٥٠) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٨٣).

(٣٥١) سبق تخريجه، وهو عند ابن ماجه مختصرًا.

هذا اللفظ من اليهودي لما جاء للنبي ﷺ أقره النبي ﷺ، وما قال له: تكذب، **وَأَمَرَهُمْ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْت.**

لأن يوجد منهم من كان يقول والكعبة، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك.

ودل على أنه من الشرك : الحلف بغير الله، وقول هذا الكلام.

وحديث الطفيل، وهو أخو عائشة من أمها فيه الدلالة على هذا المعنى وأنه من الشرك الأصغر.

بَابٌ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى الله

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ الآيَة.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ: أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» [٣٥٢].

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ» [٣٥٣].

الشرح:

هذا الباب في قضية السب الذي يصل إلى الله عز وجل، وأنه مما ينافي التوحيد، قال: **بَابٌ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى الله.**

آذى الله، لأن الله لا يرضى بذلك ويكرهه، وإلا فالله لا يلحقه الضرر، قال: «إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي» [٣٥٤].

فالله لا يبلغه أحد بالضر، ولذلك لما قال: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٤].فسواها في الأرض؛ قال: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ [الشمس:١٥]، ليس كغيره من الملوك إذا غضبوا على بلد وعاقبوهم يخافون من نتائج العقوبات، الله عز وجل لا يخاف شيء ولا يضره شيء ولا يعجز عن شيء.

فهنا الأذى من هذا القبيل، وأنه يكره ذلك عز وجل، كما أنه يحب الطيب، قال: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف:٥٥] لما أغضبونا، أما الضرر فلا يلحق الله الضرر.

والدهر: هو هذا الزمان، تقلب الليل والنهار.

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ الآيَة.

---

(٣٥٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} (٤٨٢٦)، ومسلم: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر (٢٢٤٦).

(٣٥٣) مسلم: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر (٢٢٤٦).

(٣٥٤) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

أنكر عليهم ذلك، لما قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ ، جيل يأتي؛ أرحام تدفع وأرض تبلع، موت وحياة وما في بعث؛ ففيها رد على مشركي العرب، وفيه رد على الدهرية من الفلاسفة وغيرهم ممن ينكرون الصانع، ويقولون: الحياة تدور هكذا، مجرد دوران: موت وحياة. قال عز وجل: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ، وهذا فيه رد على من أساء فهم الحديث الذي بعده ،وفيه: وأنا الدهر، أساء بعض أهل العلم كابن حزم فهم الحديث، فقال: الدهر من أسماء الله، وأن الله هو الدهر.

طيب: الذين قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ ، هل يقولون: ما يهلكنا إلا الله؟ هل أردوا: إلا الله؟

ما أروادا ذلك، فدل على أن الدهر ليس من أسماء الله، وإنما المعنى: أقلب الليل والنهار، أي: مقلب الدهر؛ لأن الدهر هو الليل والنهار، فهم يسبون الليل والنهار والأيام والسنين، ويقولون: يوم أسود، ويوم شؤم ونحوها من هذه العبارات عند الناس التي يقولونها.

قال: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي ما عندهم يقين، إنما هو ظن وجهل.

قال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ خيالات وتوهمات وأشياء توارثوها.

قوله: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ»

هذا صريح في تحريم هذه العبارة، وسب الزمان والدهر، بعض الناس يلعن الساعة اللي شفتك فيها؛ هذا سب للدهر؛ لأنه سب الوقت، هل الوقت هو الخالق المقدر الموجد لهذه الأشياء التي تأذيت منها حتى سببتها؟

إذن سببت المسبب والخالق، فرجع السب إلى الله الخالق عز وجل؛ فلذلك يحرم سب الدهر.

أما قضية أن يوصف بعض الأزمنة ببعض الصفات، مثل ما قالوا: يوم الخميس الأسود، ونحوه، هذه اختلف فيها العلماء:

بعضهم قال: لا يوصف، بناءً على هذه؛ يوم معين يوصف بأنه يوم نحس، قال عز وجل: في أيام نحسات، وصفها الله لأنه قضى عليهم في تلك الساعة، فهي نحسات عليهم، قضاها الله.

لكن هذا ليس فيه ذم لها.

ففرق بين الذم الذي يعود إلى المُقدر وبين وصفها بالنسبة لها، فإن كان يقول: يوم خميس أسود عليهم فلا بأس.

ألا تقولون في الدعاء: اللهم أرنا فيهم يومًا أسودَ بالفتحة من دون تنوين لأنها ممنوعة من الصرف.

هذا يوم أسود بالنسبة لهم؛ يعني: أسود عليهم، ليس وصفًا لفعل الله وتقديره وخلقه عز وجل، هذا ممكن، لكن هذا التفصيل الدقيق لا يرد عند الناس؛ فيغلق الباب؛ لأنه يصعب هذه الأشياء الدقيقة، ويكثر عند الناس الجهل، ويكثر فيهم سب الزمان.

يقول ابن القيم [(٣٥٥)]: (**وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ فَيَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ».**

فِي هَذَا ثَلَاثُ مَفَاسِدَ عَظِيمَةٌ.

إِحْدَاهَا: سَبُّهُ مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَبَّ، فَإِنَّ الدَّهْرَ خَلْقٌ مُسَخَّرٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، مُنْقَادٌ لِأَمْرِهِ مُذَلَّلٌ لِتَسْخِيرِهِ، فَسَابُّهُ أَوْلَى بِالذَّمِّ وَالسَّبِّ مِنْهُ).

لماذا يسب هذا الدهر أو اليوم أو الساعة، ولم يَخلق شيئًا ولم يُوجد شيئًا، وبعض الناس قد يسب الريح أو المطر أو الطوفان، ولم يخلق شيئًا.

(**الثَّانِيَةُ: أَنَّ سَبَّهُ مُتَضَمِّنٌ لِلشِّرْكِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَبَّهُ لِظَنِّهِ أَنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ ظَالِمٌ قَدْ ضَرَّ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الضَّرَرَ، وَأَعْطَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَطَاءَ...**).

بعض الناس تجده يقول عبارة سيئة: يلعن الله الزمان الذي كذا وكذا، لعن للخالق.

طيب: قول النبي ﷺ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاهُ، وعَالِمًا ومُتعلمًا**» [(٣٥٦)].

استثنى منه؛ «**ملعونة**» مطرودة من رحمة الله، واستثنى منها: «**ذكر الله وما والاه**»: ما هو وسيلة إليه، والعالم والمتعلم، وهؤلاء مؤمنون، أما الدنيا فلا خير فيها، وليس من باب سب الدهر، وإنما إخبار أن الدنيا حقيرة مطرودة.

---

(٣٥٥) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٢/ ٣٢٣).

(٣٥٦) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب منه؛ ما جاء في هوان الدنيا على الله (٤/ ٥٦٠) رقم (٢٣٢١) وابن ماجه: كتاب الزهد، باب مثل الدنيا (٢/ ١٣٧٧) رقم (٤١١٢) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٩٧).

قال: (الثَّالِثَةُ: أَنَّ السَّبَّ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ الَّتِي لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ فِيهَا أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ...

فَسَابُّ الدَّهْرِ دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَحَدِهِمَا. إِمَّا سَبَّهُ لِلَّهِ، أَوِ الشِّرْكُ بِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ الدَّهْرَ فَاعِلٌ مَعَ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ، وَهُوَ يَسُبُّ مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ سَبَّ اللهَ). انتهى كلام ابن القيم باختصار رحمة الله عليه.

يعني إما يقول: لا أعتقد أن الدهر هو النافع الضار.

نقول: إذن أنت سببت خالق الدهر.

يقول: لا، أنا ما أسب الله، أسب الدهر لأنه هو الذي أضرني.

إذن أشركت بالله، نسب الضر والنفع للضر.

أما قوله: «وَأَنَا الدَّهْرُ» فليس فيها إثبات أن الدهر من أسماء الله؛ لأن عندنا القاعدة في أسماء الله : حسنى ، بالغة في الحسن كماله، ومن كمالها أنه يستنط منها فعل وصفة، ما هي الصفة؟ وما هو الفعل؟

يدهر، دهر! ما تأتي.

هذا اسم جامد، والأسماء الجامدة ليست حسنى، فليس الدهر من أسماء الله الحسنى ولا يعد من أسمائه.



المجلس الثامن

بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ، لاَ مَالِكَ إِلَّا اللهُ»[٣٥٧].

قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ».

قَوْلُهُ: «أَخْنَعُ» يَعْنِي أَوْضَعُ.

الشرح:

هذا الباب **بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ**.

هذا نبه المصنف فيه على ما ينافي كمال التوحيد الواجب، وهو أن لا يتسمى الإنسان بما هو من خصائص الله -عز وجل-.

وهنا ترجم لشيءٍ منتشرٍ بين أهل العلم وهو خطأ وهو: التسمي بقاضي القضاة.

والحديث الذي ورد الذي أورده المصنف قوله ﷺ «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ، لاَ مَالِكَ إِلَّا اللهُ».

إن أخنع اسم أي أوضع، يعني يستحق صاحبه الوضيع أن يضعه الله؛ لأنه تكبل بهذه التسمي.

«إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ، لاَ مَالِكَ إِلَّا اللهُ» لا مالك إلا الله مثل ملك الملوك.

---

(٣٥٧) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله (٦٢٠٦)، ومسلم: كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك (٢١٤٣).

قال سفيان بن عيينة راوي الحديث قال: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ، أي شاه: هو الملك، شاهان يعني: ملك الملوك شاهان شاه، الشاه الشاهات، شاهان جمع شاه هذا مثله.

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ».

هذا إذن خبيث، ونبه المصنف بالترجمة لقوله التسمي بقاضي القضاة ونحوه.

درج عند بعض رجال ذلك الزمان: كبير القضاة، رئيس القضاة، يسموه بقاضي القضاة، وجوزه بعض العلماء، وقال: ليس هذا من هذا النهي وإنما هو من باب قاضي القضاة أي كبير القضاة.

لكن هذا داخل في النهي، يعني أكثر العلماء أن هذا داخل في النهي، ولذلك شدد به بعض العلماء.

فقال العراقي: (**إن القول بجواز قول قاضي القضاة لا يخفى ما في إطلاق ذلك من الجرأة وسوء الأدب، ولا عبرة بقول من ولي القضاء فنعت بذلك فَلَذَّ ذلك في سَمْعه فاختار الجواز فإن الحق أحق أن يتبع**).

يقول المصنف في مسائله قال المسألة الثالثة:

٣ـ التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

يعني الذي يقول ملك الملوك أو قاضي القضاة أو والي الولاة ما قصد أن هذا يُشَبَّه بالله، ما قصد هذا، إنما هو لفظ ومع ذلك قال النبي ﷺ فيه هذا الحديث «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ، لاَ مَالِكَ إِلَّا اللهُ» إما تَسَمَّى كما هو في الرواية المشهورة وروي يُسَمَّى.

«**تسمى**» يقول العلماء بالتاء مفتوحة تسمى يعني سَمَّى نفسه.

أو في رواية: «**يُسمى**» يطلق عليه ذلك فيرضى به.

أما الذي لا يرضى بهذه الشيء الذنب ليس عليه.

وإدخال هذا الباب في كتاب التوحيد لأن هذا الفعل ينافي كمال التوحيد الواجب، وهو احترام الله عز وجل وعدم التعدي على ما هو من حقه.

بَابٌ احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ: أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟»، قُلْتُ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟»، قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ [٣٥٨].

الشرح:

هذا الباب أتبعه المصنف بالباب الذي قبله وهو قريب من معناه كالتذييل له.

لمَّا نهى عن التسمي بذلك قال: **بَابٌ احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ** يعني الأسماء المختصة التي تطلق على الإنسان وصفًا به.

لا يخفى عليكم: من أسماء الله ما يجوز التسمي به مثل ما يُسَمَّى عزيز.

ولذلك وصف الله قال: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ [يوسف:٥١]، هذا ورد.

منها أسماء أخرى مثل **رحيم**، وصف الله نبيه ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨] وصف نبيه بهذا، مع أن العزيز والرؤوف والرحيم من أسماء الله.

فما الفرق بين هذا وبين التسمي باسم أبي الحكم أو الحكم؟

أن أبا الحكم لما سأله النبي ﷺ قال: لأنه يَحْكُم بين الناس فيسمى الحكم، والحكم من أسماء الله فإن الله هو الحكم، وهذا الرجل كُنِّي بأبي الحكم؛ لأن وصفه أنه يحكم بين الناس فكأنه أخذه من هذه الصفة؛ فنهي عنها، وإلا في أسماء الصحابة كثير من اسمه الحكم، وإذا نظرت في كتاب «الإصابة في معرفة الصحابة» تجد الكثير منهم يسمى بالحكم.

لماذا منهم من غيره النبي ﷺ ومنهم من لم يغير؟

---

(٣٥٨) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح (٤٩٥٥)، والنسائي: كتاب أداب القضاة، باب إذا حكموا رجلًا فقضى بينهم (٥٣٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي».

فالذين غير كان لهذا السبب؛ فلذلك نعرف أنه إذا كان اسم الله يأخذه الإنسان أو يتسمى به اتصافًا؛ وصفٌ الله عز وجل ينهى عنه.

أما إذا كان صفةً تُطلق على الإنسان أصلًا: رحيم، إنسان رحيم، فالله جعل فيه صفة الرحمة، وجعل له عزة، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨]، فالمؤمنون لهم عزة؛ فيُسمى عزيزًا؛ لا بأس، وعزيزٌ على أهله.

هذا هو الفرق بينهما.

فإذا كان من ذلك فيُكره التسمي أو يحرم إن كان على هذا القبيل؛ لأنه القاضي يحكم بين الناس فيسمى الحكم والحكم من أسماء الله، وأحكم الحاكمين.

أما: يُسمى الحاكم يُسمى القاضي ويُسمى الحاكم من باب أنه ليس وصفًا فهنا يجوز يسمى الحاكم القاضي أن يسمى بالحاكم.

وفيه من الفوائد أنه قال: أنت أبو شريح؛ لأن الابن الأكبر هو شريح فهو الأحق بالتكني به.

بَابٌ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيْهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القُرْآنِ أَوِ الرَّسُوْلِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ الآيَةَ.

عن ابنِ عُمَرَ، ومحمدِ بنِ كعبٍ، وزيدِ بنِ أسلمَ، وقَتادةَ- دَخَلَ حَدِيْثُ بَعْضِهِم في بَعْضٍ-؛ أَنَّهُ قالَ رجُلٌ في غَزْوَةِ تَبوك: مَا رَأَيْنا مِثْلَ قُرَّائِنا هَؤلاءِ أرغَبَ بُطونًا، ولا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، ولا أَجْبَنَ عندَ اللِّقاءِ- يَعني الرَّسُولَ ﷺ وأَصْحَابَهُ القُرَّاءَ-، فقالَ له عَوْفُ بنُ مالكٍ: كَذَبْتَ؛ ولَكِنَّك مُنَافِقٌ، لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَهبَ عوْفٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوجَدَ القُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلْكَ الرَّجُلُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ ارْتَحلَ، وَرَكِبَ ناقَتَهُ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! إنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ ونَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقِ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ متعلِّقًا بِنِسْعَةِ ناقَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وإِنَّ الحِجَارةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: إنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ، فيقولُ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾، مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، ومَا يَزِيْدُهُ عَلَيْهِ [٣٥٩].

الشرح:

هذا الباب أتبعه الباب الذي قبله لأن هذا فيه: استهانة، أما الأول ففيه عدم الاحترام لأنه تسمى به؛ لكن إذا وصل عدم الاحترام إلى الهزل أو الاستهانة وصل إلى درجة الكفر الأكبر.

الأول الباب الذي قبله: عدم الاحترام بدون استهانة، بأنه تسمى به، ولذلك نهي عنه، وحَرُم وهو ينافي كمال التوحيد الواجب.

لكن هذا الهزل عدم الاحترام الذي يصل إلى الاستهزاء والهزل هذا ينافي التوحيد من أصله وهو كفر.

ولذلك المصنف رحمه الله ذكره في نواقض الإسلام قال: (**من هزل بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر ولو عمل به**) مدام أنه هزل به أن استهزأ به ولو عمل به كفر.

---

(٣٥٩) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٣).

هنا قال: **مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ**، أي: بأي شيء فيه ذكر الله أو هزل بالقرآن أو الرسول ﷺ كفر؛ لأن الآية نزلت في: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٥] هؤلاء الذين هزؤا برسول الله ﷺ وأصحابه قالوا: **مَا رَأَيْنا مِثْلَ قُرَّائِنا هَؤلاءِ أرغَبَ بُطونًا، ولا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، ولا أجْبَنَ عندَ اللِّقاءِ** يعنون النبي ﷺ والصحابة.

أرغَبَ بُطونًا،

يعني في الأكل، وكذبوا؛ كان النبي ﷺ وأصحابه لا يملئون بطونهم من الزاد ولا يأكلون إلا على الرفث؛ والمنافقون والكفار هم الذين لا يشبعون، وأخبر النبي ﷺ عنهم وقال «**المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**»(٣٦٠) فما يشبع.

ولا أَكْذَبَ أَلْسُنًا،

كذبوا هم الصادقون، لكن المنافقون وذكرهم الله وصفهم بالكذب وكثرة الكذب.

ولا أجْبَنَ عندَ اللِّقاءِ،

وصف الله المؤمنين بالشجاعة ووصف الكافرين، والمنافقين بالجبن؛ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤].

إذن كذبوا وظلموا وكانوا يسخرون ويمزحون؛ وما ظنوا أن هذا المزاح يبلغ هذا المبلغ ووصفهم الله قال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٦]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وصفهم بأنهم كانوا مؤمنين، لكن كان معهم من النفاق ما يضعف إيمانهم، وما ظنوا أنهم بهذا القول وهذا الكلام أنهم يكفرون، ما ظنوا أنه يبلغ بهم الكفر.

فدل ذلك على أنه الإنسان قد يَكفر بشيءٍ لا يعلم أنه كفر.

---

(٣٦٠) أخرجه البخاري: كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في مِعًى وَاحِدٍ (٥٣٩٣)، ومسلم: كتاب الأشربة، باب المؤمن يأكل في مِعًى وَاحِدٍ (٢٠٦٠).

كما قال النبي ﷺ «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (٣٦١) نعوذ بالله.

وهذا من الألفاظ التي جاء أنهم كفروا بها يقول المصنف: في بعض مسائله يقول (٣٦٢):

(وأما الثالثة: فالقول الصريح في الاستهزاء بالدين، مثل ما قدمت لك؛ وأما الفعل: فمثل مدّ الشفة، وإخراج اللسان، ورمز العين، مما يفعله كثير من الناس، عندما يؤمر بالصلاة، والزكاة، فكيف بالتوحيد؟)

من الاستهزاء: القول الصريح في الاستهزاء مثل هذا ما ورد في الآية وما أشبهه أن يهزأ أو يسخر .

وأما في الأفعال: فمن الفعل الصريح مثل: مد الشفة وإخراج اللسان ورمز العين، إذا أمر بشيء أو حديث النبي ﷺ مد شفته ؛ واستهزأ أو أُمر بالدين فلا يبالي.

قال هذا من الأشياء الفعلية التي هي صريحة في الكفر –نسأل الله العافية والسلامة– .

---

(٣٦١) أخرجه البخاري : كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان (٦٤٧٧)، ومسلم : كتاب الزهد والرقائق ، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (٢٩٨٨).

(٣٦٢) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٠/ ١٢٥).

بَابٌ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ الآيَة

قَالَ مُجاهِدٌ: «هذا بِعَمَلي، وأنا مَحْقوقٌ بِهِ».

وقَالَ ابنُ عبَّاسٍ: «يريدُ من عِنْدي».

وَقَوْلِهُ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾.

قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بوجُوهِ الْمَكَاسِبِ».

وَقَالَ آخَرونَ: «عَلى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أنِّي لَهُ أَهْلٌ».

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّهُ سِمَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَني إِسْرَائِيْلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فأَرَادَ اللهُ أنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: فَأَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَونٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهبُ عَنِّي الَّذي قَدْ قَذِرَني النَّاسُ بِه، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ؛ فأُعطيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، قال: فَأَيُّ الْمَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبلَ أَوِ البَقَرِ - شَكَّ إِسْحَاقُ - فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا.

قَالَ: فأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذي قَدْ قَذِرني النَّاسُ بِهِ، فَمَسَحهُ، فَذَهبَ عنْهُ، وَأُعطِيَ شَعرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحبُّ إِليْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ أوِ الإِبلُ، فأُعطِيَ بقَرةً حامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا.

فأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: أن يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي؛ فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قالَ: الغَنَم، فأُعطِيَ شاةً والِدًا.

فأَنْتَجَ هَذانِ وَوَلَّد هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّه أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبيلٍ، قَدِ انقطَعتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي هَذَا؛ فَلَا بلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا باللهِ ثُمَّ بكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّونَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحسَنَ، وَالْمَالَ؛ بَعِيْرًا أَتبلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوْقُ كَثِيْرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيْرًا فَأَعطاكَ اللهُ الْمَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، قَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ، وَابْنُ سَبِيْلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي؛ فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ؛ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيءٍ أَخَذْتَهُ للهِ.

فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيْتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». أَخْرَجَاهُ [٣٦٣].

الشرح:

هذا الباب يشبه الباب التاسع الثلاثين أو الحادي والأربعين **بَابٌ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى**: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الآيَةَ.

هذا أيضا في النعمة وذاك أيضا في إنكار النعمة .

وقلنا هناك أنه يصلح أن يكون في باب كفر النعمة، وأنهم نسبوها هناك إلى استحقاقهم لها كذلك؛ وأراد المصنف أراد أشياء يقولها الإنسان ينسبها يقول: لولا فلان وكذا، لولا كذا، ومالي ورثته ينسبه فهناك كفره للنعمة بالنسبة نسبتها إلى غير الله.

وهنا في: جحد الإنعام، التفضل من الله.

وكأن هذا المعنى: كأنه يجحدها وكأنه ينسب الفضل إلى نفسه واستحقاقه لذلك.

قال: **بَابٌ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى**: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾، يعني: أنا أستحق.

---

(٣٦٣) أخرجه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل (٣٤٦٤)، ومسلم : كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٤).

والأبرص والأقرع ماذا قالوا: « إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ » يعني ليس إنما أورثه لي آبائي، ولم يشكر النعمة؛ فكأن المصنف أراد أن يُبين أن ما يَحصل للعبد من النعم والفضائل إنما هو فضلٌ من الله عز وجل وإحسانٌ؛ وأنه ليس بفضله واستحقاقه؛ إنما هو تفضل من الله؛ كأن هذا هو المراد.

أيضا أورد المصنف:

وقوله ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ [القصص:٧٨].

في قصة قارون.

قالَ مُجاهِدٌ: «هذا بِعَمَلي، وأَنا مَحْقوقٌ بهِ».

هذا لي أي هذا بعملي وكدي وكدحي.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: «يريدُ من عِنْدي».

وَقَوْلِهُ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾.

لأن قارون وصفه الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [القصص:٧٨] إلى آخر الآيات ... إلى أن قال في سياق الآيات: لما خسف به ماذا قالوا؟

قالوا ﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [القصص:٨٢] وصف بأنه كافر ؛ كفر النعمة؛ إضافة إلى ما عنده من صفات الكفر الأخرى؛ أنه هنا لم يشكر نعمة الله فهنا يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾

قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوجُوهِ الْمَكَاسِبِ».

وأني أحسن البيع والشراء والفرص؛ فنسب النعمة إلى نفسه ونسب الفضل إلى فعله؛ نسي الله.

وَقَالَ آخَرونَ: «عَلى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ».

يعني أنا أستحق هذا مثل الذي دخل جنته وهو ظالم لنفسه ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف:٣٥] ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦] لماذا قال: أنا أستحق هذا العطاء، وإذا الله أعطاني هذا في الدنيا هذه الحدائق سيعطيني في الآخرة مثل هذه؛ لأني أستحق؛ فظن أنه أهل لذلك مع أن المؤمن وصفه قال: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٣٨] فهنا بين أنه شركٌ، وأقر اللهُ قولَ المؤمن على هذا الكافر.

هنا يقول: وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ».

وَقَالَ آخَرونَ: «عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ».

أستحق هذا الكلام يعني له منزلة عند الله يعني له شرف.

فهذه التي تحصل للناس من الغفلة هي من هذا الباب الذي يدخل على كثير من المسلمين؛ وهو ينافي كمال التوحيد الواجب الذي يجب عليه أن يكمل التوحيد في هذا الباب؛ ينافيه بهذه الأشياء:

الألفاظ أو الظنون يعتقدها.

مر معنا في الباب السابق ألفاظ يقولونها.

وهنا ظنون يظنونها في قلوبهم؛ ظن سيء.

ثم أورد قصة الرجال الثلاثة وكيف ابتلوا وامتحنوا والقصة بين أيديكم لكن الشاهد أن الذين جحدوا النعمة وأنكروها ونسبوها إلى أنفسهم؛ فعوقبوا بسلبها منهم، وأن الذي شكر النعمة ونسبها إلى الله وأن الله تفضل عليه بها أبقي وزيد منها.

كما قال عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

يعني بعض الناس أصلًا ينسى نفسه؛ حتى إذا جاءت النعمة تجده يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢] يُزكي نفسه، يغفل؛ وهو في الظاهر صادق؛ لأن هذا أدخل الشيطان هذه القضية؛ هذا الفضل من الله ليس لأنك اتقيته؛ قد تكون ما اتقيته، وأحيانا تجده ما اتقى الله ما قام بالحقوق الواجبة عنده ذنوب مقصر؛ استدراج.

قال عز وجل : ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ [القلم:٤٥]، أمهل لهم فينتبه الإنسان لهذه الأشياء لا تزكي نفسك الله – عز وجل– قال: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق:٢] ، هذا الله الذي يقول ذلك هو الذي قال: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم:٣٢] ، أيضا هذه من الغفلة التي تجدها عند بعض الناس ينسبها إلى نفسه لا.

هذا الحديث حقيقة عظيم جدًا وعبرة، وأن الله يجازي الشاكر بأن يزيده من فضله وأن يثبته ويجازي -أعوذ بالله- الكافر كافر النعمة بأن يسلبها منه، وأن يطمس على قلبه تصور هذا الرجل يقول: «الْحُقُوْقُ كَثِيْرَةٌ» يعني إذا نعطيك إبل كثيرة عليك حقوق وعليك زكاة وعليك نفقات، وكذا «اذهب عني»، ثم قال: «ورثته كابرا عن كابر» لأن الجاه الذي حصل له غره -نسأل الله العافية السلامة-.

بَابٌ قَوْلِ اللهِ تعَالَى: (فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ) الآيَةَ

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ [٣٦٤]: «اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ؛ كَعَبْدِ عَمْرٍو، وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ قَالَ: «لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ؛ لَتُطِيعُنِّي أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فَيَخْرُجَ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقَّهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ؛ يُخَوِّفُهُمَا، سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ؛ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾». رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ [٣٦٥].

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ».

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ: «أَشْفَقَا أَنْ لَا يَكُونَ إِنْسَانًا».

وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ، وَسَعِيدٍ، وَغَيْرِهِمَا.

الشرح:

هذا الباب فيه بيان عدة أمور لكن أهم ما فيه:

تحريم التعبيد لغير الله:

وأن هذه الآية نزلت في ذلك.

في ذكر ما قص الله علينا من خبر آدم وحواء أنهما سمياه عبد الحارث، وعبد الحارث هذا كان اسم إبليس، كما يقول سعيد بن جبير: كان اسم إبليس لما كان مع الملائكة في الجنة كان اسمه الحارث، فكان يدعهما إلى ذلك يوسوس لهما ظن خوفهما أنه سيموت كذا ولن يخرج لهما شيء فسمياه عبد الحارث.

فدل ذلك على أنه شركٌ؛ لكن شرك طاعة وليس شرك عبادة وسيأتي الكلام على هذا.

---

(٣٦٤) «مراتب الإجماع» لابن حزم ص/ ١٥٤.

(٣٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٣١٠).

المسألة الثانية: النعم.

وكأنه تابع للباب قبله لأن نعمة الولد من الله وإعطائه من الله؛ فيُسمى لله، أما الذي يسمى عبد النبي أو عبد الرسول أو عبد الحسين أو عبد الزهراء هذه كلها تعبيد لغير الله.

منهم من يُعبده هكذا ألفاظًا تجرى عليه الكلام، هو من هذا الباب الشرك الأصغر.

ومنهم من يُعبده كما تفعل الرافضة: عبد الحسين وعبد الزهراء وهكذا تعبيد عبودية، وهذا هو الكفر الأكبر؛ لأن في أنفسهم من التذلل والتعبد لهم ما يجعلهم يسمون، وهم يعتقدون هذا الشيء.

وكثير من الناس من يسمي عبد النبي وعبد الرسول بعضهم يكون على العادة الجارية مثل هذه الأشياء التي تحصل من الشرك الأصغر؛ لأنه عبد لغير الله.

والشرك الأصغر كما مر معكم: أكبر الكبائر.

ولذلك يقول -عز وجل-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف]

هنا عبارة قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول العلماء: انتقل؛ لأن كل السياق أول الآيات في صنيع المشركين في شركهم بالله؛ فجاء ذكر آدم وحواء عرضًا ثم قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ليشمل الجميع الشرك الأصغر والشرك الأكبر: من الذبح لغير الله، وأن يقتلوا أولادهم وغير ذلك وأن يجعلوا من الزروع والحرث لغير الله فجاء هذا ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وهذه الآية ذكر قصة عن آدم وحواء ليس فيها ما يستنكره بعض العلماء؛ بعض العلماء: استنكر كيف تكون القصة عن آدم وحواء، وآدم نبي وكذا؛ هذا من الأشياء من الأخطاء لم يبلغ إلى حد الشرك الأكبر، وقد يكون لم يَتقدم إليهم بنهي عنه فوقعوا فيه.

هنا مسألة ذكرها قال:

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ؛ كَعَبْدِ عَمْرٍو، وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ».

عبد المطلب اختلفوا فيه، والباقي اتفقوا عليه هذا مقصود ابن حزم؛ أن العلماء أجمعوا على تحريم التعبيد لغير الله إلا اسم عبد المختلف اختلفوا فيه.

وسبب الخلاف أن بعضهم قال إن النبي ﷺ أقر رجلًا من الصحابة اسمه عبد المطلب، وقال: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»(٣٦٦) قالوا: هذا هو السبب.

والصواب: أنه يحرم كله، وأن النبي ﷺ لما قال: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ» هذا يحكي عن شيء مضى، وأنه عُرف بهذا؛ لا يُغير الأسماء الماضية؛ هذا مأخذ من قال بالتحريم مطلقًا حتى في عبد المطلب.

المصنف قال في المسائل:

١- تَحْرِيمُ كُلِّ اِسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ.

فأراد العموم وأن المسألة خلافية في عبد المطلب، والراجح عنده أنه حتى عبد المطلب لا يسمى.

وهنا يقول: قال قَتَادَةَ: «شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ».

هذا الفرق ليعرف أنه ليس المقصود أن آدم وحواء وقعوا في شرك العبادة، إنما هذا جعل له شركاء في طاعته.

وقضية الطاعة مر معنا أنها قد تكون طاعة في المحرم، وقد تكون طاعة في الشرك الأصغر، مثل هذا، وقد تكون طاعة في الشرك الأكبر؛ الباب الذي مر معنا.

فهذا ليس من الطاعة في الشرك الأكبر، ولم يتقدم إلى آدم وحواء بيان أن التعبيد لغير الله شرك أصغر حتى نقول فعلوا المحرم ووقعوا في الشرك الأكبر.

قد يكون كرهه لأنه تعبيد لغير الله ولم يتقدم إليهم بتحريم هذا بالنسبة لقضية آدم وحواء.

أما قضية الحكم: فالله بين لنا أنه شرك، سماه الله شركًا وعلى التفصيل الذي ذكرنا قبل:

قد يكون من الشرك الأصغر إن كان مجرد أسماء تعبيد لغير الله.

---

(٣٦٦) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب (٢٨٦٤)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (١٧٧٦).

وقد يكون من الشرك الأكبر والذي هو كتعبيد الرافضة عبد الحسين وعبد علي وعبد الزهراء وهكذا؛ لأن هؤلاء يعبدونهم من دون الله حقيقةً؛ يتعبدون لهم، ويسمون ذلك على وجه مثل تعبيد العرب لعبد مناف؛ فالأصنام التي كانوا يعبدونها عبد اللات يتعبدون لها فيُسمون هذا، وهو شرك أكبر.

ولذلك لما رأي النبي ﷺ قوما من العرب بنوا عبد اللات قال أنتم بني عبد الله لماذا؟

لأن التعبيد هناك للصنم فهو عبودية لغير الله.

أما عبد المطلب:

فما قصة التسمية؟

حتى نعود إلى قضية عبد المطلب -وإن كنت أردت الاختصار- قصة التسمية: أنها إضافة تعبيد ملكية؛ لأن المطلب بن عبد مناف، وهو عم شيبة الحمد لما جاء به، وشيبة الحمد اسمه عبد المطلب، ذهب إلى المدينة وأخذه من أخواله وجاء به -على القصة باختصار- فرأته قريش وقد لفحته الشمس فقالوا عبد المطلب؛ المطلب جاء بعبد له، ما يعرفون هذا الغلام، فظنوا أنه اشترى عبدًا وجاء به فيقولون: هذا عبد المطلب، فقال: ويحكم إنه ابن أخي. فذهب عليه الاسم عبد المطلب من باب عبودية الملكية لا باب عبودية التعبيد مثل: عبد اللات عبودية تعبد؛ إلهية تأله؛ فلذلك يكون أهون من قضية عبد اللات ونحوه.

لذلك أنكر النبي ﷺ على هؤلاء.

وكان من الصحابة من اسمه عبد عمرو فغيره النبي ﷺ إلى عبد الرحمن بن عوف، لأن عمرو صنم تعبده بعض العرب ومنهم ناس من قريش وهكذا.

بَابٌ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ الآيَة

ذَكَرَ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: «يُشْرِكُونَ».

وَعَنْهُ: «سَمَّوُا اللَّاتَ مِنَ الإِلَهِ، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ».

وَعَنِ الأَعْمَشِ: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا».

الشرح:

هنا الباب الحادي والخمسين **بَابٌ** قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾

ما الفرق بين الترجمتين؟

البابين كلاهما في قضية باب توحيد الأسماء والصفات:

لكن هناك في باب التعطيل في الجاحدين لأنهم أنكروا التوحيد فوقعوا في شرك التعطيل.

هنا في عبودية الله بأسمائه وصفاته؛ لأن ذكر أسماء الله والتعبيد لله واحترام أسماء الله فأتبعها بالتعبد لله بأسمائه وصفاته.

قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ فهذا الباب في الإثبات والتعبد؛ بعد أن ذكر احترام أسماء الله وعدم التعبد لغير الله أورد الباب الذي فيه إثبات أسماء الله والتعبد لله بها العبودية بالتسمي بها وسؤال الله بها والتعبد لله بها.

هذا هو مناسبة إيراد هذا الباب في كتاب التوحيد على هذا النمط والترتيب.

قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾

الحسنى فعلى، مثل الفصحى فصيحه فصحى، وفصحى أبلغ من فصيح.

حسنه حُسنى، وحسنى أبلغ من حسنه.

قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ البالغة في الحسن كماله وغايته، فلا أحسن منها لا أحسن من أسماء الله عز وجل.

قال: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي تعبد لله بها.

وهذا معنى قول النبي ﷺ: «إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[٣٦٧].

يقول ابن القيم: قوله ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ هو معنى من أحصاها، داخل في المعنى جزء من المعنى؛ لأن احصائها إحصاء تعبد واحصاء حفظه واحصاء تفهم ونحو ذلك؛ لأن من معاني إحصائها إحصاء الألفاظ والعدد، ومن معاني إحصائها الفهم للمعنى والمدلول ما دلت عليه، ومن معاني إحصائها دعاؤه بها دعاء المسألة ودعاء العبادة:

دعاء المسألة:

أن تسأله يا رحمن ارحمني يا غفور اغفر لي هذا المناسب تسأله بالاسم المناسب لمسألتك.

ودعاء التعبد:

أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ تعلم أنه عليم بك فيسمع كلامك تخشى أن يسمع منك شيئا لا يحسن، ألا يراك حيث نهاك وألا يفقدك حيث أمرك.

إذا أخذ هذه المعاني وأنه هو الرزاق تخبت إليه، وتسأله، وأنه هو الغفور فتخبت إليه إلى آخر هذه المعاني التي هي متضمنة لمعاني العبودية، معاني الله الإله؛ تعبد لله الرب هو الذي ربك ومربيك مالك يملكك إلى آخر ذلك.

هنا قوله: ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾

هذه مسألة الالحاد.

ومر معنا الكلام فيها في قضية من جحد شيئا من أسماء الله لا نعيده، وكلام ابن القيم وغير ذلك.

لكن قضية: الأسماء الحسنى هل هي محصورة تسعة وتسعين اسما؟

يقول العلماء: لا ، منهم من قال محصورة كابن حزم وقال تسعة وتسعين فقط، وهذا من ظاهريته التي هو معروف بها.

والنبي ﷺ قال في الحديث «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هم وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ

---

(٣٦٧) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحد (٧٣٩٢)، ومسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة.

أَنْزَلْتَهُ : كتابكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ حُزْنَهُ وَهَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا» (٣٦٨)

إذن هناك ما أنزله في كتابه ما علمه أحد من خلقه، وما استأثر به في علم الغيب عنده لم يطلع عليه أحدًا.

فادعوه بها؛ ادعوه بالذي تعلمون منها.

طيب ما وجه قوله إن لله تسعة وتسعين اسمًا؟

قال العلماء مثل قولك: عندي ألف درهم أعددتها للصدقة، لا يعني ذلك أن ما عندك إلا الألف، أو قال: عندي ألف عبد أعددتهم للجهاد في سبيل الله، لا يعني ذلك أنه ليس عنده إلا هذا الألف من العبيد؛ عنده غير ذلك لكن هؤلاء أعدهم للصدقة؛ وهذه معاني لغات العرب، فلا تعارض بين هذا الحديث وبين حديث «**أسألك بكل اسم هو لك**» .

وأخبر النبي ﷺ أنه يوم القيامة يأتي فيخر تحت العرش يسجد لله ويدعوا الله ويسأله **قال**: «**فَأَقُومُ فَآتِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ وَيُفْتَحُ عَلَيَّ بِمَحَامِدِ لَا أُحْسِنُهَا الآنَ**» (٣٦٩) ، ومحامده إنما هو يحمده بأسمائه وصفاته يثني عليه بها.

قال ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: «يُشْرِكُونَ».

كيف يشركون؟

يسمون بها.

قال في رواية: يسموا اللات من الله، والعزى من العزيز.

يشركون أو يسمون بها يتعبدون لغيره، مثل يقولون: عبد النبي ؛ ما يُعبدونه وحده يميلون إلى غيره.

---

(٣٦٨) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، من حديث عبد الله بن مسعود، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٩٦)، وقال: «**رواه أحمد وأبو يعلى والبزار... والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان**»، وأعله الدارقطني في «العلل» قال: «**أبو سلمة الجهني لم يتبين لأئمة الجرح والتعديل من هو؛ فهو في عداد المجهولين**» وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

(٣٦٩) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} (٧٤١٠)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣)، من حديث أنس.

أو يلحدون بها يميلون:

١. **إما إلحاد نفي.**

٢. **أو إلحاد تشبيه؛ شَبَّه الله بغيره.**

تعالى الله انتهينا في هذا مضى من باب ما جاء في من جحد شيئا من أسماء الله وصفاته.

بَابٌ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللهِ

فِي الصَّحِيْحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ؛ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُوْلُوْا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»[٣٧٠].

الشرح:

هذا الباب فيه الأدب مع الله؛ من التوحيد التأدب مع الله عز وجل.

قال: **بَابٌ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللهِ** لماذا؟

لأن السلام دعاء السلام عليك، دعاء لك بالسلام؛ فكيف تقول السلام مع الله وتدعوا لله بالسلامة؟ هل يلحقه نقص؟ هل يلحقه ضيم؟

عز وجل لا يلحقه؛ إذن ما معنى الدعاء، والله هو السلام الذي يُسَلِّم العباد؛ فإذن هذا متضمن للمعنى الذي فيه إيهام النقص في حق الله؛ فلذلك نهى عنه النبي ﷺ قال: **كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ؛ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُوْلُوْا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»**؛ ثم أرشدهم إلى التشهد والسلام في الحقيقة كما قال ابن القيم في النونية:

وهو السلام على الحقيقة سالم ... من كل تمثيل ومن نقصان

السالم من كل نقص هذا المعنى، مثل قوله القدوس مقدس من كل نقص.

والسلام المسلم لأوليائه.

والسلام السالم من كل عيب.

والسلام السالم من التمثيل والتشبيه تبارك وتعالى، مثل القدوس مقدس، والمقدس مقدس من التزيه من النقص يعني المنزه القدوس بمعنى المنزه.

المهم أن إيراده في هذا الباب في الأدب مع الله حتى في الكلام نهاهم النبي ﷺ أن يسيئوا الكلام في حق الله هذا الواجب على العبد أن يراعي ذلك.

---

(٣٧٠) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب من سمى قومًا أو سلم في الصلاة على غيره (١٢٠٢)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (٤٠٢).

بَابٌ قَوْلُ (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ)

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ».

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

الشرح:

هذا الباب **بَابٌ قَوْلُ (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ)**؛ فيه من سوء الأدب مع الله؛ وهو ينافي كمال التوحيد؛ لأن الذي يقول اللهم اغفر لي إن شئت كأنه يقول أنا لست بذاك الحاجة إن شئت اغفر لي وإن لم تشأ لا تغفر؛ وهذا سوء أدب؛ لأن العبد ضعيف فقير لابد أن يظهر الاستكانة والفقر لله -عز وجل- والذي يقول ذلك اللهم اغفر لي إن شئت كأنه لا يبالي بذنوبه، ولم يظهر الفقر والحاجة؛ هذا سوء أدب.

لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ؛ فإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ.

اجزم المسألة: اللهم اغفر لي.

هناك بعض الناس: جزاك الله خيرا إن شاء الله؛ تجده إذا دعا: إن شاء الله؛ دائم موجودة على ألسنة الناس؛ هذا غلط.

في الدعاء لا تقل إن شاء الله؛ اجزم فيه.

طيب: ما الفرق بين هذا وبين قوله ﷺ للمريض: «**لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**»[٣٧١]؟

من باب الخبر، يعني يخبر أنه تُطهرك لأن الحمى؛ مُطهرة الأمراض؛ فهو يقول إنها إخبار يخبر أنها مطهرة؛ لا يجزم بأن هذه ستطهرك؛ فهي ليست من باب الدعاء؛ لأنها قد تكون رافعة للدرجات وقد تكون مكفرة للسيئات؛ فيخبر النبي ﷺ أن العبد كثير الذنوب بحاجة؛ فهي غالبا تكفر السيئات.

وأيضا «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ**»[٣٧٢] هذه دعاء أيضًا؛ هذا أيضا من باب الإخبار.

---

(٣٧١) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب ما يقال للمريض وما يجيب (٥٦٦٢)، من حديث ابن عباس.

(٣٧٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٩٧٤).

المهم أن هذا الباب وجه إدخاله في كتاب التوحيد هو أن قول «اغفر لي إن شئت» فيه إساءة أدب مع الله ينافي كمال التوحيد الواجب لأن سوء الأدب محرم مع الله.

لذلك الله يحب الملحين في الدعاء وإن الله حيي يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرًا، ويحب الملحين في الدعاء فيعظم المسألة والرغبة؛ فإن العبد ما دام يلح في الدعاء فإن الله يحبه؛ ويدعو بكل شيء من الخير والمباح لا يقول أكثرت فإن الله أكثر.

بَابٌ لا يَقُولُ: (عَبْدِي وَأَمَتِي)

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وضِّئْ ربَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلاي، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُم: عَبدِي وَأَمَتي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وفَتَاتِي وَغُلَامِي» (٣٧٣).

الشرح:

هذا فيه أيضا تنبيه إلى حسن الأدب مع الله.

ولذلك هذه القضية هل هو محرم أو مكروه محل خلاف بين العلماء، حتى من قال إنه مكروه – أن يقول عبدي وأمتي – على سبيل الكراهة أو خلاف الأولى؛ فهو يدخل في التوحيد من باب كمال التوحيد المستحب لأن المكروه ينافي كمال التوحيد المستحب وخلاف الأولى، والمحرم ينافي كمال التوحيد الواجب.

والعلماء اختلفوا هل يجوز هذا؟

والصواب أنه يكره كراهة تنزيه؛ أن يقول عبدي وأمتي، والأولى أن يقول: فتاي وفتاتي وغلامي ونحو ذلك، وإلا فهو في أصله جائز؛ لأنه عبودية ملك ورق، لا عبودية تأله؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ﴾ [النور:٣٢] ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور:٣٢] سماها أمة؛ وأضافها إليهم فدل على هذا على سبيل الإخبار.

لكن هنا أرشدهم النبي ﷺ إلى الأكمل والأولى مع الله –عز وجل–؛ لأن صفة الأمة هي العبدة كلمة أمة كلمة عبدة؛ والعبودية لله وهذه الأمة وهذا العبد مكلف بالعبودية والتعبد لله؛ فلذلك الأولى أن يضاف لله على وجه الاستحباب.

لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ.

الرب هو السيد الصاحب، السيد رب الدار، صاحب الدار سيدها، وما يقال ربة بيت صاحبة بيت تربيه تدير، هذا من حيث أصل اللغة؛ لا بأس.

---

(٣٧٣) أخرجه البخاري : كتاب العتق ، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله: عبدي (٢٥٥٢)، ومسلم : كتاب الألفاظ من الأداب وغيرها ، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد (٢٢٤٩).

﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف:٢٣] يعني سيده، السيد هذا الله ذكره على لسان يوسف مقرًا له.

وقال: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] يعني الملك السيد ملك مصر.

فهذا يدل على أن أصله جائز؛ لكن نبه النبي ﷺ إلى هذه الألفاظ لا ينبغي للكملة وهم أصحاب النبي ﷺ أن يعتادوا على هذا مما يورثهم نفخة النفس، وأن يرووا أنفسهم، وأراد لهم التواضع هذا الأكمل للمؤمن.

وانظر المصنف -رحمه الله- حتى هذه الأشياء التي تحقق كمال التوحيد المستحب أوردها والأشياء التي تنقص كمال التوحيد المستحب نبه عليها -رحمة الله عليه- وهي من كلام النبي ﷺ ليس من اجتهاد المصنف -رحمة الله عليه-.

كذلك المصنف في مسائل التوحيد ماذا قال:

٥- التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ اَلتَّوْحِيدِ حَتَّى فِي اَلْأَلْفَاظِ.

تنبيه على أن هذا تحقيق التوحيد يعني أيش التحقيق الأكمل حتى في الألفاظ.

بَابٌ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهَ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ [٣٧٤].

الشرح:

هنا قال **بَابٌ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهَ** يعني من سأل بالله سأل شيئًا؛ أسألك بالله أعطني كذا أو أعني في كذا فيما يستطيعه الإنسان، ومما هو مستحق لهذا السؤال؛ لأنه قد يسأل الإنسان تَكثُّرًا ليس لأنه مستحق.

المسألة فيها تفصيل.

وقد يسأل مسالة محرمةً لا يحل له، وقد يسأل مسألة مكروهة؛ هذه خارج من سأل مكروهًا أو محرمًا لا يجاب لأنه سأل ما لا يحل أن يعان عليه، ومن سأل ما لا يستحق دخل في هذا الباب لأنه مثل الذي يسأل الناس وهو غير محتاج، مثل هذا الذي يسأل وهو معروف أنه غني، ويسأل الناس هذا لا يُعط من الزكاة وهو غني؛ ما يُعط حتى ولو سأل في الله؛ لأنه أعان على محرم.

هنا من سأل في الله فيما يستحق ليس حقها الواجب؛ لأن حقها الواجب يجب أن تعطيه.

هنا العلماء اختلفوا هذه القضية التي صورناها لكم ليس في المحرم أو المكروه أو ما يستحق أو حقوقه الواجبة هذه مفروغ منها: ذاك حرمه الشرع وهذا أوجبه الشرع؛ الكلام فيما لا يجب ولا يكره ولا يحرم: ما حكم من سألك بالله ما حكمه؟

من العلماء قال: يجب إن كان كنت قادرًا وهو يستحق يجب عليك أن تعطه.

ومنهم من قال: يستحب لأن أموالك لا يجب عليك أن تبذلها للناس إلا في الحقوق التي أوجبها الله عليك.

هذا أصل واضح، والأصل أن أموالك لا يجب عليك أن تبذلها للناس إلا فيما أوجب الله عليك.

---

(٣٧٤) أخرجه أبو داود: كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله (١٦٧٢)، والنسائي: كتاب الزكاة، باب من سأل بالله عز وجل (٢٥٦٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٢١).

هذا أصل تمسكوا به.

ولذلك الجمهور على أنه يستحب ولا يجب.

وذهب بعض العلماء إلى أنه يجب إذا سأل بالله؛ لأنه هنا سأل بالله، ولهم بعض الظواهر من الأحاديث التي تدل على ذلك منها:

يقول ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللهِ وَلَمْ يُعْطِ سَائِلَهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ هَجْرًا»[٣٧٥] أي شيئًا محرمًا؛ أخذوا بظاهر هذا الحديث وقالوا: مادام فيها لعن إذن يجب عليه أن يعطيه.

لكن الظاهر -والله أعلم- أنه فيمن هو بحاجة إلى ذلك وظاهر قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج] الحق إن احتاجوا إليه ومنها ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ [الماعون:٧] ولذلك مأخذ شيخ الإسلام حتى في قضية الماعون إذا احتاج إليه قال: (يجب إعطاءه والعارية تجب).

على كل: جمهور العلماء على أنه لا يجب إلا في الحقوق الواجبة وهذا أوجبها.

الأصل المقصود به هنا: من سأل بالله؛ تعظيم الله هذا مراد الشيخ: أن من حق الله عليك إن كان في الواجبات يجب عليك وترك هذا الواجب نقص في كمال التوحيد الواجب، وإن كان في المستحبات فنقص في كماله المستحب؛ لأنه لم يجب عليك ذلك.

هذا المراد من إيراد هذا الباب وما تبعه من تكملة قال:

مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ،

كذلك على هذا الباب: استعاذ بالله، استنصر بالله، وهو استنصرك واستعاذك بالله، قال: بالله ثم بك، لأنه ما قال: أستعيذ بك، قال: بالله ثم بك؛ يا فلان أنا عائذ بالله فأعذني؛ يجب عليك لأنه الآن صار استعاذ لكن في غير محرم.

أما من أوى محدثا -مر معنا في باب من ذبح لغير الله من آوى محدثا- ما تقول هذا استعاذ بالله؛ وهو محدث، أو أخذ حقوق الناس ويستعيذ؛ لا.

وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ،

---

(٣٧٥) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٤٨٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٩٠).

حمله جمهور العلماء على الوليمة العرس، ما لم يكن فيها عجزٌ أو منكرٌ فإنه في وليمة العرس يجب الإجابة.

وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، يجب المكافئة **فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**

الطالب: ...

الشيخ: قد يكون استعاذ بالله من الرجل لكن أيضا على هذا الباب يعني استعاذ بالله يأخذ حق الإنسان ويقول أنا أعوذ بالله ويأخذ حقه؛ لا، طالما هو تعدى عليه أو شيء من ذلك فاستعاذ بالله من؛ لأن من الناس من يخاف منه فقد يقول أعوذ بالله منك يجب عليه أن يعيذه إلا في حالة أن يأخذ حق الناس ثم يقول أعوذ بالله منك هذا ظالم يجب الأخذ على يده.

بَابٌ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[٣٧٦].

الشرح:

هنا تكملة لهذا الباب كالمكمل لأنه قال: لا يرد من سأل بالله أيضا لا يأتي الإنسان ويقول أسأل بوجه الله أسألك بوجه الله أن تعطيني كذا هنا؛ لا، وجه الله السؤال به هذا عظيم.

هذا الحديث وإن كان في إسناده نظر لكن سكت عنه أبو داود وتبعه المصنف -رحمه الله- قال «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ».

قال العلماء: المقصود به ألا يسأل الدنيا بوجه الله؛ شيء من الدنيا، أما ما كان للآخرة ويوصل للجنة فلا بأس؛ لأن النبي ﷺ قال «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ»، وما هو سبيل إليها لأنه قد يأت إلى شخص ويقول أسألك بوجه الله أن تعلمني سنن كذا وكذا من النوافل التي من العلم مثلا فهنا سأله ما يدل إلى الجنة وما سأله الجنة قال ما يدل إلى الجنة وهكذا.

(٣٧٦) أخرجه أبو داود: كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى (١٦٧١)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٠٦).

بَابٌ مَا جَاءَ فِي اللَّوْ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤] الآيَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران:١٦٨] الآيَةَ.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا؛ وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[٣٧٧].

الشرح:

هذا الذي أراد المصنف ما جاء في اللو لأن لو تفتح عمل الشيطان.

﴿لَوْ كَانَ لَنَا﴾ كأنه اعتراض على القدر أو الاعتماد على الأسباب، لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، وهذا قدر الله؛ هذا ينافي كمال التوحيد الواجب؛ هذا باب سبب إدخاله هنا.

وأورد شيئا من مما يدل على تحريم ذلك وهو أنه: ﴿يَقُولُونَ﴾ وهم المنافقون.

والقاعدة العلمية عند العلماء: أن الشيء إذا أردت أن تعرف قبحه فانظر يضاف إلى من؟

إذا أضيف للكفار أو إلى المنافقين أو الفساق أو كذا إذن هو قبيح.

وإذا أضيف إلى المؤمنين وإلى الأولياء وإلى أهل الجنة فهو حسن يحبه الله.

فلما أضيف إلى الكفار قال ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾.

ماذا قالوا يقولون: القدر.

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ سيأمرهم الله بأنفسهم، هم يقولون: نحن أُكرهنا ما هذا رأينا نحن أردنا أن يكون القتال في المدينة، ومحمد تركنا ﷺ وأطاع الجهال فخرجوا فقُتل أصحابنا.

---

(٣٧٧) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة (٢٦٦٤).

قال الله عز وجل الذين كتب عليهم القتل سيبرزون بأنفسهم من غير أن يأمروا بالخروج وقال ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ لو أطاعونا وقعدوا في المدينة ما قتلوا هناك.

كل هذه في صفات المنافقين فدل على أن هذا محرم لا يجوز لهم ولا يحق ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ [آل عمران:١٦٨] .

ثم أورد الحديث حديث أبي سعيدٍ، وهذا حديثٌ عظيمٌ انتبهوا له واحفظوه واجعلوه كما يقولون دستورًا وقانونًا تسيرون عليه.

يقول النبي ﷺ في أول الحديث أي في صحيح مسلم يقول: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ» فدل على أنهم يتفاوتون في الإيمان، لكن كلهم ما داموا مؤمنين فكلهم فيهم خير.

«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»

احرَص أو احرِص الكسر أحسن.

كما يقول النووي -رحمه الله-: الكسر في احرِص، ولا تعجِز بالكسر أحسن، ويجوز الفتح تعجَز تعجِز احرَص احرِص كلهم صحيح.

«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»

هذه الأولى قاعدة؛ انظر إلى ما ينفعك من الأمور فاحرص عليها.

« وَاسْتَعِنْ بِاللهِ»

هذه قاعدة؛ يعني: ابذل الأسباب العلمية والعملية لأنه قال «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ» كيف تعرف النافع من الضار؟

بالعلم.

ثم كيف تحرص عليه على النافع بالعمل.

إذن تحرص تبذل الأسباب العلمية والعملية.

« وَاسْتَعِنْ بِاللهِ» توكل لا على نفسك وعملك وجهدك توكل «وَلَا تَعْجِزَنَّ» لا تقل صعب؛ اسأل الله على كل شيء قدير، وهو ممكن إذا كان من الممكنات، هذا ينفعك إذا كان من الممكنات.

إذا واحدٌ يصير نبي! ممكن يصير نبي؟ ما يمكن، لكن ممكن يصير عالمًا إذا تعلم العلم وحفظ وكذا ممكن يصير عالمًا يحفظ القرآن ويحفظ العلم.

إذن يحرص ويستعن بالله هذا هو المقصود.

« وَلَا تَعْجِزَنَّ» في مسلم «ولا تعجز وإن أصابك شيء» بخلاف ما أردت يعني القدر جاء خلاف ما حرصت عليه «فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا» لا تقل لو ولو هذا القدر «وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ» في رواية في ضبط «قَدَرِ الله» يعني هذا قدر الله قَدَّر الله وما شاء فعل ليس لي قدرة.

«فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» إذا فُتح عليك عمل الشيطان دخل عليك الإحباط فلا تستطيع أن تعمل شيئا تيأس.

ولذلك قال النبي ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يُسْتَجِبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ» [٣٧٨] ألا يعلم أن الله يستجيب الدعاء وأن الله سميع عليم؛ فإذن ادع ولا تعجز.

قال «فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» أيضًا تفتح عمل الشيطان بالوسوسة.

قد يشك الإنسان يقول أنا أعمل عمل ولكن بعض الناس يقول أنا ما لي حظ، ما في بخت، فيترك ويلوم البخت والحظ؛ لا تلم، ابذل الأسباب والله هو الذي بيده كل شيء.

هذا الحديث عظيم احفظوه واعملوا به.

ويدل ذلك على أن الإنسان يحرص ألا يفتح أبواب الشيطان على نفسه بالتفكير والوسوسة وليت كذا وليت كذا؛ لا تفتح هذا الباب، تعلق بالله وحده، وابذل الأسباب التي شرع الله لك وتوكل على الله.

لكن هنا مسألة:

النبي ﷺ قال: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْت لَمَا سُقْتُ الهَدْيَ وَجَعَلْتُهُ عُمْرَةً» [٣٧٩] كيف يجمع بين هذا وبين هذه المسألة لما قال «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»[٣٨٠]؟

---

(٣٧٨) أخرجه مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يُستجب لي (٢٧٣٥).

(٣٧٩) أخرجه البخاري : كتاب التمني ، باب قول النبي ﷺ: «**لو استقبلت**» (٧٢٣٠)، ومسلم : كتاب الحج ، باب

قال العلماء: لو لا، هذا ليس من باب هذا القضية.

يقول القاضي عياض وغيره: (هذا كله مستقبل لا اعتراض فيه على قدرٍ، ولا كراهة فيه لأنه أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع).

يعني لو يعلم هذا لكان هذا الذي يفعل؛ يعني لو لم أسق الهدي وجعلتها عمرة، يعني لو أعلم القدر أن هذا هو لبذلت ذلك؛ يخبر النبي ﷺ على حرصه عليه.

هذا هو الفرق بينهم.

أما الذي يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا لو أني فعلت هذا السبب لنتج كذا؛ لا يمكن هذا لأنك ما تدري، قد تفعل هذا ويكون أردأ حالا؛ فأنت لا تعلم علم الغيب.

حجة النبي ﷺ (١٢١٨) من حديث جابر.

(٣٨٠) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب السواك (٢٥٢).

بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيح

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ». صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ [(٣٨١)].

الشرح:

هذا النهي عن سب الريح لماذا؟

مثل ما سبق في سب الدهر؛ لأنه يعود إلى الفاعل -عز وجل-؛ فالريح مأمورة؛ فإذا سب الريح إذن لم يرض بآمرها وفعله، فهو يعود إلى الفاعل؛ فهذا سوء أدب مع الله؛ الريح مأمورة.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا لَعَنَ الرِّيحَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لَا تَلْعَنِ الرِّيحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ**» كما رواه الترمذي وحسنه وصححه الألباني -رحمه الله- [(٣٨٢)].

فهذا فيه الإرشاد إلى الكلام النافع وترك الكلام السيئ لأن السيئ في هذا منافي لكمال التوحيد الواجب.

---

(٣٨١) أخرجه الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح (٢٢٥٢)، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٥١٨).

(٣٨٢)أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في اللعن (٤٩٠٨)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة (١٩٧٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٢٨).

بَابٌ قَوْلِ الله تعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤] الآيَةَ

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح:٦] الآيَةَ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ [٣٨٣] فِي الآيَةِ الأولى: «فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ، الَّذِي ظَنَّ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى: بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْحَمْدَ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ باللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتَهُ، وَمُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ، وَيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ؛ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إخَالُكَ نَاجِيًا».

الشرح:

هذا الباب هو كالمتمم للأبواب قبله كما جاء في اللو وما بعده وحديث سب الريح؛ لأنها تعود إلى الإنسان يسيء الظن؛ فالذي يسب الريح أو يقول لو أني فعلت كذا وكذا؛ أساء الظن بالله عز وجل.

---

(٣٨٣) «زاد المعاد» (٣/ ١٩٦).

فهنا أتبعه بهذا الباب قال ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٤] أهل الجاهلية يظنون أن الأقدار بأفعالهم؛ لا قدر، وأنه ما يفعلونه هو المسبب لهذا؛ فقال ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ فعلنا كذا فحصل كذا.

هذا اعتمادهم على الأفعال، وهذا ما يقوله القدرية النفاة المعتزلة؛ يقولون: الأسباب موجبة للمسببات، وينفون القدر.

قابلهم الجبرية: فنفوا الأسباب وقالوا: إن الإنسان مجبورٌ على شيءٍ، والأسباب ليس لها أي شيء.

وهذا كله جهل كله من فعل أهل الجاهلية، وإنما المؤمن يعتقد أن الأسباب من قدر الله.

فقال: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٤] يظنون أنهم هم الذين يفعلون قال: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٦٨] يظنون أنهم خرجوا بغير اختيارهم؛ وأنهم لما خرجوا قُتلوا، ولو جلسوا ما قُتلوا؛ فهذا من ظن الجاهلية.

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ [الفتح:٦] ينسبون إلى الله أفعال السوء، وأنهم هم يَبذلون ولكنهم لا يفعل الله بهم ما لا يستحقون؛ يعني: من السوء، ﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ [النمل:٤٧].

أفعال الإنسان ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٩] ما أصابك من سيئة بسبب أفعالك استحققت عقوبة، وما أصابك من حسنةٍ ففَضْل من الله؛ هو الذي أعطاك؛ تفضل عليك؛ وإلا العبد لا يستحق شيئًا؛ لأنه أصلًا وُجُوده وإيجاده وإعداده وإمداده من الذي وفقه إلى الطاعة؟ ومن أمده بالقوة؟ ومن هيئه لها؟ وعلمه له؟

هو الله.

ومن يفعل الطاعة من الذي أعانه عليها؟ من الذي حببه لها؟

الله.

إذن العبد كل ذلك يرجع إلى أن الله؛ هو الذي أعانه على ذلك ويعطيه الجزاء الحسن تفضلًا.

أما السيئات: فالله - عز وجل- يخذله؛ فيفعل ما يشاء؛ فعند ذلك يعاقب على فعله.

ولذلك يقول ابن القيم في الآية الأولى وهي قوله: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ فسر هذا الظن الآن كلام ابن القيم شارح فَسَّر هذا الظن أنه سبحانه لا يَنصر رسوله، وأن أمره سيضمحل؛ المنافقون قالوا مثل ما قالت قريش الجاهلية هؤلاء ادعوا الإسلام يقولون مثل قريش؛ قالوا: محمد أبتر، سيموت ويذهب ذِكره وينتهي دينه؛ فنصره الله.

المنافقون لما جاء النبي ﷺ إلى المدينة قالوا: سينتهي؛ يظن أنه سيملك ملك كسرى وقيصر، وأحدنا لا يستطيع أن يذهب يبول لمَّا حُوصر في الخندق؛ يظنون ظن الجاهلية مثل ظن هؤلاء قريش.

قال **فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ.**

هذا قول من التفاسير عن المنافقين.

وفُسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، يعني فسر بأن العبد يظن هذا المعنى الثاني ظن أهل الجاهلية يقولون إنها الأسباب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤] هذا قول أهل الجاهلية.

هذا نوع من التفاسير.

فسر هذا القول أنه فسر بأن ما أصاب العبد لم يكن بقدرٍ وإنما بفعله؛ ففُسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر.

الذين أنكروا القدر هم القدرية النفاة المعتزلة قالوا: لا قدر.

والذين أنكروا الحكمة الجبرية قالوا أن الأفعال بقدر بلا حكمة، أراد الله أن تكون ولا حكمة لوجود شيء من شيءٍ.

واضح: حرم الله الزنا فقط هكذا، وأباح النكاح هكذا، لا توجد حكمة!

وهكذا من الأشياء الشرعية كذلك المقادير يقولون هكذا هي: يجعل هذا ينتصر وهذا لا ينتصر.

نبي من الأنبياء يُقتل ولا يكون لدينه شيءٌ لا لحكمة وقدر، ونبي من الأنبياء يَنتصر ويكون لدينه ظهور قَدرٌ مجردٌ لا لحكمةٍ.

تعالى الله عما يقولون.

فاختلف ففُسر بإنكار الحكمة وهو قول الجبرية الذين يقولون الإنسان مجبور؛ والقدر بلا حكمة.

وبإنكار القدر؛ القدرية الذين ينكرون القدر، من المعتزلة هذا من التفاسير.

وإنكار أن يتم الله أمر رسولُه؛ أيضا هذا فسر قول الجاهلية من قريش لما قالوا: إنما هو أبتر، ولن يتم دينه، وقول المنافين وأن يظهره على الدين كله.

قال: وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ، الَّذِي ظَنَّ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

الذي يليق به أن ينصر أولياءه؛ أن ينصرهم ويؤيدهم رسوله ﷺ؛ وبذلوا الأسباب؛ ولله حكمة أن يكون يوم أحد يهزم جيش المسلمين هذه لحكمة؛ له الحكمة البالغة.

ومن تأمل في حكم الله حتى يكون دولة؛ تداول الحق والباطل له جولات ودولات؛ هذا لله حكمة.

وحمدٌ يُحمد على أفعاله التي نحبها والتي لا نحبها نحمده سبحانه.

ولذلك ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢] هؤلاء قالوا إذن انتهى الإسلام غزينا وحوصرنا وهكذا كيف ننتصر؛ وبلغت أمورهم إلى حد ظن ظنوا سيئًا بالله عز وجل، وأن الله لن ينصر دينه، والنبي ﷺ يضرب بالمعول الحجر ويُبرك ويقول: أبشروا إني رأيت كنز فارس والروم؛ في أضيق الأحوال منشرح الصدر واثقٌ بالله والمؤمنون يَفرحوا يُصدقوا، والمنافقون ماذا يقولون؟ إن أحدنا لا يستطيع أن يذهب يبول وهذا يقول إني رأيت كنز كسرى؛ انظر إلى الحال المتفارقة. سبحان الله!

ثم الآن يفصل هذه الأشياء قال:

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَقُّ،

هذه واحد بعض الناس يظن لما يرى الباطل يكثر وأهل الباطل يكثرون والكفار يكون لهم يقول خلاص انتهى الإسلام، ما بقي انتهى يظن ذلك؛ والله وعدنا أنه ستبقى طائفة من هذه الأمة إلى قيام الساعة، وأن هذا الدين باق إلى قيام الساعة، وأنه منصور وعزيز بعز عزيزٍ يعز الله به الإسلام وأهله أو بذل ذليل يذل به الله الكفر وأهله.

يقول: فمن ظن ذلك فقط ظَنَّ ظَنَّ السوء؛ قد يصير على الإسلام ابتلاء ونقص يبتليهم الله –عز وجل–: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء:٣٥] امتحان.

أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى: بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ،

كذلك هذا من الناس من ينكر ذلك، ويقول إنما هي بالأفعال إنما لو خرجنا لو جلسنا ما قتلنا.

أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ.

هذا من الجبرية يقول قدر الله بدون حكمة.

يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْحَمْدَ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ.

هذا قول الجبرية يقول: مشيئة محضة لا حكمة بها ينكرون الحكمة.

فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

هذه يوجد من المسلمين من الجبرية من أهل الإسلام من ينتسب إلى الإسلام ينفون القدر من القدرية المعتزلة، وكثيرٌ منهم علماءٌ وفقهاءٌ، وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم من العامة أو من الخاصة، وفيما يفعله بغيرهم حتى إذا رأى ما يفعل بغيرهم يظن ظن السوء، ولا يَسلم من ذلك إلا من عَرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

الله أكبر هذه تحتاج إلى علمٍ، تحتاج إلى قلبٍ متعلق بالله وأنه هذا لحكمة، مثل ما قال عز وجل: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ [النساء:٧٩].

عد إلى نفسك، وقل: هذا من قدر الله وحكمته؛ لله الأمر من قبل ومن بعد؛ ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:٥] ينصر من يشاء؛ قضية الروم وفارس أيضًا هذه كان لها عبرةٌ ولله حكمة حتى في تأخير انتصار الروم على الفرس له حكمة قال:

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ، وَيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ

بعض الناس إذا تأخر عليه الشيء يحصل له يأس أو يظن أن الله لن يفرج له؛ هذا أيضًا من ظن السوء؛ ألم يعدك الله وعدًا حسنًا؟ ألم يبشرك الله؟ ألم يقل: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾ [الشرح] ومع كل عسرٍ يسرٌ، إذن الله وعدك فانتظر الفرج واعلم أن له حكمة.

قال: وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ؛ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ.

ليش كذا حتى في نفسه، أنا ليش؟ أنا أفعل كذا ولا يحصل أجر، ولا يحصل إلى آخر ذلك.

وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا.

سواء إن كان في قضية الولاة، قضية الإنجاب، قضية الوظيفة، قضية الدين، ليش فلان عنده كذا وأنا ما عندي؟!

أنا أفعل مثل يفعل وهو يحصل وأنا لا يحصل؟!

تدور في نفس الإنسان هذه وهي من وساوس الشيطان؛ ولو تفتح عمل الشيطان.

قال: وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ   وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إخَالُكَ نَاجِيًا».

اللهم أنجنا وخلصنا من هذه الوساوس يا رب العالمين واجعلنا من عبادك المتقين المسلمين لأمرك.

لاحظ الآن أدخل بعده باب القدر **مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي الْقَدَرِ** حسن التصنيف والترتيب تسلسل عجيب من المصنف.

بابٌ ما جاءَ في مُنْكري القدَر

وَقَالَ ابنُ عُمرَ: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لأَحَدِهِم مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبيلِ اللهِ؛ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ، حتَّى يُؤمِنَ بِالقَدَرِ، ثمَّ استدلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْإِيْمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٣٨٤].

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ؛ أَنَّه قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنيَّ؛ إِنَّكَ لَنْ تجِدَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أخطأكَ لَمْ يكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ! وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُوْمَ السَّاعَةُ»، يا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»[٣٨٥].

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ[٣٨٦]: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ[٣٨٧]: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يُؤمِنْ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وشرِّهِ؛ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ».

وَفِي الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ[٣٨٨] عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ؛ قَالَ: أَتَيْتُ أُبيَّ بنَ كعبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيءٍ لَعَلَّ اللهُ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: «لَوْ أنفقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْك؛ حَتَّى تُؤمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ

---

(٣٨٤) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٨).

(٣٨٥) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء (٢١٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٨).

(٣٨٦) أحمد (٢٢٧٠٥).

(٣٨٧) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء (٢١٥٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٨).

(٣٨٨) أخرجه أحمد (٢١٥٨٩)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في القدر (٤٦٩٩)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب في القدر (٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيفةَ بْنَ الْيَمَانِ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ؛ فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ». حَدِيثٌ صَحِيْحٌ، رَواهُ الحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ.

الشرح:

هذا الباب عظيم **بَابٌ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ** الذين أنكروا القدر هم المعتزلة من هذه الأمة.

وهم أيضا المجوس الذين قالوا بالأصلين، فهم ينكرون القدر يقولون: للشر إلهٌ وللخير إلهٌ، فينكرون القدر، ومثلهم مجوس هذه الأمة قال ﷺ: «**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ**» كما في حديث سنن أبي داود من حديث ابن عمر [(٣٨٩)].

هذا الباب في الرد على نفاة القدر من المعتزلة، أورد فيه المصنف حديث ابن عمر قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ**» حديث ابن عمر له سبب:

فعَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ.

يعني يبحثون عن الأرض القفر التي ما وطاها أحد؛ يبحثون عن العلم الذي ما طرقه أحد؛ وهذه طريقة أهل البدع دائمًا لا يسلكون طريقة السلف.

وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ.

يعني مستأنف ما في قدر سابق.

قال: أَمِنَ الْمُسْلِمِينَ هُمْ؟ قُلْتُ: نَعْم مِمَّن يُصَلُّون إلى القبلة. قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا

---

(٣٨٩) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر (٤٦٩١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٥٩)، والبيهقي (١٠/ ٢٠٣)، وفيه: انقطاعٌ بين سلمة بن دينار، وابن عمر، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٢).

قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ.

فلا يقبل منه لأنه غير مسلم؛ والله يقول عن الكفار: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣].

ثم استدل بقول النبي ﷺ «الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، رَوَاهُ مُسْلِم، وغيره أيضًا.

المهم إنه هذا الحديث عظيم في بيان القدر، وأن من أنكر القدر فليس من الإسلام في شيء؛ لأن من أصول الإيمان الستة الإيمان بالقدر.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩].

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] حتى أعمالك مخلوقة بقدر ثم أورد الأحاديث منها حديث عبادة بن الصامت الذي فيه قوله: أَنَّه قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ؛ إِنَّكَ لَنْ تجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ صدق لأن الله يقول: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١]

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ ﴾أي مصيبة كبيرة أو صغيرة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾أي بقدر الله؛ إذن الله؛ الإذن القدري.

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ أنه الخالق المقدر يهدي قلبه؛ بل إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ويقول -عز وجل-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد:٢٣]

الإنسان إذا جاءه أموال يقول أي شيء؟

كمثل ما قال قارون ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص:٧٨] هو يفرح بما آتاه.

قال الله: اعلم أنه بقدرٍ.

كذلك ما أصابك من مصيبة اعلم أنها بقدر.

لا تأس؛ لأنه قدر.

إذا علم ذلك واستقر في نفسك انشرح صدرك.

قال ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ أَوْ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ»، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «لَا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾» [(٣٩٠)]

فيجتهد الإنسان أن يعمل بعمل أهل السعادة؛ ليكون منهم؛ لا يجيء ويترك الأمر ويقول: والله هذا أمرٌ مقدرٌ ويترك لا يصلي ولا يصوم ولا يبذل.

إذن هذا عمل أهل الشقاوة لا عمل أهل السعادة؛ إذن هو ترك بنفسه فوقع في الشقاوة وهو يظن أنه ينتظر القدر، هذا الترك هو عمل لكنه عمل أهل الشقاوة؛ فإذا أصابه شيء يسوؤه هل يقول: الأمر لله قدره الله؟

لا.

أما عمل أهل السعادة تجده لا يلوم القدر، ويسلم لقدر الله.

ففرق بين الذي طلب منك فعله والذي طلب منك التسليم له: فإذا طَلب منك فعله تفعله؛ فكل ميسر لما خلق له.

---

(٣٩٠) أخرجه البخاري : كتاب التفسير ، باب فسنيسره للعسرى (٤٩٤٩)، ومسلم : كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧).

قال عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ [الليل:٥] هذه أعمال: أعطى الواجب وأدى الحقوق واتقى المحرمات ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ [الليل:٦] عنده تصديق أن الله يجازيه ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل:٧] فهذا عمل أهل السعادة.

وقال عز وجل: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾ [الليل:٨] بالواجبات والحقوق، واستغنى عن الله وعن ما عند الله ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ [الليل:٩] بالجزاء الحسن ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل:١٠] ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾ [الليل:١١] إلى آخر الآيات.

يقول: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ! وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُوْمَ السَّاعَةُ»

كل شيء مكتوب بقدرٍ.

وحديث ابن عباس «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، » [٣٩١] كل الأمة لو اجتمعوا على ذلك وهو لم يكتبه الله فلم يستطعوا؛ فإذا بذلوا البذل ونفعوك بشيءٍ فاعلم أنه الله الذي كتبه وقدره والله الذي أمرهم ويسر ذلك.

«وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفَ» فهذه مقادير انتهت وفُرغ منها.

وذكرنا في الدرس الماضي وذكرنا المقادير الأربعة اللوح المحفوظ وذكرنا ما نعيده إذن.

بقي مراتب القدر.

القدر إذا علمت مراتب القدر هذه لا يعرفها إلا أتباع السلف أهل السنة والجماعة، أما الجبرية ما يعرفونها بالتفصيل والترتيب ، وكذلك القدرية النفاة ما يعرفونها، وهي:

العلم ثم الكتابة ثم المشيئة ثم الإيجاد والخلق.

هذه هي المراتب بالترتيب:

---

(٣٩١) أخرجه الترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الشيخ الألباني : كتاب «التوسل» (٣٥).

عَلِمَ الله الخَلْق ما هم فاعلون في الأزل، بعِلْمه الذي لا أول له؛ لأنه الأول الذي ليس شيء قبله؛ علم ما هو كائن، فقال للقلم اكتب فكتب جرى فكتب كل شيء؛ فالمكتوب هو ما علم الله وجوده، ولن يكون شيء إلا بأمر الله وإذنه؛ لأنه لا يوجد شيء ما أراده الله.

قال عز وجل ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]

وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠]

فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ومن مراتب القدر العلم، ذكر العلم، وهو حكيم ومن حكمته أنه قَدَّر كل شيء بقدر.

المرتبة الثانية: الكتابة.

ثم المشيئة: إذا شاء الشيء كان، ولو لم يشأه الناس سيكون، ولن تكون للناس مشيئة مهما عظموا إلا بأمر الله وإذنه.

﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] فالملائكة ذات عظمة وجاه، وهم خَلْقٌ عظيمٌ ومع ذلك لا يستطيعون الشفاعة إلا بإذن الله .

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] وإذنه القدري.

ثم إذا شاء الشيء كان؛ يقول له: كن، فيكون، يُوجد.

احفظ هذا الترتيب.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢] الكتابة قبل البرء والإيجاد، والبرء هو الخلق والإيجاد.

قال: **يا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»**

لأن الذين ينكرون القدر المجوس.

قال **وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»**

وقصة ابن الديلمي لما جاء إلى الصحابة إلى أبي بن كعب وإلى ابن مسعود وإلى حذيفة وإلى زيد بن ثابت كلهم على هذا الشيء وفي الرواية المصنف ذكرها مختصره في رواية عند ابن ماجة بلفظه وعند

أبي داود وأحمد يقول ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي ، فَأَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ ، فَقُلْتُ : أَبَا الْمُنْذِرِ ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي ، فَحَدِّثْنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ ، وَأَهْلَ أَرْضِهِ ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا ، أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ ، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَتَسْأَلَهُ ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ فَسَأَلْتُهُ ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أُبَيٌّ ، وَقَالَ لِي ، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُذَيْفَةَ ، فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا ، وَقَال : ائْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَاسْأَلْهُ ، فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «**لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ ، وَأَهْلَ أَرْضِهِ ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ، أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ**».

فدل على أن أُبي وحذيفة وابن مسعود كلهم أخبروا بما سمعوا من رسول الله ﷺ فلذلك رفعه زيد بن ثابت رضي الله عنه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (قال الإمام أحمد: القدر قدرة الله فمن أنكر القدر أنكر قدرة الله).

ولذلك المعتزلة لما أنكروا القدر قالوا: إن أفعال العباد ليست بقدر الله؛ وهم يفعلونها وهم الذين يوجدون فعلهم؛ فوصل بهم الأمر إلى أن أنكروا؛ وأن الله غير قادر على فعل العبد؛ يعني الله أراد من العبد أن يُصلي فهو أبى فصار العبد قادرًا على ما لم يقدر عليه الله؛ تعالى الله.

فلذلك مجوس هذه الأمة والقدرية نوعان:

قدرية النفاة، وهم قدرية قدامى: كانوا ينفون العلم، يقولون: إن الله لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها، ما علم العلم السابق؛ هؤلاء اتفق السلف على أنهم كفار .

والقدرية الثانية قالوا: لا؛ عَلِمَ الله بها وأَرادها ولكنها لم تكن على ما أرادها، وشاء من الناس أن يؤمنوا وعصونه؛ فأخرجوا أفعال العباد من قَدَر الله.

وهذا هو في الحقيقة كفرٌ؛ لكن السلف عذروهم لشبهةٍ وقعت لهم.

لكن قد يقول قائل: إذا كان الله كَتب كل شيءٍ وشاءه فإذن هؤلاء الذين ما آمنوا الله شَاءَ ذلك منهم؟

نقول: نعم شاء ذلك منهم، لكن عَلِم الله أنهم لن يُؤمنوا، فشاء ذلك منهم مشيئةً قدريةً، وكَتَبَهُ عليهم وشاءه؛ عَلِمَهُ.

قال عز وجل: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال]

وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨]

لأنهم سيقولون يوم القيامة: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر:٣٧] يقول الله: هذه دعاوى؛ لأن الله عَلِم بعلمه السابق أنهم لن يُؤمنوا؛ فكتبه عليهم وشاءه، ولن يخرجوا عن مشيئته تبارك وتعالى.

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلِيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً». أَخْرَجَاهُ[٣٩٢].

وَلَهُمَا [٣٩٣] عَنْ عَائِشَةَ ﵂؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ».

وَلَهُمَا [٣٩٤] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ؛ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

وَلَهُمَا [٣٩٥] عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».

وَلِمُسْلِمٍ [٣٩٦] عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ؛ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟: «أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

الشرح:

هذا الباب له علاقة بكتاب التوحيد؛ لأن التصوير فيه مسألتان:

الأولى: أنه مضاهاة لخلق الله.

---

(٣٩٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {والله خلقكم وما تعملون} (٧٥٥٩)، ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة (٢١١١).

(٣٩٣) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب ما وطئ من التصاوير (٥٩٥٤)، ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير الحيوان (٢١٠٧).

(٣٩٤) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ وما هو بنافخ (٥٩٦٣)، ومسلم: كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (٢١١٠).

(٣٩٥) أخرجه البخاري: كتاب التعبير، بَابُ مَنْ كَذَبَ فِي حُلُمِهِ (٧٠٤٢)، ومسلم: كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (٢١١٠).

(٣٩٦) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (٩٦٩).

كأن المصور الذي يصنع التصوير يَرسم الأشياء أو ينحتها كأنه يضاهي خلق الله؛ ففيه منازعة للربوبية.

الشيء الثاني: أنه سبب للشرك.

مر معنا في أسماء ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ [نوح:٢٣] قال ابن عباس: أسماء رجال صالحين ماتوا من قوم نوح ماتوا فصوروا لهم أتاهم إبليس، فقال: صوروا صورهم فصورها فنسي العلم فعبدت إلى آخر القصة المعروفة -مرت معنا- .

فالتصوير له مدخل في كتاب التوحيد من هذا الباب أنه مضاهاة من جانب التوحيد الربوبية، ومضاهاة لله في الخلق في جانب التوحيد الألوهية؛ قدح؛ أنه سبب إلى عبادة غير الله بصناعة الأصنام؛ لذلك أورده المصنف في هذا الباب.

فالتصوير محرم، وهو كبيرة من الكبائر؛ لأنه ملعون صاحبه؛ وجاء فيه: أشد الناس عذابا، وفيه اللعن؛ فدل ذلك على أنه كبيرة، والكبيرة تنافي كمال التوحيد الواجب؛ لا نقول تنافي التوحيد كليًّا؛ لكن تنافي كمال التوحيد الواجب، هذا هو الذي دل عليه ودل على أنه يجب طمسها.

بَابٌ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلِف

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». أَخْرَجَاهُ[(٣٩٧)].

وَعَنْ سَلْمَانَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لَا يَشْتَرِي إِلاَّ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[(٣٩٨)].

وَفِي الصَّحِيحِ[(٣٩٩)] عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ- قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا! -، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُوْنَ وَلَا يُسْتَشْهَدُوْنَ، وَيَخُونُوْنَ وَلَا يُؤْتَمَنُوْنَ، وَيَنْذُرُوْنَ وَلَا يُوفُوْنَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ».

وَفِيهِ[(٤٠٠)] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ».

---

(٣٩٧) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب يمحق الله الربا ويربي الصدقات (٢٠٨٧)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب النهي عن الحلف في البيع (١٦٠٦).

(٣٩٨) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٤٦/ ٦١٢٤)، وفي «المعجم الأوسط» (٥/ ٣٦٧/ ٥٥٧٧)، وفي «المعجم الصغير» (٢/ ٨٢/ ٨٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٢٠/ ٤٨٥٢)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٣٧/ ٦٣٣٥)، وقال: «رواه الطبراني في الثلاثة إلا أنه قال في الصغير والأوسط: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم». فذكره ورجاله رجال الصحيح».

(٣٩٩) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (٢٦٥١)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم (٢٥٣٥).

(٤٠٠) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥١)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣).

الشرح :

بَابٌ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلِفِ يعني من الذم والوعيد، وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة:٨٩] يعني إذا حلفتم فاحفظ يمنك؛ بأن لا تنقض اليمين أو كفرها.

أو ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ فلا تكثروا الحلف.

وكأن المصنف ساقها لهذا الباب؛ لأنه أوردها في كثرة الحلف؛ والعلماء ذكروا هذين المعنين في قوله: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ :

منهم من قال : احفظوها فلا تكثروا الحلف.

ومنهم من قال: احفظوا إذا حلفتم فلا تنكثوها حافظوا عليها .

فهذا أمر من الله عز وجل بحفظ اليمن.

ومر معنا ما جاء في الحلف بغير الله وأنه شرك أصغر.

وهنا أراد المصنف أن الإنسان لا يكثر الحلف بالله؛ يبتذل اسم الله؛ على أدنى شيء إلا في حق؛ فلا بأس لكنه لا يكثر.

قال: **سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»**.

قد يُنَفِّق الإنسان: والله اشتريتها بكذا. يُنَفِّق السلعة يُصَدِّقه الناس، لكنه يَمحق الكسب خاصةً إذا كان كذبًا، فهو أشد.

وقد يكون منفقة للسلعة ممحقة للكسب ولو كان صدقًا مع كثرة امتهان اسم الله على هذا لا يراد على هذه الأشياء اسم الله.

مر معنا حديث: «**لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ**» [٤٠١]، كذلك اسم الله لا يمتهن؛ أما عند الحاجة لا بأس به أمر ليس على التحريم، لكنه قد يكون فيه سبب لمحق البركة.

ثم ذكر حديث سلمان وغيره ذلك ليدل على أن كثرة الحلف:

---

(٤٠١) أخرجه أبو داود : كتاب الزكاة ، باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى (١٦٧١)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٠٦).

تنافي كمال التوحيد المستحب إن كان في حق؛ لأن الأولى أن الإنسان أن يحفظ يمينه.

وإن كان في الحرام فتنافي كمال التوحيد الواجب.

ومر معنا التفصيل في الحلف بغير الله متى يكون أكبرًا ومتى يكون أصغرًا.

قال: قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ».

أن الإنسان لا يتساهل في هذه الأمور.

بَابٌ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ الآيَةَ.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، فَقَالَ: «اغْزُوا بِسْمِ اللهِ، قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ: خِلَالٍ - فَأَيَّتَهُنَّ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُم أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَى، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ؛ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ؛ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ؛ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا؟». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٤٠٢].

الشرح:

هذا الحديث أو هذا الباب **بَابٌ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ** يعني العهد والأمان.

الذمة المقصود بها: العهد والأمان.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾ هذا هو المراد ﴿ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ذمة الله وذمة نبيه .

---

(٤٠٢) أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (١٧٣١).

العهد يعني عهد الله وعهد نبيه؛ لا تتساهل فيها؛ تقول: عليك عهد الله؛ هذا يحصل بين الناس؛ بعض الناس يتعاهدون فيقول: عليك عهد الله أو علينا عهد الله؛ وهنا إذا حصل نقض لهذا وخفر له حصل نقض لذمة الله وعهده، وهذا أعظم من أن تخفر ذمتك أنت؛ لأنه إذا قلت: عليك ذمتي، أعطيك عهدي ذمتي، يعني عهد أمان؛ فإذا نقضت؛ فهو معصية كما في الحديث لما قال النبي في المنافق : «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّث كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» (٤٠٣) فهذه معصية.

لكن يزيد على الغدر أن يقول : عهد الله؛ فهذه جريمة أعظم وأعظم؛ هي كلها كبيرة لكن هذا أعظم.

فهنا أراد المصنف أن ينبه على هذا أن من أخطاء بعض الناس الذين يتساهلون في هذا، فنبه على شيء يحصل على ألسنة بعض الناس يقول: عليك عهد الله وأمان الله، ويزيدون كلمة سيئة: والخائن يخون الله!

أستغفر الله، هل الله يخون تعالى الله؟

مهما كان؛ لأن الله لما قال: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ [الأنفال:٧١] ما قال فخانهم.

بينما المكر والخديعة قال ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٢].

قال: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٥٤] لماذا؟

لأن المكر والمخادعة فيها جانبين جانب سيء وجانب حسن:

الجانب السيء: أن تمكر بمن استأمنك أو تخدع من أمنك هذا الجانب السيء؛ لأنه خيانة.

والجانب الحسن: أن من يَمكر بك تمكر به أو يخادعك بينك وبينه تخدع به؛ قال النبي ﷺ: «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ» (٤٠٤).

---

(٤٠٣) أخرجه البخاري : كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق (٣٤)، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق (٥٨).

(٤٠٤) أخرجه البخاري : كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة (٤٠٢٩)، ومسلم : كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب (١٧٤٠) من حديث أبي هريرة.

فلذلك الله لم يضف إلى نفسه «المكر» أو «المخادعة» مطلقًا ؛ إنما أضافهما على وجه المقابلة قال:

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ في حالة المخادعة.

وكيف يخادعهم؟

قال: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف:١٨٣] يظنون أنهم بهذه المخادعات والكذب على رسول الله وعلى المؤمنين أنهم قد نجوا وهم يهلكون أنفسهم وما يشعرون.

المكر كذلك.

أما الخيانة: فما لها إلا وجه واحد سيء، وهو مقابل الأمانة؛ فلذلك ما أضافها الله إلى نفسه مطلقًا قال: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ ما قال فخانهم، ولذلك يسيء بعض الناس يقول: والخائن يخون الله!

الله ما يخون.

بعضهم يقول: والظالم يظلم الله.

الله ما يُظلم، تعالى الله هذا من سوء الأدب الذي دأب على ألسنة بعض الناس، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

المهم أنه أن العبد يجب إذا عاهد لا يعاهد بذمة الله؛ يعاهد بعهده هو ولا بذمة رسول الله أيضًا.

لأنه كما قال ﷺ: «فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ؛ أَهْوَنُ»

قال: إن تخفروا يعني إن تغدروا؛ فيكون الذنب أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه.

كما قال:

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

ليس أنه يجوز أن تخفر بذمتك؛ لكن من باب أن هذا أعظم من هذا.

وهذا يدل على أن بعض الكبائر بعضها أكبر من بعض؛ لأن الغدر والخيانة بذمتك أنت كبيرة ؛ فكيف بذمة الله؟

أكبر منها؛ لا أنه يدل أن هذه صغيرة وهذه كبيرة؛ لا؛ الكبائر بعضها أكبر من بعض .

وهذا يدل على أنه ينافي كمال التوحيد الواجب.

بَابٌ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٠٥).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ».

الشرح:

قال **بَابٌ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ**

قال النبي ﷺ: «**كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ مِنْهُمُ البَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ**» (٤٠٦) فإذن هناك من يقسم على الله فيبره .

وهنا جاء النهي عن الإقسام عن الله المصنف لم يجزم بالحكم قال **بَابٌ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ** ؛ لأنه على قسمين:

فإن كان الإقسام على الله فيما هو مباح مع حسن الظن بالله فهذا لا بأس به.

مثل ما قال: قالوا الصحابة جاءوا إلى البراء بن مالك وقالوا له: يا براء ادعوا الله وأَقسم على الله أن ينصرنا، فكان يقول: اللهم إني أقسم عليك أن تنصرنا هذا اليوم فينصرهم؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن منهم البراء بن مالك؛ لأنه كان رجلًا صالحًا مثل ما وصف ﷺ قال: «**كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ مِنْهُمُ البَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ**» وهو أخو أنس بن مالك.

فهذا لا بأس به في المباح على مع إحسان الظن بالله؛ يعني يبذل الأسباب مع إحسان الظن بالله.

أما المحرم: هو أن يقسم على الله ويتألى.

الإقسام: التألي، الإقسام يعني اليمن.

---

(٤٠٥) أخرجه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى (٢٦٢١).

(٤٠٦) أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، مناقب البراء بن مالك (٣٨٥٤) من حديث أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٧٣).

سبقه باب: **بَابٌ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ** ، وهنا باب: **بَابٌ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ** هو الحلف، أبواب متتالية شبيهة بعضها.

لكن هنا الحلف على الله في أن الله سيفعل كذا مع سوء الظن؛ هذا تألي على الله.

هذا الرجل ماذا قال؟

قال: والله لا يغفر الله لفلان؛ هذا غرور لا يغفر الله لفلان! من أخبرنا الله أنه لا يفغر له نقول: لا يغفر الله لفلان، كفرعون: أخبرنا الله أنه لا يغفر له؛ نقول والله لا يغفر الله لفرعون؛ لماذا؟

لأن الله أخبرنا بأنه ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود:٩٨] هذا أخبرنا الله عنه وهكذا مَن علمنا أن الله لا يغفر له نقول ذلك.

أما عاصي من عصاة المسلمين مهما كان من الفجور مادام أنه مسلم لا نستطيع أن نقول إن الله لا يغفر له؛ لكن على سبيل العموم، ما أخبر النبي ﷺ إن الله لا يغفر لهم لا يغفر لكذا؛ لا يغفر لصاحب كذا؛ هذه إخبارات عامة، أما أن يقول لفلانٍ معينٍ؛ فما يجوز.

فقال الله عز وجل من ذا الذي يتألى علي؟

يتألى أي يقسم؛ لأن التألي هو الحلف، الألي هي اليمن، والألية هي اليمين.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النور:٢٢] يأتلي يحلف.

«**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**» هذا يقوله؛ في رواية أن القائل –إن الله لا يغفر لفلان– كان رجلًا عابدًا، كان يأتي إلى صاحبٍ له مُسرفٌ على نفسه بالذنوب فيقول يا فلان انزع اترك، فيقول كذا ثم قال مالك بيني وبين الله دعني ربي يحاسبي، قال: والله لا يغفر الله لك، فقال الله: **مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**.

يقول **أَبُو هُرَيْرَةَ**: «**تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ**»

فيدل على أن العبد لا يغتر بنفسه، وأنه رجلٌ صالحٌ؛ يُقَسِّم رحمةَ الله: هذا مؤمنٌ وهذا فاسق وهذا ضال وهذا مبتدع وهذا؛ لا، لا تُقَسِّم رحمة الله، من هو على هذه الضلالة هو عليها؛ لكن أنت نزه نفسك لأنك لا تدري ما الذي يظهر الله ويغضبه، فقد تقع في شيء نسأل الله العافية والسلامة يغضب الله عليك.

بَابٌ لَا يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَى خَلْقِه

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ!، سُبْحَانَ اللهِ! »، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ ...»، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٠٧).

الشرح:

هذا الباب: **بَابٌ لَا يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَى خَلْقِه**؛ يُستشفع بالخلق إلى الله؛ تأتي إلى الشخص وتقول: ادع الله لي.

هذا أن تستشفع به.

وفي الحديث: يا رسول الله **فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ**، ما أنكر هذا.

قال: **وَبِكَ عَلَى اللهِ**، ونستشفع بك على الله هذه ما أنكرها.

يعني: نطلب منك الشفاعة إلى الله هذه ما أنكرها النبي ﷺ؛ قال نستشفع بالله عليك يعني مثل ما يقول العامة: نتوجه بالله عليك الآن العامة بعض الجهال يقول: وجه الله عليك! و«**لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ**» أي وجه الله عليك، الوجه: هو الجاه عندهم، وهذا من الجهل العظيم بالله؛ لا يستشفع بالله على خلقه؛ إذا أردت أن يسخر الله عبدًا فاسأله: اللهم سخر فلانًا لي، شفعه لي، يأمره أما أن يقال: إني أتوجه بالله عليك أمر الله عظيم.

لذلك قال النبي ﷺ «**سُبْحَانَ اللهِ!، سُبْحَانَ اللهِ! »، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ**» خافوا وخشوا الله خافوا أن ينزل عقوبة.

ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ من خلقه» تعالى الله.

---

(٤٠٧) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في الجهمية (٤٧٢٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦١٧٣).

هذا يدل على أن هذا الشيء محرم وأنه ينافي كمال التوحيد الواجب.

بَابٌ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ، وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ [٤٠٨].

وَعَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ [٤٠٩].

الشرح:

هذا الباب رقم اثنين وعشرين.

وسبق معنا: **بَابٌ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ، وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّرْكِ**.

وهنا قال: **بَابٌ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ، وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ.**

ذكرنا هناك الفرق بين البابين:

أن الباب هناك فيه قال حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، الجانب نفسه؛ يحمى نفس التوحيد.

هنا قال: حمى التوحيد، الحمى ما يحيط به من وراءه؛ يحمي الحمى.

وهناك ذكر أشياء تفعل قال لا تجعلوا قبري عيدا ونهى عن ذلك.

هنا ذكر ألفاظ التي هي وسائل.

هناك ذكر الأفعال وهنا ذكر الألفاظ.

هنا ماذا قالوا؟ قالوا يا رسول الله أنت سيدنا.

هل هو سيدنا أم لا؟

بلى هو سيدنا ﷺ لا شك في هذا؛ قال «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**» [٤١٠].

---

(٤٠٨) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح (٤٨٠٦)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

(٤٠٩) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٠٠٧)، وأحمد (١٣٥٢٩)، وصححه الألباني في غاية المرام (١٢٩).

لكن هذا اللفظ لما جاء سعد بن معاذ قال: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»، فَأَنْزَلُوهُ[٤١١].

فسماه السيد لكن هنا جاء على سبيل التعظيم، وخشي ﷺ من الغلو فيه فقال: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قالوا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ».

كلامهم حق، هو أعظمهم فضلًا وأطولهم عطاءً.

أو بعض قولكم، لو خفضتم أفضل؛ نهيا عن التجاوز.

وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ.

الجري هو الرسول يعني لا يجعلنكم الشيطان رسلًا له في سبله.

فهذا نهى عنه لماذا؟ ما الذي نهى؟

نهى عن شيء محرم أم شيء مباح، في هذه القضية صفته بأنه السيد وأنه الأفضل أليس كذلك؟ هو حق لكن نهى عنه؛ لأنه وسيلةٌ إلى حمى التوحيد، نهى عنه لحماية حمى التوحيد ﷺ؛ نهي عن المباح خشية الوقوع في المحرم لا يوصل للحمى.

الثاني حديث أنس أنهم قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ».

أي لا يوقعكم في الهوى.

أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ».

ونعم المنزلة: رسول الله عبد الله ورسوله.

فهنا نهاهم هذا كذلك من هذا؛ الباب كله لأجل أن يسد الطرق الموصلة إلى حمى التوحيد ﷺ.

---

(٤١٠) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٥)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ (٢٢٧٩).

(٤١١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجلٍ (٣٠٤٣)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد (١٧٦٨).

بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ حِبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحِبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ الآيَةَ [٤١٢].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ [٤١٣]: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ [٤١٤]: «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ». أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا [٤١٥]: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ؛ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ» [٤١٦].

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ [٤١٧]: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ؛ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ».

---

(٤١٢) أخرجه البخاري : كتاب تفسير القرآن ، باب قوله: {وما قدروا الله حق قدره} (٤٨١١)، ومسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٦).

(٤١٣) أخرجه مسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٦).

(٤١٤) أخرجه البخاري : كتاب تفسير القرآن ، باب قوله: {وما قدروا الله حق قدره} (٤٨١١).

(٤١٥) أخرجه مسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٨).

(٤١٦) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٤).

وَقَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»[٤١٨].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ».

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ.

وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ؛ قَالَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

قَالَ: «وَلَهُ طُرُقٌ»[٤١٩].

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟»، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[٤٢٠].

---

(٤١٧) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦).

(٤١٨) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩).

(٤١٩) أخرجه الدارمي في «نقضه على المريسي» (١/ ٥٢٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٥٠)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٥٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٠٧)، وذكره الذهبي في «العلو للعلي الغفار» (١٧٣)، وقال: «رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة له، وأبو بكر بن المنذر، وأبو أحمد العسال، وأبو القاسم الطبراني، وأبو الشيخ، وأبو القاسم اللالكائي، وأبو عمر الطلمنكي، وأبو بكر البيهقي، وأبو عمر بن عبد البر، في تواليفهم وإسناده صحيح».

(٤٢٠) أخرجه أبو داود : كتاب السنة ، باب في الجهمية (٤٧٢٣)، والترمذي : كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الحاقة (٣٣٢٠)، وابن ماجه : كتاب المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية (١٩٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٠٩٣).

الشرح :

هذا الباب الأخير ختم المصنف فيه «كتاب التوحيد» في بيان عظمة الله عز وجل، وجملة من صفات الله تبارك وتعالى.

قال: **قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾**

فيه إثبات القبضة لله واليمين.

وأن الأرض والسماوات تطوى.

وفيه حديث ابن مسعود الذي في الصحيحين في مجيء حبر من أحبار اليهود إلى النبي ﷺ قال: **إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ.**

فيه: إثبات الأصابع لله عز وجل علام يليق بجلاله كما أثبتنا اليد وأثبتنا القدم وأثبتنا سائر الصفات نثبت ما صح في هذا الحديث، وأنه في التوراة والنبي ﷺ أقره على ذلك.

قال: **فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحِبْرِ.**

فصَدَّقَهُ؛ وهذا إقرارٌ من النبي ﷺ له.

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ الآيَةَ.

فيه إقرار.

أورد الدليل على ذلك، ومع ذلك ما قدروا الله حق قدره؛ عندهم العلم، ولكن ما قدروا الله حق قدره.

قال: **وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللهُ».**

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ». أَخْرَجَاهُ فِي الصحيحين،

هذا الحديث أيضا فيه إثبات الرواية هذه فيها إثبات الصفات.

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

هذا فيه إثبات اليدين لله عز وجل.

كما قال عز وجل لما خلقت بيدي.

وفيه إثبات وصفهما بأن أحدهما اليمنى والأخرى الشمال على ما يليق بالله.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

ويقول: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٤] لا تتخيل شيء لأن الله ليس كمثله شيء لا تبلغه الأوهام.

وأن هذه الصفات حقيقة ليست ضرب مثال مجرد خيال بل هو حقيقة.

وفي الصحيحين وكلتا يدي ربي يمين مباركة.

قال العلماء: المعنى كلتاهما يمين من اليمن يمين ليس كما يفهم من الشمال أضعف من اليمين وأن اليمين أبرك من الشمال بين النبي ﷺ في الحديث: «الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» (٤٢١)، وقال: «وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ» (٤٢٢) من اليمن والبركة.

وفي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ هذا يدل على العظمة؛ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ؛ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ».

هذا إثبات الكف لله عز وجل.

وإثبات أن هذه السماوات السبع التي جاء وصفها بعد قليل بالعِظَم كأنك تأخذ خردلة صغيرة تضعها في كفك من جهة إثبات العظمة وليس تشبيه الكف بالكف انتبهوا إلى هذا الشيء.

---

(٤٢١) أخرجه مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر (١٨٢٧)، من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤٢٢) أخرجه الترمذي : كتاب تفسير سورة القرآن ، باب ومن سورة المعوذتين (٣٣٦٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٠٩).

وحديث زيد بن أسلم عن أبيه قال عن رَسُولُ اللهِ ﷺ مرسلا.

«مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ؛ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ، ومَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ».

خذ حلقةً من حديدٍ وارمها في فلاة في الصحراء؛ الكرسي في العرش كذلك.

«مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ؛ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ» الذي يترس به المحارب عن ضرب السيوف هكذا.

هذه عظمة عظيمة، والله أعظم من ذلك؛ لا يعلمه إلا هو عز وجل؛ انظر إلى عظمة السماوات من خلق الله.

يقول: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»،

سبحانه وتعالى.

حديث الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟»، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ»،

سبحانه وتعالى ما أعظمه.

وأنت أيها الإنسان كيف أنت في الأرض؟

ثم كيف أنت في السماء الدنيا؟

ثم هذه السماوات بعضها فوق بعض كالكرة؟

الأرض داخل السماء الدنيا كالكرة داخل الكرة، وكل سماء فوقها كرة سماء وهكذا؛ سبحان الله؛ والله يخاطبك: يا عبدي، والله يرحمك، ويسمع كلامك، ويعلم مكانك، ونيتك، وحاجتك، ويقبل دعاءك وطاعتك ويثيبك ويرحمك.

اللهم إنا نسألك في هذه الساعة المباركة في ختام هذا الكتاب المبارك.

اللهم إنا نسألك أن تثبتنا على الإيمان والتوحيد، وأن تدخلنا الجنة يا ذا الجلال والإكرام يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا مباركًا واسعًا، ونسألك رزقًا طيبًا مباركًا واسعًا ونسألك عملًا صالحًا خالصًا مُتقبلًا يا رب العالمين.

اللهم انفعنا بما قُلنا، وما نقول، وعَلِّمنا ما نحتاج إليه يا رب العالمين يا ذا الجلال والإكرام.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [الصافات: ١٨١].

اللهم إنا نسألك أن ترحم مؤلف هذا الكتاب رحمةً واسعةً، ومن تَسَبَّب في إلقاء هذ الدروس، ومن حضرها، ومن سجلها، واجتهد فيها.

اللهم إنا نسألك أن تتقبلنا في عبادك المؤمنين.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ومن أوليائك المقربين وحزبك المتقين المفلحين، يا ذا الجلال والإكرام.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفهرس